

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الثقافة الإسلامية
الدراسات العليا

واقع الثقافة الإسلامية في السنغال؛

دراسة تحليلية

رسالة مقدمة؛ لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية

إعداد الطالب/ عبد الرحمن مبكي محمد

إشراف فضيلة الدكتور/ علي سيد أحمد السيد الفرسيسي

حفظه الله ورعاه

الرقم الجامعي: ٤٢٨٨٠٣٢٦

عام ١٤٣١-١٤٣٢هـ

إهداء

❖ إلى أُمِّي؛ أحق الناس بحسن صحبتي، حفظها الله من كل مكروه.

❖ إلى وَالِدِي؛ من أدَّبني ووجَّهني إلى طريق الخير، وشجَّعني على طلب العلم، والمصابرة على سبيله، شفاه الله من كل ضر، وجعل ما أصابه كفَّارة له عند الله عزَّ وجلَّ.

❖ إلى زوجتي؛ التي تحملت معي عناء الترقب والانتظار الذي استغرق سنوات عديدة ، ومع كل ذلك ظلَّت صابرة ومحتسبة.

❖ إلى كل من عنده غَيْرَةٌ على الإسلام، أو له جهود ونشاط في نشر الثَّقَافة الإسلامية.

الشّكر والتَّقدير

لكل من أسهم في نجاح هذا العمل، وفي مقدمتهم حكومة المملكة العربية السعودية، ممثلة في **خادم الحرمين الشريفين** – حفظه الله ورعاه- ومعاونيه؛ حيث حققت لي الأمنية بتقديم منحة دراسية لي من بين الآلاف من أبناء العالم الإسلامي الذين كانوا يتطلعون إلى ذلك ولم يحالفهم الحظ، ثم مهدت لي الطريق ووفرت لي كل الخدمات الضرورية؛ لأتمكن من التحصيل العلمي على الوجه الأفضل، فجزاهم الله عني كل خير.

والشكر موصول إلى جامعة "**أم القرى**" ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين بعميدها وأساتذتها الكرام، الذين كانوا رحبي الصدر معنا حين يعطوننا أغلى ما عندهم، ألا وهو العلم والمعرفة، مما مكننا من الاستفادة منهم بقدر كبير.

وأخص بالشُّكر والتقدير منهم أستاذي ومعلمي "**د. علي سيد أحمد السيد الفرسيسي**" الذي تشرفتُ بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، بالإضافة إلى توجيهاته ونصائحه القيمة التي لها دور كبير في تقويم هذه الرسالة.

ولا أنسى زميليَّ: **د. محمد عبد الله صل** و **د. أحمد سك** اللَّذين بذلا جهدا كبيرا ومقدَّرا لنجاح هذا العمل، وكذلك الأخ **الدكتور خديم محمد سعيد امباكي** الذي زوَّدني كثيرا من المراجع، بالإضافة إلى نصائحه القيمة، وإرشاداته السديدة.

جزى الله الجميع خير ما يجازي به من أحسن.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

هذا البحث بعنوان: (واقع الثقافة الإسلامية في السنغال؛ دراسة تحليلية) تقدم به الباحث لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية، ويتكون من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وعدد من الفهارس، ومحتوى ذلك بالإيجاز كالآتي:

- المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، والصعوبات التي واجهتني أثناء البحث، والمنهج المتبع في البحث، وخطة البحث.
- التمهيد: وتناولت فيه تعريف مصطلحات عنوان البحث.
- الفصل الأول: يحتوي على الفتح الإسلامي للسنغال، وتاريخ الدعوة الإسلامية فيه.
- الفصل الثاني: ويتناول روافد الثقافة الإسلامية في السنغال، ودورها في نشر الإسلام فيه؛ وتشمل المؤسسات التعليمية التقليدية (الكتاتيب)، والمؤسسات الحديثة، والمساجد، ووسائل الإعلام.
- الفصل الثالث: يتناول تحديات الثقافة الإسلامية في السنغال؛ وتشمل الاستعمار، والعلمانية، والعولمة، والغزو الفكري، والتنصير، والطرق الصوفية، والدعوة إلى التشيع في السنغال،
- الفصل الرابع: يعالج طرق مواجهة تحديات الثقافة الإسلامية في السنغال.

أما أهم النتائج التي توصلت إليها فتتلخص فيما يلي:

١- تداخل ثلاث ثقافات في السنغال عبر التاريخ وهي على التوالي: الثقافة الأرواحية القديمة، ثم الثقافة الإسلامية، ثم الثقافة الغربية، كما أن الصراع بين تلك الثقافات مازال قائما حتى اليوم.
٢- شكلت الحضارة الإسلامية روافد مهمة لنشر وتثبيت الثقافة الإسلامية في الشعب السنغالي.
٣- موقع السنغال الاستراتيجي جعله نقطة التقاء بين ثقافات مختلفة، ولعب في ذلك دورا مهما في الربط بين شمال الصحراء بجنوبها منذ أزمان ضاربة في عمق التاريخ.

كما أن أهم التوصيات تتمثل في الآتي:

١- أوصي بضرورة توحيد الجهود لدى المؤسسات التعليمية في السنغال، وكذلك جهود الدعاة والعلماء ليتمكنوا بذلك للوصول إلى النتائج المرجوة.
٢- السعي لإيجاد كليات عربية شرعية أكثر في السنغال لتسد تلك الثغرة التي تتمثل في العدد الهائل الذي يتخرج سنويا في المدارس الثانوية وهم في رغبة شديدة لمواصلة دراساتهم العليا، علما بأن الكليات الموجودة حاليا لا تستوعبهم جميعا؛ حتى نتمكن من مواجهة تلك التحديات الغربية الهدامة.
٣- تأسيس مركز الدراسات الإفريقية في السنغال، باعتباره بلدا ذات إستراتيجية إقليميا ودوليا، بحيث يتخصص هذا المركز بالعناية بجهود الطلاب الأفارقة في البحث العلمي، من جمع، وطباعة، وتحقيق دراساتهم في مجالات وفنون مختلفة، والعناية أيضا بالمخطوطات النادرة والقيمة الموجودة في مكتبة "تومبوكتو" في جمهورية "مالي" وفي "المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء" (i.f.a.n) بداكار، وغيرها من المناطق الإفريقية.

الباحث	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
عبد الرحمن مبكي محمد	د. علي سيد أحمد السيد الفرسيسي	د. محمد بن سعيد السرحاني



المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإن الثقافة الإسلامية هي التي تعطي الإنسان الدارس والقارئ صورة شاملة عن الإسلام قبل أن يدخل في التفصيلات؛ إلا أنها لا تدخل في البحث عن علومه بعمق كالتوحيد، والفقه، وأصوله، والتفسير، وأحكام القرآن ونحوها من العلوم الإسلامية القائمة بذاتها ولها أصول وضوابط معروفة، ولكن تقرب لك صورة الإسلام، وتمكنك من التعرف على حقيقته والاستفادة منه.

كما أن ثقافة أي قوم وحضارتهم هي التي تنعكس على سلوكياتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم، وبالتالي يتضح مدى قربهم وتمسكهم بالإسلام وتعاليمه أو عدم ذلك.

ثم إن القارة السمراء قد عرفت الإسلام في أول أمره، حين أمر المصطفى ﷺ أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة، وإلى "إرتيريا" على وجه التحديد ليفروا بدينهم من بطش كفار مكة وغطرستهم حتى يأتي الله بأمره، فهاجر بعض الصحابة إلى ملك الحبشة الذي كان كما توسمه النبي ﷺ بأنه لا يظلم عنده أحد، فرحب بهم أي ترحيب، فأصبحوا في أمن وأمان في تلك الديار، وبذلك تكون القارة الإفريقية أول قارة رحبت بهذا الدين الحنيف بعد انطلاقه من مكة المكرمة وقبل المدينة المنورة، بفضل الله تعالي وحكمته، ثم بدور عامل الجوار والموقع الجغرافي، حيث إنها متاخمة لآسيا ولم يفصل بينهما إلا البحر الأحمر.

ثم في وقت الفتوحات في أيام الخلفاء الراشدين وصل الإسلام وانتشر في مناطق كثيرة في القارة من شرقها إلى غربها؛ حيث السنغال، محل اهتمامنا في هذه الدراسة.

ونظرا لما تميز به الإسلام من شمولية وواقعية وفطرية وجاذبية... انتشر في هذه المنطقة (غرب إفريقيا) بسرعة عجيبة وبشكل سلمي في أغلب الأحيان، وكان قبيل الاستعمار الدين السائد والمهيمن في المنطقة، كما أن اللغة العربية هي التي كانت تسيطر على الحياة الاجتماعية والسياسية في المنطقة مما دفع المستعمر اضطرارا إلى اختيار المترجمين له بينه وبين زعماء الدين، وهكذا استمر لفترة طويلة، حتى اتخذ الاستعمار تدابيره للحيلولة دون انتشاره بكل قسوة وصرامة بأساليب مختلفة، وما زال ولو تغيرت الأساليب والمسالك، حيث كان يستخدم الأمس المدافع والرشاشات والسوط والسلاسل... ليخضع الإنسان الإفريقي ويستسلم حتى يتمكن من السيطرة على الأرض والتراب ... وقد يكون وراء ذلك أغراض أخرى ولكن كلها لمصالح مادية بحتة، أما اليوم فيهدف العدو بشنه الهجوم على العالم الإسلامي عموما إلى تدمير أغلى ما في الإنسان ألا وهو القلب والعقيدة بما يسمي بالغزو الفكري!

حيث تنوعت الوسائل عندهم لتحقيق ذلك من نشر الأفلام الماجنة، والكتب والمجلات الخليعة، وبث البرامج التلفزيونية والإذاعية المخزية، وعبر شبكة العنكبوت العالمية (الإنترنت) وغيرها من وسائل الدمار، حتى أصبح العالم اليوم كقرية واحدة، بواسطة تلك الوسائل المنتشرة التي تهب بتيارات ومذاهب وأفكار مضللة، مستهدفين في كل ذلك بالدرجة الأولى عقيدة المسلمين.

بالإضافة إلى ما غرسه في قلوب البعض من انقسامات وتفريقات باسم القومية العربية أو الإقليمية أو القبلية إلى غير ذلك من عبارات رنانة، وراءها تمزيق وحدة المسلمين وتعاطفهم وتكاتفهم الذي أمرهم به ربهم ورسوله، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٣].

وكما روي أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)**[١]

وهكذا بات واجبا على كل مسلم أن يتعرف على دينه ويتمسك بعقيدته ليحصن نفسه ومن تحته من رعايا من تلك التيارات والأفكار والفساد.

ومن هنا تتضح أهمية هذا الموضوع الذي سوف يتناول هذه الأمور البالغة الأهمية في المجتمعات الإسلامية عموما وفي المجتمع السنغالي خصوصا، وهي تتلخص في النقاط التالية:

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، سنة الطبع: بدون، ورقمه: ٢٥٥٨.

أهمية الموضوع:

١- إظهار صورة الثقافة الإسلامية في السنغال.

٢- بيان مدى ارتباط ثقافة مسلمي السنغال بالثقافة الإسلامية.

٣- بيان روافد الثقافة الإسلامية في السنغال.

٤- إبراز التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية في السنغال، وبالتالي يمكن القيام بمواجهتها.

٥- ذكر الجهات الإسلامية التي لها جهود في سبيل مواجهة تلك التحديات.

كما دفعتني لاختيار هذا الموضوع أمور كثيرة، رغم إدراكي تماما ما سينتظرني من صعوبات لدراسة مثل هذه الموضوعات التي يغلب فيها الجانب الميداني.

أسباب اختيار الموضوع:

١- ما حظي به الموضوع من اهتمام.

٢- ما لاحظته من كتابات بعض الكتاب والمؤرخين وفي مقدمتهم بعض الغربيين من محاولة قلب الحقائق حول التاريخ الإسلامي في السنغال، وخصوصا ما لها ارتباط بالاستعمار.

٣- كثرة الكتابات عن السنغال وعن ثقافات شعبه ممن لم يطأ قدمهم قط أرض البلاد، ولم يعرفوا حقيقة تلك الشعوب من العادات والتقاليد والسلوك...مما يؤدي إلى أخطاء فادحة فيما يكتبون، هذا إن أحسنا بهم الظن.

٤- الرغبة في تزويد المكتبات الإسلامية بدراسة حول هذا البلد (السنغال) الذي جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي.

٥- ليكون هذا البحث معبرا وبابا لمن يرغب في تناول جانب من جوانبه، ومنطلقا وعونا للكتاب والباحثين الذين يريدون التوسع في معرفة الثقافة الإسلامية في السنغال.

الصعوبات:

أما الصعوبات التي لاقيتها أثناء إعداد هذا البحث فأجملها فيما يلي:

١- اتساع الموضوع وتشعب جوانبه مما دفعني إلى الاختصار في كثير من المواضع خوف الإطالة، أو لأني لم أعثر على المعلومات والمراجع الكافية المتعلقة بها، مع التركيز على ما رأيته أكثر أهمية حين توفر المراجع حولها.

٢- عدم توفر المادة العلمية لهذا البحث في المملكة العربية السعودية، علما بأن هذه الدراسة تعتمد بقدر كبير على النزول إلى الميدان والاحتكاك بالواقع السنغالي، ذلك مما اضطرني للسفر إلى السنغال لجمع المادة العلمية هناك، وكذلك إلى المملكة المغربية في مكتبة جامعة محمد الخامس لنفس الغرض، لما تتمتع به هذه المكتبة من المصادر والمراجع ذات علاقة بالموضوع؛ إلا أنني لم أتمكن من الاستفادة منها على الوجه المطلوب بسبب القيود والشروط المضروبة أمامي كزائر، بالإضافة إلى صعوبة الوصول إلى الكتاب المراد بعد تجاوز تلك الإجراءات الصعبة المتمثلة في قلة الوسائل المساعدة لذلك، ثم إذا وفقت بأن وجدت الكتاب فلا تسأل ما ذا سيواجهك من طول الانتظار من المسؤولين ليصوروا لك ما تريده من الكتاب؛ لأن النظام عندهم هم الذين يذهبون بالكتاب لتصوير ما حددته من الصفحات إن لم تتجاوز المسموح بها.

٣- عدم التجاوب لدى كثير ممن قابلتهم أو راسلتهم لطلب معلومات مهمة حول موضوع البحث، كما حصل لي ذلك مع بعض مسؤولي حركة الفلاح، والكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية،

وغيرهما، حيث قابلت بعض المسؤولين للحركة والكلية المذكورتين في مقرهم الرئيسي، أو اتصلت بالمدير أو أحد المسؤولين لأجد المعلومات حول تلك المؤسسات التعليمية ولكن دون جدوى، الشيء الذي يدعو إلى الاستغراب، كيف يكون هذا موقف أمثال هؤلاء العلماء والمثقفين من باحث معروف لديهم!

منهج البحث:

١- لقد جمعت مادة هذا البحث مما عثرت عليها من المراجع والمصادر؛ إما باللغة العربية أو باللغة الفرنسية، بما فيها الكتب المطبوعة وغير المطبوعة، من العلماء والكتاب السنغاليين وغيرهم، ومن الصحف والمجلات السنغالية والدولية، والمقابلات الشخصية التي تم إجراؤها مع بعض العلماء والمثقفين أو المسؤولين، وكذلك مما رجعت إليه أثناء البحث بعض مواقع إنترنت، كما قمت بعملية إجراء الاستبانة لاستطلاع آراء بعض المعنيين من معلمي القرآن الكريم، أو المدرسين في المؤسسات التعليمية التقليدية (المجالس)[(٢)] وغيرهم.

٢- حاولت الاستفادة من تلك المصادر قدر الإمكان، بالرجوع عند كتابة أي مبحث أو مطلب إلى المصادر التي تناولته كموضوع خاص، إن لم أجد فأرجع إلى الكتب التي تناولته من ضمن موضوعاتها كمبحث أو مطلب أو غير ذلك.

٣- نظرا لما ذكرته آنفا من اتساع الموضوع وتشعب أطرافه كنت أميل كثيرا إلي الاختصار في بعض المسائل خوفا من الإطالة من جانب، وإيمانا بأن الدراسة لمثل هذا الموضوع لا يمكن أن يكون إلا بوجه الاختصار، واعتبارها بابا أو مفتاحا لمن يريد التوسع والإحاطة في أحد مباحثها أو مطالبها

(٢) وهي الحلقات العلمية التي تدرس فيها العلوم الشرعية، والأدبية، وغيرها، على يد علماء متطوعين، وهي منتشرة في كثير من مناطق البلاد، حيث تؤدي دورا فعالا في نشر الثقافة الإسلامية بين أفراد المجتمع السنغالي.

من جانب آخر، مع ذلك بذلت كل ما في وسعي لإحاطة المادة وتقديمها بأحسن ما يرام، مع الاعتراف- طبعا- بنقص كبير في هذا الجهد المتواضع، وذلك لأنه من أعمال البشر.

٤- حاولت قدر المستطاع الإنصاف في الموضوع، والبعد عن تحكم العاطفة وسيطرتها، وخصوصا عند تناول التحديات، قاصدا بذلك إبراز الحق والصواب ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة.

٥- ترجمت لبعض الأعلام في الهامش ممن وردت أسماؤهم في البحث حسب الإمكان.

٦- بينت في الهامش بعض أسماء القرى والمدن الواردة في البحث حسب الإمكان.

٧- أما ما يتعلق بالتوثيق: فأذكر المصدر أولا والمؤلف ثانيا، مع ذكر جميع البيانات الممكنة حول المصدر في المرة الأولي من النقل منه، وإذا تكرر النقل منه أكتفي بذكر اسم الكتاب مع الإشارة إلى أنه ذُكر مسبقا مع ذكر رقم الصفحة؛ وكذلك إذا نقلت من مؤلف واحد في أكثر من مصدر أكتفي بذكر المصدر على المنهج السابق دون تكرار اسم المؤلف.

٨- وثقت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة بذكر رقم الآية والسورة.

٩- خرجت الأحاديث النبوية الواردة في الرسالة؛ مع ذكر رقم الحديث عند كل من الصحيحين إذا كان متفقا عليه، أو ورد في أحدهما.

١٠- ختمت البحث بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، كما أو دعته ببعض الاقتراحات والتوصيات.

١١- ثم زيلته ببعض الوثائق من الإحصائيات والصور وغيرها.

١٢- عملت الفهارس الآتية:

- فهرس للآيات القرآنية، مرتبة حسب السور.

- فهرس للأحاديث النبوية، مرتبة حسب الحروف الهجائية (أ، ب، ت، ث....).
- فهرس للوثائق والملحقات.
- فهرس للمصادر والمراجع على النحو التالي:

١- المصادر والمراجع العربية مرتبة حسب الحروف الهجائية (، ب، ت، ث....).

٢- الرسائل الجامعية مرتبة حسب الحروف الهجائية (، ب، ت، ث....).

٣- الجرائد والمجلات والمواقع الإلكترونية.

٤- المراجع الأجنبية حسب ترتيب الحروف اللاتينية.

- فهرس للموضوعات.

خطة البحث:

لقد قسمت البحث – حسب طبيعة المادة العلمية- إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع، والأسباب التي دعت إلى اختياره، وبعض ما اعترضه من عقبات، ومنهج البحث، وخطه المتبع فيه.

وأما التمهيد: فقد كان عبارة عن بيان وتفسير مصطلحات العنوان لغة واصطلاحا، وأهم الأقوال الواردة في سبب تسمية السنغال بهذا الاسم، كما تناولت فيه نبذة عن موقع السنغال الجغرافي الاستراتيجي، وأهم القبائل والأنهار الموجودة فيه.

أما فصول الدراسة فيحتوي كل فصل على مبحثين أو أكثر، وتحت كل مبحث مطلبان أو أكثر حسب الحاجة، وتحت بعض المطالب مسائل إن دعت الحاجة إليها، وإليك تفصيل ذلك:

الفصل الأول

الفتح الإسلامي للسنغال، وتاريخ الدعوة الإسلامية

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفتح الإسلامي للسنغال.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: دخول الإسلام السنغال.

المطلب الثاني: دور المرابطين في نشر الثقافة الإسلامية في المنطقة (السنغال وما حوله).

المطلب الثالث: طريقة انتشار الإسلام في السنغال.

المطلب الرابع: الأسباب والعوامل التي أسهمت في نشر الثقافة الإسلامية في المنطقة

(السنغال وما حوله).

المبحث الثاني: وضع المنطقة (السنغال وما حوله) قبل وبعد وصول الإسلام إليها، ومدى تأثيره في سكانها.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: وضع المنطقة في تلك الفترة من الناحية السياسية.

المطلب الثاني: وضع المنطقة في تلك الفترة من الناحية الاجتماعية.

المطلب الثالث: وضع المنطقة في تلك الفترة من الناحية الاقتصادية.

الفصل الثاني

روافد الثقافة الإسلامية في السنغال، وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية التقليدية (الكتاتيب) في السنغال، وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: تاريخ وصول الكتاتيب إلى السنغال.

المطلب الثاني: أنواع الكتاتيب (المدارس القرآنية) في السنغال.

المطلب الثالث: أثر الكتاتيب في نشر الثقافة الإسلامية في السنغال.

المطلب الرابع: العقبات التي تواجه الكتاتيب في السنغال والحلول المقترحة لها.

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية الحديثة في السنغال، وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نماذج من المؤسسات التعليمية الحديثة في السنغال.

المطلب الثاني: المناهج المتبعة ومصادرها في تلك المؤسسات.

المطلب الثالث: عقبات ومعوقات وطرق معالجتها.

المطلب الرابع: مستقبل التعليم الإسلامي في السنغال.

المبحث الثالث: المساجد في السنغال، وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية.

وتحته مسائل.

المبحث الرابع: وسائل الإعلام في السنغال، وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسائل الإعلام في السنغال؛ أهميتها وخطورتها.

المطلب الثاني: أثر وسائل الإعلام في الشعب السنغالي، سلبا وإيجابا.

الفصل الثالث

تحديات الثقافة الإسلامية في السنغال

وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: الاستعمار الفرنسي.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: بداية الاستعمار للمنطقة.

المطلب الثاني: دوافع الاستعمار، ومبرراته، ووسائله.

المطلب الثالث: المقاومة الشعبية ضد الاستعمار.

المطلب الرابع: آثار الاستعمار في السنغال.

المبحث الثاني: العلمانية والعولمة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العلمانية، وتحته مسائل.

المطلب الثاني: العولمة، وتحته مسائل.

المبحث الثالث: الغزو الفكري.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الغزو الفكري وتاريخ ظهوره.

المطلب الثاني: وسائل الغزو الفكري وأهدافه في السنغال.

المطلب الثالث: نماذج من آثار الغزو الفكري في السنغال.

المطلب الرابع: موقف الشعب السنغالي من التيارات والحركات الهدامة.

المبحث الرابع: **التنصير في السنغال**.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بداية التنصير في السنغال.

المطلب: **الثاني**: أهم مجالات الأنشطة لدى المنصرين في السنغال.

المطلب الثالث: تقييم جهود المنصرين في السنغال.

المبحث الخامس: الطرق الصوفية في السنغال.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالصوفية وتاريخ نشأتها.

المطلب الثاني: الصوفية في السنغال إيجابياتها وسلبياتها.

المطلب الثالث: المراحل التاريخية للصوفية في السنغال.

المبحث السادس: **الشيعة في السنغال**.

وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: تاريخ وصول الشيعة إلى السنغال، وأماكن وجودهم فيه.

المطلب الثاني: وسائل الشيعة لنشر عقائدهم في السنغال.

المطلب الثالث: الدعوة إلى التشيع وموقف الشعب منها.

المطلب الرابع: مصادر الدعم المادي والمعنوي للشيعة في السنغال.

المطلب الخامس: موقف دعاة أهل السنة من المد الشيعي في السنغال.

الفصل الرابع

مواجهة تحديات الثقافة الإسلامية في السنغال

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الجهود الداخلية لمواجهة التحديات.

وفيه مطبان:

المطلب الأول: موجهة التحديات عن طريق المؤسسات التعليمية.

المطلب الثاني: مواجهة التحديات عن طريق الدعوة والدعاة.

المبحث الثاني: الجهود الخارجية لمواجهة التحديات.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مواجهة التحديات بالتعاون مع الدول الإسلامية.

المطلب الثاني: مواجهة التحديات بواسطة المنظمات والجمعيات الخيرية (الداخلية والخارجية).

التمهيد

ويشتمل التعريف بمصطلحات عنوان البحث

أولا/ التعريف بواقع الثقافة الإسلامية في السنغال: المراد به هو بيان مدى انتشارها في السنغال، ومدى تمسك الناس بها أو بمقتضاها في سلوكياتهم، وبيان روافدها والتحديات التي تواجهها داخليا وخارجيا وسبل مواجهة تلك التحديات.

ثانيا/ التعريف بالثَّقافة:

أ- تعريف الثقافة في اللغة:

وردت مادة (ثقف) في اللغة بعدة معان. ويقال :ثَقِفَ الشَّيْءَ ثَقْفًا وَثِقَافًا وَثُقُوفَةً: حَذقَهُ، ورجل ثَقْفٌ وَثَقِفٌ وثَقُفٌ :حاذق فهم، ويقال: ثَقْفٌ لَقْفٌ: رام راو، أو إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به. ويقال: ثَقِفَ الشَّيْءَ وهو سرعة الفهم والإدراك. وثَقِفْتُ الشَّيْءَ إذا ظفرت به كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[الأنفال: ٥٧]

والثَّقافْ: امرأة فطنة. والمثاقفة: المغالبة في الحذق. والثِّقاف: ما تسوى به الرماح، وتثقيفها: تسويتها [(١)].

(١) انظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي المتوفى ٧١١هـ، مادة: ثقف، (١٩/٩)، دار صادر، بيروت لبنان، ط:٣، ١٤١٤هـ، والقاموس المحيط، مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى المتوفى ٨١٧هـ، مادة: ثقف، (٧٩٥/١)، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ومختار الصحاح، زين الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المتوفى ٦٦٦هـ، مادة: ثقف، (٤٩/١)، المكتبة العصرية-النموذجية- بيروت صيدا، ط:٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

أستخلص من هذه التعريفات اللغوية أن كلمة (ثقافة) تدور حول معان عدة منها: الحذق، والفطنة، والذكاء، وسرعة الفهم، و الإدراك، والظفر بالشيء، والتسوية والتهذيب ونحوها، وذلك لأن العرب استعمل مادة (ثقف) في أمور معنوية كما استعملها في أمور حسية، إلا أن استعمالها في الأمور المعنوية أكثر.

كما نستنتج من تلك التعريفات أيضا: أن الرجل المثقف بالمفهوم العام هو ذلك الرجل الحاذق البصير، والعارف بأمور مختلفة من مطالب الحياة ولا يكتفي بجانب واحد من جوانب العلوم والمعارف بل يعرف عن كل شيء شيئا حسب الطاقة والإمكان، أي يأخذ من كل علم بطرف دون تعمق [(١)]؛ لذلك يقال: تعلم شيئا عن كل شيء لتكون مثقفا، وتعلم كل شيء عن شيء لتكون عالما[(٢)].

ب- تعريف الثقافة في الاصطلاح:

لقد تعددت وتشعبت تعريفات الثقافة بمعناها العام، وذلك باختلاف التخصصات واهتمام من يعرف الثقافة؛ ولذلك من الصعوبة بمكان أن يجد الإنسان تعريفا نهائيا لها متفقا عليه.

ولكن سوف أذكر بعضا من تلك التعريفات، وهي كالتالي:

١- "هي مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تحكم سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[(٣)].

٢- "هي حياة المجتمع التي بدونها يصبح مجتمعا ميتا"[(٤)].

---

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، أ.د: عمر الأشقر، ص:٢٠، ط: بدون.

(٢) نحو ثقافة إسلامية المصدر السابق نفسه، نقلا عن: نحو فلسفة عربية، للدكتور: عبد الغني النوري وزميله، ص:٥٤.

(٣) مشكلة الثقافة، لمالك بن نبي، ص:١٠٢، دار الفكر، سنة الطبع بدون.

(٤) مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص: ٦٩.

٣- "هي الحصيلة الطبيعية للقراءة الواعية، والدراسة المستمرة لأفكار الآخرين، ومشاعرهم، ونظرياتهم، وتجاربهم، أي: أنها أعمق من مجرد التعليم والتقويم..."[١].

٤- "معرفة عملية مكتسبة، تنطوي على جانب معياري، وتتجلى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود"[٢].

٥- "هي – في حقيقتها- الصورة الحية للأمة، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها وقوام وجودها وهي التي تضبط سيرها في الحياة و تحدد اتجاهها فيها، إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامه، وتراثها الذي تخشي عليه الضياع والاندثار، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار"[٣]

يمكن الاستنتاج من التعريفات السابقة لكلمة (الثقافة) في الاصطلاح:

أن الثقافة هي أسلوب الحياة السائدة في مجتمع من المجتمعات؛ وذلك لأن ثقافة أية أمة في جوانبها المختلفة ترسم أسلوب حياتها اليومية، معتقداتها وتصوراتها وأفكارها ونظرياتها التي تدور في أذهان كتابها ومفكريها، وتضبط الأغلبية في ذلك المجتمع في نمط حياة محدد المسار ولا يخرج عليه إلا شواذ.

ج- تعريف الثقافة في الإسلام :

تنوعت وتعددت تعريفات الثقافة الإسلامية، تبعا لاختلاف توجهات نظر الباحثين المسلمين وميولهم، ولكن سأكتفي بذكر بعض منها كالتالي:

(١) راجع محاضرات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد جمال، ص:١٤دار الكتاب العربي، ط: بدون.

(٢) خالد إبراهيم، المرجع السابق، ص:١٢، نقلا عن عزمي السيد وآخرين، الثقافة الإسلامية، ص:٣٧

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص: ١٣، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط: ١، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

١- "هي المفاهيم الصحيحة عن الله، والكون، والإنسان، والحياة ...عن الله كخالق للكون، وعن الكون كمسخر للانتفاع الإنساني، وعن الإنسان كمستخلف في الأرض لاستعمار الكون، ومسئول عن تصرفاته الحسنة والسيئة، وعن الحياة كمجال للعمل الإنساني على أسس إسلامية"[(١)] يقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٩] ويقول تعالى:

﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة: ١٤] وكما في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٢- "نعني بالثقافة الإسلامية: الثقافة التي محورها الإسلام: مصادره، وأصوله، وعلومه المتعلقة به، المنبثقة عنه"[(٢)].

٣- " الثقافة الإسلامية هي الفهم العام للحياة بشؤونها المختلفة من منظور إسلامي"[(٣)].

وأستخلص مما سبق من التعريفات للثقافة الإسلامية:

أن الثقافة الإسلامية هي الفهم العام للحياة البشرية بمختلف جوانبها، تربويا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفق معايير الإسلام؛ أي أن يكون عند المسلم تصور عام عن موقف الإسلام من أية قضية تطرح في الساحة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو فكرية أو غير ذلك. وعلى هذا إذا وجدنا المسلم الذي يملك الفطانة والفهم ما يجعله يقف أمام أي تحد معاد لفكره وإسلامه ولا يهزم فهو المثقف المسلم.

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية، د. أحمد فؤاد محمود، ص: ١٣، اشبيليا للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، ط:١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢) أضواء على الثقافة الإسلامية، نفس المصدر السابق، ص: ١٣.

(٣) ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسي إبراهيم الإبراهيم، ص: ١٥، دار عمار، الأردن، ط: ٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

كما نلاحظ مما سبق من التعريفات أيضا تعدد التعريفات وتنوعها لكلمة (الثقافة) في اللغة وفي الاصطلاح وفي الإسلام؛ وذلك يرجع في الأصل إلى أسباب منها:

أن كلمة (الثقافة) لها أبعاد كبيرة ودلالات واسعة.

١- أن كلمة (الثقافة) من الألفاظ التي يصعب تحديدها.

٢- أن كلمة (الثقافة) مصطلح جديد وحديث.

٣- تعدد اجتهاد العلماء والمفكرين حول هذا المصطلح الحديث.

د- التَّعريف بالسنغال:

يقع السنغال في أقصي غرب إفريقيا حيث يحده غربا المحيط الأطلسي، وجنوبا جمهورية غينيا كناكري وجمهورية غينيا بيساو، ويحده شرقا جمهورية مالي، وشمالا الجمهورية الإسلامية الموريتانية، وله امتداد على المحيط الأطلسي حوالي: (٥٠٠ كيلومتر).

ويقع السنغال غرب خط الطول ما بين: (١١،٣٠و١٧،٣٠ درجة)، وشمال خط العرض ما بين: (١٢،٣٠و١٦،٣٠ درجة).

ويمتد من الشرق إلى الغرب أي من داكار العاصمة إلى"كيدرا" المتاخمة لحدود السنغال مع جمهورية "مالي" على طول ٦٠٠كلم، ومن الشمال إلى الجنوب أي من مدينة"سان لويس" إلى "كاسمانس" على عرض ٤٦٠كلم تقريبا، وتبلغ مساحة السنغال حوالي ١٩٦،١٩٠ كلم^{2}، وتقع دولة جامبيا كاملا في شريط داخل منتصف دولة السنغال مخترقة حوالي ٣٠٠كيلومتر طولا أي من الشرق إلى الغرب، وحوالي ٥٠ كيلو عرضا من الشمال إلى الجنوب، مما شكل عائقا كبيرا في اقتصاد السنغال، وذلك من فعلة الاستعمار وتبعاته.

وعلى ذلك فإن دولة "جامبيا" محاطة ومحاصرة بالسنغال من جميع الجهات، ماعدا جهة الغرب؛ حيث يحده هناك المحيط الأطلسي. وتقع جزر الأخضر على بعد (٥٦٠ كيلومتر) من سواحل السنغال[١].

تتكون أراضي السنغال في الغالب من سهول رملية، ترتفع فوق سطح البحر بأقل من مائة متر، باستثناء مرتفعات "فوتا جالون" في الجنوب الشرقي حيث توجد جبال "سامباغالو" التي يبلغ ارتفاعها (٥٠٠ متر) فوق سطح البحر، كما يوجد بعض المرتفعات في وسط البلاد "إقليم تياس"، وإن كانت أقل ارتفاعا من السابقة.

نظام الحكم في السنغال جمهوري، والعملة المتداولة فرنك، وكانت السنغال مستعمرة فرنسية إلى أن استقلت (١٩٦٠م)، واللغة الفرنسية هي لغة البلاد الرسمية وتنتشر هناك بعض اللغات واللهجات الإفريقية كما سيأتي الكلام عنها قريبا، وعاصمتها "داكار" المطلة على المحيط الأطلسي غرب البلاد.

وأهم المدن في السنغال هي:

دَاكَارْ، تِيَاسْ، سَان لُوِيس، كَاولَاخ، سِغِنشُور، جُوربِل، تَامْبَا، لُوغَا، كُولْدَا، فَاتِكْ، كِيدُوغُو، مَاتَمْ، سِيجُو، كَفْرِنْ، ويقدر عدد سكان السنغال حاليا حوالي ١٢،٦٤٣،٨٠٠نسمة حسب الاحصائيات لعام ٢٠١١م[٢].

---

(١) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي: (٥٢٠/٦)، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، والتعليم الإسلامي في إفريقيا: الواقع والمأمول في السنغال، د. خديم امباكي محمد سعيد، ص: ٤، مجلة الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد٦، عام: ١٤٢١هـ. وانظر أيضا مجلة الجزيرة، عدد (٩٥)، ثماني من رجب/١٤٢٥هـ، وموقع إسلام أون لاين.نت، بتاريخ ٢/٩ ١٤٣٢هـ.

(٢) من الموقع الرسمي للحكومة السنغالية (WWW.QOUV.SN) بتاريخ ١٤٣٣/١/٢٨هـ، قامت بالإحصاء الوكالة الوطنية للاحصاءات الديمغرافية في السنغال (ansd).

تقسيم البلاد من حيث المناخ:

المناخ السائد في السنغال يمكن تقسيمه أربعة أقسام رئيسية، وهي: الشمال، الساحل الشمالي الغربي، الجنوب، وسط البلاد. وتفصيله كالتالي:

١- **الشمال**: يغلب فيه مناخ ساحلي، ويمتاز باستقبال كمية قليلة من الأمطار، ولمدة قصيرة لا تتجاوز شهرين على الأكثر في السنة، كما يمتاز بالجفاف، ويشتد عند هبوب رياح (هرماتا)، وذلك لمدة تسعة أشهر في السنة.

٢- **الساحل الشمالي الغربي**: يسود فيه مناخ جاف، ودرجات حرارة عالية، ورياح مصحوبة بالرطوبة.

٣- **الجنوب (كاسمانس)**: وهذه المناطق يسودها مناخ استوائي وهي على خط الاستواء، يتميز بكثرة الأمطار وبدرجة حرارة عالية.

٤- **وسط البلاد**: تتميز هذه المناطق بمناخ سوداني، والأمطار فيها تتفاوت،حيث تزداد الكمية كلما اتجهت نحو الجنوب، وتقل كلما اتجهت نحو الشمال(١).

أهم الأنهار الموجودة في السّنغال:

توجد في السنغال أنهار ذات أهمية كبيرة في حياة الناس، وخصوصا عند المزارعين والصيادين، وسأذكرها مرتبة حسب الأهمية.

---

(١) التعليم الإسلامي في السنغال، د. محمد أحمد لوح، ضمن بحوث ملتقى خادم الحرمين الشريفين لخريجي الجامعات السعودية من أفريقيا، ص:٤، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، والمسلمون في السنغال معالم اليوم وآفاق المستقبل، عبد القادر سيلا، ص: ٦، وهو منشور ضمن كتاب الأمة الذي يصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف، قطر، رقمه: ١٢، عام: ١٤٠٦هـ.

١- نهر السنغال: يعتبر هذا النهر أكبر الأنهار وأهمها، وهو يقع في شرق البلاد إلى شمالها، حيث ينبع من (فوتا جالون) في غينيا كناكري ويجتاز(مالي) حيث رافديه (بافين) و(باكوي) إلى مصبه في مدينة (سان لويس) شمال السنغال في مسافة تقدر حوالي: (١،٧٥٠)كيلومتر، وهذا النهر صالح للملاحة في بعض أجزائها في بعض فصول السنة، أما في فصل الخريف (وقت نزول الأمطار في البلد) فكل أجزائه تقريبا صالحة للملاحة.

١- **نهر "كاسمانس"**: وهو يقع في جنوب البلاد، ويقدر طوله ب ٣٠٠كيلو متر وهو صالح للملاحة طول السنة.

٢- **نهر جامبيا**: وهذا النهر يقع في دولة جامبيا المحصورة داخل السنغال، وطول هذا النهر يقدر بـ(١،٠٥٠) كيلو متر ولا يعبر السنغال منه إلا قسم يسير، وذلك في شرق البلاد.

كما أن هذا النهر كما يقول د. أحمد شلبي: (يعتبر من أهم أنهار القارة الإفريقية عموما؛ لأنه من أصلح مجاري المياه للملاحة في إفريقية ككل، إذ أن البواخر عابرة المحيطات يمكن أن تسير في هذا النهر حوالي ١٥٠ ميلا من عاصمة جامبيا (بانجول) وبخاصة في أيام الفيضانات؛ ولهذا كان هذا النهر جديرا بأن يكون أصلح مخرج لتجارة السنغال ومالي لولا هذا التقسيم الاستعماري الذي بليت به المنطقة)[(١)].

وهذه من العوائق التي يعانيها السنغال، بالإضافة إلى وجود دولة كاملة- وهي "جامبيا" - داخله، حيث فصلت عنه جزءه الجنوبي "كاسمانس" عن بقية أجزاء البلاد، مما يجعل التنقل من شمال البلاد إلى جنوبها أو العكس في غاية الصعوبة أحيانا، أضف إلى ذلك أن هذه الدولة غريبة في هذه المنطقة بحيث تتكلم باللغة الإنجليزية وحدها بين دول تتكلم بالفرنسية، إنها لمكيدة استعمارية بلا شك!!.

(١) موسوعة أحمد شلبي المصدر السابق، ص: ٥٢٣، بتصرف يسير.

٣- **نهر "سين وسالوم"**: وهما نهران في مدينتي "كولخ" و "فاتيك" وسط جنوب البلاد على امتداد مسافة طويلة قرب البحر، ساعدان للمحيط الأطلسي[١].

أهمية السنغال بين دول العالم عموما، وبين دول إفريقيا خصوصا:

يتمتع السنغال بموقع استراتيجي مهم؛ حيث إنه يقع في أقصى غرب إفريقيا مطلا على المحيط الأطلسي، حوالي: (٥٠٠ كيلومتر)، مما جعله همزة وصل بين غرب إفريقيا والأمريكيتين؛ الشمالية والجنوبية، ومن ثم يمثل المحطة البحرية والجوية عبر المحيط الأطلسي.

ولهذه الخصوصية التي حظيت بها دولة السنغال جعلها الفرنسيون نقطة الارتكاز للاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا حين قدموا إلى المنطقة لهذا الغرض، وجعلوا مدينة

(سين لويس)[٢] عاصمة لجميع المستعمرات الفرنسية في المنطقة (غرب إفريقيا)، كما كانوا يسمون المنطقة برمتها بـ"السنغال"، وذلك لأن التغلغل الفرنسي جاء عن طريق نهر السنغال، حتى يشمل المنطقة كلها، كما أشار إلى ذلك أحمد شلبي في كتابه المذكور[٣].

سكان السنغال:

يقدر حاليا حوالي: ١٢،٦٤٣،٨٠٠نسمة، كما سبق قبل قليل، وهم يتكونون من قبائل متعددة مختلفة في العادات والتقاليد والاعتقاد، ومع ذلك شعب يسوده الأمن والاستقرار عموما، ولا يعرفون التعصب القبلي أو العرقي المؤدي إلى التناحر والقتال كما في بعض البلاد الإفريقية، وغيرها.

(١) المسلمون في السنغال، المصدر السابق، ص: ٧.

(٢) مدينة تقع في شمال البلاد، كانت عاصمة للسنغال سابقا.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي، المصدر السابق، ص:٥٢٠-٥٢١.

القبائل السنغالية: السنغال من الدول الإفريقية التي تتمتع بكثرة القبائل المختلفة اللهجات والتقاليد، إلا أنه يتميز من بين تلك الدول بوجود الترابط والتكاتف فيما بين قبائله، رغم اختلاف الثقافات والعادات، وأهم القبائل فيه هي:

١- **قبيلة "وولوف"** ولهجتهم هي السائدة في البلد، وأكثر تناولا بين أفراد المجتمع السنغالي، ولا أستثني من ذلك لغة الاستعمار" اللغة الفرنسية" رغم انتشارها في أوساط الشعب بمختلف الفئات وهم منتشرون في جميع أنحاء البلاد، إلا أن موطنهم الأصلي فيها هو الشمال الغربي، والغرب، والوسط الغربي من البلاد. وتبلغ نسبتهم المئوية من مجموع عدد السكان ٤٣،٣%، وهم يشتغلون بمعظم الحرف الموجودة، من الزراعة، والتجارة، وصيد الأسماك، والصناعة، وغيرها.

٢- **قبيلة "بول وتكلور"**[١]: وتسمى "فلاتة" أيضا، هما قبيلة واحدة في الأصل، وإنما تفرق بينهما بسبب المهنة فقط، وهم يأتون في المرتبة الثانية من حيث الانتشار والكثرة من مجموع سكان السنغال حيث يشكلون ١٤،٧% من مجموع سكان السنغال، ولهم الفضل في كونهم من أوائل من اعتنقوا بالإسلام من سكان المنطقة.

وهم يسكنون أساسا حول ضفاف نهر السنغال (شرق البلاد)، وخصوصا في القسم الغربي منه، وبشرتهم تميل إلى البياض، حيث يشبهون الإثيوبيين (الحبشيين)، ودخلوا في الإسلام في وقت مبكر، وقبل وصول المرابطين في المنطقة، كما أن لهم دورا كبيرا في نشر الإسلام في المنطقة، والمناطق المجاورة.

وهم يشتغلون بشكل رئيسي في تربية الأغنام والأبقار، ولذلك ما يستقرون غالبا في مكان واحد، بل ينتقلون في أنحاء البلاد بحثا عن الكلأ والماء حيث يتوفر لهم ذلك، إلا أنهم يتمركزون بصفة خاصة في (دَارَ جُلُوفْ) وسط البلاد، وفي (فوتا) شرق البلاد.

---

(١) كلمتان تطلقان على قبيلة واحدة.

٣-قبيلة "سيرير SERER): قبيلة سنغالية معروفة بشدة وقوة العزيمة فيما هم فيه من الحق أو الباطل؛ أي يتميزون بالجدية والمصداقية في إقبالهم على شيء أو إعراضهم عنه، وهم يمثلون من مجموع عدد السكان حوالي:٣،٧%، ويقطنون في مناطق مختلفة في البلاد، إلا أنهم يتمركزون في الساحل الغربي أساسا، والوسط الغربي، وتحترف هذه الفئة بشكل رئيسي الزراعة بأنواعها، من الفستق (الفول السوداني)، والحبوب، والذرة، وغيرها...، وكذلك معروفون بتربية الأغنام والأبقار، وصيد الأسماك.

وكان يدين عدد كبير منهم بالنصرانية، والوثنية الموروثة من الأجداد والآباء، كما انتشر بينهم بصورة ملحوظة السحر والكهنة، والخرافات، إلا أن دخول الإسلام في البلاد وانتشاره في جميع نواحيه بفضل الله تعالى ثم بجهود الدعاة والعلماء في أوساط هؤلاء وغيرهم جعل الأغلبية منهم الآن مسلمين.

٤- (جولا) **dioula**: وهي من القبائل السنغالية التي تسكن أساسا في المناطق الجنوبية، وهم يشتهرون بحب اللهو واللعب والرقص، كما انتشر بين بعض أفرادهم ظاهرة السحر والشعوذة، إلا أن هذه العادات والتقاليد في تلاشي بسبب احتكاكهم بالمسلمين. ويحترفون أساسا الزراعة عموما وخاصة الأرز و والخضروات، وهم يمثلون من مجموع السكان حوالي٣%.

٥- **قبيلة (ماندينكي Mandinke)** [(١)]: وهم يسكنون أصلا في جنوب البلاد، وشرقها، ويمارسون من المهن الزراعة والتجارة بشكل رئيسي. ويمثلون حوالي:١،١ % من مجموع السكان.

٦- **قبيلة (سراخلي Sarakhoule)**: وهم يقطنون في الأصل أقصى الشمال الشرقي من البلاد، ويشتغلون بالتعلم والتعليم الإسلامي خصوصا، ولهم دور كبير، وماض مجيد في نشر الإسلام وعلومه،

(١) وهي من القبائل القليلة العدد في السنغال، ويوجد منهم عدد كبير في جامبيا ومالي.

كما يحترف بعضهم التجارة[1]، كما أن لهم الفضل في نشر الإسلام في البلاد في بداية وصوله إلى المنطقة. ونسبتهم المئوية من مجموع السكان تقدر بـ: (١ %).

كما تقدر نسبة الأوروبيين واللبنانيين والعرقيات الأخرى بنحو: ٤،٩% من مجموع السكان.

ونسبة المسلمين من مجموع سكان البلاد تقدر بـ: ٩٦%، والنصارى يقدر عددهم بـ: ٣% من مجموع السكان، و١% يتوزع بين الوثنيين، واللادينيين[2].

الأقاليم الإدارية وعواصمها في السنغال:

يتكون السنغال حاليا من أربعة عشر إقليما، وتحت كل إقليم ثلاث مقاطعات، وتحت كل مقاطعة مديريتان أو أكثر، وتحت كل مديرية مجموعة قرى.

والأقاليم الموجودة كالتالي:

الإقليم	عاصمته
داكار (العاصمة)	داكار
تياس	تياس
ديوربل	ديوربل
كولخ	كولاخ
فاتيك	فاتيك

(١) المسلمون في السنغال، مصدر سابق، ص: ٩.

(٢) من الموقع الرسمي للحكومة السنغالية، بتاريخ ٢٩/١/١٤٣٣هـ.

لوغا	لوغا
سين لويس	سين لويس
تامبا كندا	تامبا كندا
كلدا	كلدا
زيغنشور	زيغنشور
كيدوغو	كيدوغو
ماتم	ماتم
سيجو	سيجو
كافرن	كافرن[١]

سبب تسمية السنغال بهذا الاسم:

أما تسمية السنغال بهذا الاسم: فموضع خلاف بين الكتاب والمؤرخين؛ فذهبوا في ذلك إلى أقوال كثيرة، سأذكر بعضا منها:

القول الأول: أن لفظ السنغال مكون من كلمتين؛ "سونو"، و"غال"، أي: سفينتنا بلهجة "الوولوف" التي هي السائدة والمهيمنة في البلاد. وكان ذلك إجابة على سؤال بعض السياحيين الأوروبيين الذين وصلوا إلى ضفاف نهر السنغال في مدينة "سين لويس" شمال البلاد، وهي كانت عاصمة السنغال في العهد الاستعماري؛ حيث وجهوا السؤال إلى بعض الصيادين الذين وجدوهم يصطادون الأسماك على النهر، فقالوا لهم: ما اسم هذه البلاد؟ مع الإشارة طبعا لعدم التفاهم في اللغة، وأجاب الصيادون

(١) من الموقع الرسمي للحكومة السنغالية، بتاريخ ١٤٣٣/١/٢٩هـ.

بالإشارة بالبنان "سونو غال" معتقدين بأن السؤال عن السفينة لا عن البلاد، فسجل أولائك السياح تلك الكلمة "سونو غال" كاسم لتلك البلاد، فاستمر ذلك مع مرور الزمن، وتناقل اللفظ بين الأجيال تحريفا وتغييرا حتى صار بهذا الاسم المعروف حاليا (السنغال)[١].

القول الثاني: أن لفظ السنغال مشتق من "سنغاي" نسبة إلى إمبراطورية سنغاي، وهي إحدى الإمبراطوريات القديمة المعروفة في المنطقة[٢].

القول الثالث: أن لفظ " السنغال" اشتق من نهر السنغال، ولكن هذا لا يحل المشكلة كما يقول أحمد شلبي في كتابه السالف الذكر، "لأن السؤال سيظل قائما مع تحول بسيط، هو لماذا سمي هذا النهر نهر السنغال..."[٣].

القول الرابع: هو أن تسمية السنغال بهذا الاسم لها ارتباط بقبيلة صنهاجة الأمازيغية العربية الذين نزلوا في المنطقة وعند مصب نهر السنغال في القرن الحادي عشر الميلادي؛ حيث اتخذوا هناك رباطا لتعليم الناس الإسلام والعبادة، ومن هناك انطلقوا بدعوتهم الإسلامية إلى بقية المناطق، وحققوا انتصارات كبيرة، ومع مرور الأزمان وتداول الكلمة (صنهاجة) من جيل إلى جيل، ومن قوم إلى آخر إلى أن حصل لها التغيير والتبديل وصارت (السنغال) كما هو معروف حاليا، على نحو ما فعله اللسان الأفريقي بأكثر الكلمات التي اقتبسها من اللغة العربية، أما اسم البلاد قبل ذلك هو (بلاد تكرور)، وهذا الأخير هو الراجح عند أكثر الكتاب والمؤرخين – فيما أعلم–، ولعله هو الصواب[٤].

(١) انظر: صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، عثمان انجاي، ص: ١٥، مطبعة خطاب، ط١، شارع قصر النيل، القاهرة، دون سنة الطبع.

(٢) صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، المصدر السابق، ص:١٦.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي، مصدر سابق، ص: ٥٢١.

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامي، مصدر سابق، ص:٥٢٢.

الفصل الأول

الفتح الإسلامي للسنغال وتاريخ الدعوة الإسلامية.

المبحث الأول

الفتح الإسلامي للسنغال.

التمهيد:

إن قواعد البحث العلمي ومتطلباته تدعو إلى إلقاء الضوء على تاريخ بداية دخول الإسلام القارة الإفريقية بصفة عامة قبل وصوله إلى غربها وإلى السنغال بالذات.

فقد عرفت القارة الإفريقية الإسلام في وقت مبكر، بل في أول نشأته وظهوره للناس، حيث عرَّض الرسول ﷺ – أصحابه – بالهجرة إلى الحبشة فرارا بدينهم كما قال ابن هشام في كتابه: "السيرة النبوية" حيث قال: (قال ابن إسحاق: فلما رأى النبي ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: (لو خرجتم إلى الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه) فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب الرسولﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام) (1).

فإن الملك كان كما توسمه النبي ﷺ فرحب بهم وبدينهم بعد ما سمع منهم ما جاءوا به من الله ﷻ، فأصبحوا أحرارا في ممارسة عباداتهم وشعائرهم الدينية، وذلك في السنة الخامسة من البعثة النبوية ،

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، (١/٣٢١) مؤسسة علوم القرآن بيروت– لبنان، ط: بدون.

فهـذه بداية دخـول الإسـلام إلى القـارة الإفريقيـة، ثم في السـنة التاليـة أي السادسـة بـدأ النـبي ﷺ بإرسـال الرسل إلى الملوك لدعوتهم إلى (الإسلام).

فوجـه رسـالة إلى المقـوقس عظـيم القـبط في مصـر علـى يـد حاطـب بـن أبي بلتعـة، فرحـب الملـك بالرسالة، ورضي بالإسلام، بل وأهدى هدايا ثمينة إلى النبي ﷺ منها مارية القبطية أم إبراهيم[1]، فهذه سفارة ثانية تمهد الطريق لفتوحات لاحقة لهذه القارة لينشر فيها الإسلام.

وفي عهد الخلفاء الراشدين توسع الأمر، وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص ﷺ بأمر من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ وذلك في سنة ٢٠ هـ، ثم فتحت الإسكندرية وبرقة سنة ٢١هـ، وكذلك طرابلس الغرب سنة ٢٢هـ، وبعد ذلك (كتب عمرو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يخبره بما أفاءه الله عليه من النصر والفتح وأن ليس أمامه إلا بلاد أفريقية وملوكها كثير وأهلها في عـدد عظـيم وأكثـر ركـوبهم الخيـل فـأمره بالانصـراف عنهـا فـأمر عمـرو العسـكر بالرحيـل قـافلا إلى مصر)[2].

ولما تولى أمور المسلمين عثمان بن عفان ﷺ عزل عمرو بن العاص وعين مكانه عبد الله بن أبي السرح ﷺ، وأذن له في فتح إفريقيا، ففتح قاعدتها قرطاجة سنة ٢٧هـ، ثم جاء القائد العظيم عقبة بن نافع الفهري في ولايته الأولى لإفريقيا سنة٥٠إلى ٥٥هـ في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ، ووسع دائرة الفتح، ففتح القيروان واتخذه قاعدة له، كما رجع إلى إفريقيا لولايته الثانية في عهد يزيد بن معاوية سنة

(١) راجع إفريقية المسلمة ، الخليل النحوي ،ص:١٠ ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت– لبنان، ط: الأولى ١٩٩٤م.
(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (المتوفى: نحو ٦٩٥هـ)، (٨/١). تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط: ٣، ١٩٨٣م، دار الثقافة، بيروت – لبنان.

٦٠إلى ٦٣- ٦٤هـ لاختلاف الروايات[١]، حيث واصل الفتح حتى وصل إلى بلاد السوس في غرب إفريقيا، وبنى بها مسجدا[٢].

وذكر ابن عذاري المراكشي (أنه عندما وصلت جيوش عقبة إلى المحيط الأطلسي أقحم فرسه في البحر حتى وصل الماء إلى بطنه، ثم رفع يديه إلى السماء قائلا: يارب، لو لا أن البحر منعني لمضيت في البلاد مدافعا عن دينك مقاتلا من كفر بك) [٣].

استشهد عقبة بن نافع رحمه الله في معركة جرت بينه وبين القائد النصراني (كسيلة بن لمزم) في موقع يقال له (تهودة) عام ٦٣ أو ٦٤هـ[٤] وبهذا الفتح لشمال إفريقيا على يد هذا القائد العظيم انتقل الإسلام لأول مرة -كما تقول المصادر- إلى غرب إفريقيا (السنغال وما حوله)[٥]، ثم ينتشر بعد ذلك شيئا فشيئا حتى وصل إلى كثير من الأماكن في المنطقة بسهولة ويسر، دون معارك أو قتال.

---

(١) السلفية وأعلامها في موريتانيا، الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين، ص:٦٧، ط: ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، دار بن عزم، بيروت – لبنان، أصل الكتاب رسالة ماجستير قدمت في قسم العقيدة بجامعة أم القرى، وإفريقية المسلمة، المرجع السابق، ص:١١،

(٢) وهم قبيلة من سوننكي منتشرة في كثير من البلدان في غرب إفريقيا :مثل مالي، وبوركينافاسو، وغيرها ،كما يقول الخليل النحوي في المرجع السابق، ص:١٦.

(٣) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، المصدر السابق، (٢٧/١).

(٤) السلفية وأعلامها في موريتانيا، المرجع السابق، ص: ٧٠.

(٥) غرب أفريقيا بلغة العصر الحاضر يشمل ست عشرة دولة في مساحة مابين المحيط الأطلسي غربا وجنوبا، وجمهورية تشاد وكامرون شرقا، وليبيا وتونس شمالا، وهي: السنغال- مالي- بوركينافاسو - توغو- غينياكناكيري- غينيا بيساوو - جامبيا- مورتانيا - تشاد – غانا - بنين- نيجر- نيجريا- سيراليون - ليبريا- مورتانيا، وتبلغ المساحة التي تشملها هذه البلاد حوالي ستة ملايين كيلو متر مربع تقريبا. المرجع في هذا هو: روائع المعلومات عن أقطار إفريقيا، وبعض ما نبعت فيها من المملكات، مصطفي زغلول السنوسي، ص:١١٢، مطابع الشرق الأوسط، ط:١، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

طرق وصول الإسلام إلى إفريقيا:

هناك ثلاث طرق رئيسية لوصول الإسلام إلى القارة السمراء، وهي:

١- من المدينة المنورة إلى دمشق، ومن دمشق إلى فسطاط (مصر)، ومن مصر إلى قيروان، و من هناك إلى شمال إفريقيا عبر الصحراء، ثم إلى غانا القديمة التي كانت تشمل كلا من السنغال، ومالي، وموريتانيا.

٢- من المدينة المنورة إلى مصر، ثم إلى السودان الشرقي وما جاورها عبر النيل.

٣- من المدينة المنورة إلى الصومال عن طريق باب المندب، ثم إلى مناطق الشرق الأقصى من إفريقيا[١].

وهذا يوضح أن الإسلام قد وصل إلى غرب إفريقيا وإلى السنغال بالطريقة الأولى.

المطلب الأول

دخول الإسلام السنغال

نلاحظ فيما سبق أن الإسلام وصل إلى هذه المنطقة (السنغال وما حوله) في القرن الأول من الهجرة النبوية بعد وصول القائد العظيم عقبة بن نافع إلى شمال إفريقيا عام: ٥٠هـ. لفتحه، ثم ما بين ٦٢-٦٤هـ — ٦٨١-٦٨٤م كانت عودته الثانية إلى المنطقة[٢]، ولما قتل عقبة بن نافع في الصحراء

(١) الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا، عمر صالح باه، وهي أطروحة دكتوراه، نوقشت في جامعة سور بون بباريس، سنة: ١٩٨٦م، ص: ٣٢- ٣٣، ط: بدون.

(٢) إفريقية المسلمة، نفس المصدر، ص: ١٠.

عام: ٦٨٣م واصل العرب والبربر فتحهم شمال الصحراء، مرورا بـ: "سجلماسة"[١] إلى المناطق الغربية بوادي السنغال، وإلى " أوذاغست"[٢] عاصمة مملكة البربر الواقعة في الشمال الشرقي من نهر السنغال، كما يقول الدكتور عامر صمب الأديب السنغالي[٣].

كما نلاحظ أن للتجار الدعاة الذين كانوا يجوبون الصحراء من الشمال إلى الجنوب أو العكس بهدف تبادل البضائع مع سكان المنطقة دور ا كبيرا في إيصال الإسلام إليهم وهؤلاء هم الفنيقيون والقرطاجيون، والرومان، والعرب[٤] .

أما العرب فكانوا يحملون من البضائع (السيوف، والرماح، والملابس) وغيرها، ويبيعونها في غانا، ومالي، وبلاد التكرور[٥] وغيرها، ثم يعودون من تلك البلاد بريش النعام، والعاج، والعبيد، والذهب، وغيرها من أنواع البضائع التي كانت تتداول فيما بينهم، وبهذا التعامل والاحتكاك وجد سكان غرب إفريقيا من هؤلاء التجار المسلمين ثقة وأمانة، مما هيأ الجو أمامهم لقبول هذا الدين الجديد (الإسلام)

(١) (سجلماسة):بكسر أوله وثانيه، وسكون اللام، وبعد الألف سين مهملة هي: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين (فاس) عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منطقة جبل (درن) وهي في وسط رمال (كرمال زرود)، ويتصل بها من شمالها جدد من الأرض، يمر بها نهر كبير. انظر: معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت ٦٢٦هـ، (١٩٢/٣) دار صادر، بيروت لبنان، ط: ٢، ١٩٩٥م.

(٢) (أوذغست): بالفتح ثم السكون، وفتح الذال المعجمة والغين المعجمة، وسكون السين المهملة، والتاء فوقها نقتطان، قال ابن حوقل: دون (لمطة) من بلاد المغرب(تامدلت)وعلي جنوبها أودغست مدينة، وعلى سمتها في نقطة المغرب (أوليل)، وبين سجلماسة إلى أوذغست مسيرة شهرين على (سمت المغرب)، فتقع منحرفة محاذاة عن (السوس) الأقصى كأنهما مع سجلماسة مثلث طويل الساقين، أقصر أضلاعه من السوس إلى أوذغست، وهي مدينة لطيفة أشبه بمكة شرفها الله وحماها؛ لأنها بين جبلين. معجم البلدان، لشهاب الدين، (٢٧٧/١) المصدر السابق ذكره آنفا.

(٣) "الأدب السنغالي العربي (الهدية السنغالية من المرجان في العقود الأدبية للعربان)" د. عامر صمب، أديب سنغالي، (١٨/١)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة الطبع بدون.

(٤) انظر: توجيه الدعوة والدعاة في نيجريا وغرب إفريقيا، آدم آلوري، ص: ٩، مطبعة الأمانة القاهرة، ط:١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٥) غانا ومالي كانتا مملكتين قويتين في غرب إفريقيا منذ ما قبل الإسلام، أما لفظ (تكرور) فكان يطلق علي مناطق معينة من شمال السنغال إلى شرقه، كما كان يطلق أيضا علي جميع المناطق التي يسكنها السود من وادي النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، انظر: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، (١٨٥٢/٣) شاكر مصطفي، دار العلم للملايين بيروت، ط: ١، أكتوبر ١٩٩٣م.

والالتحاق به تدريجيا حتى أصبح في يوم من الأيام دين غالبية سكان المنطقة إلى حين وصول الاستعمار والإرساليات إليها، ولولا هما لعم الإسلام المنطقة كلها[1].

وعلى هذا بات واضحا أن الإسلام وصل إلى غرب إفريقيا في القرن الأول للهجرة، وبطريق سلمي هادئ، كما قرر المؤرخون واتفقت عليه المصادر.

إلا أن انتشار الإسلام بشكل كبير في المنطقة حصل في أيام المرابطين حيث قاموا بالجهاد ضد الوثنيين في منا طق عديدة.

أما من يقول بأن الإسلام قد وصل إلى غرب إفريقيا في عهد المرابطين أي: القرن الخامس الهجري، ا لموافق الحادي عشر الميلادي فهذا جهل عن تاريخ المنطقة، أو التباس عندهم، وخلط بين الأمرين: (الوصول والانتشار)؛ كما هو واضح في العرض السابق.

وهذا لا يتناقض مع ما قلت بأن الإسلام وصل إلى المنطقة في القرن الأول، وبطريق سلمي؛ إذا فرقنا بين وصوله إلى المنطقة وبين انتشاره فيها من جانب، ولأن مرحلة الجهاد هذه في أيام المرابطين المتأخرة كما رأيت، أضف إلى ذلك أن الإسلام كدين جديد وعقيدة جديدة لا يمكن أن يصل إلى تلك المناطق التي تسودها عبادة الأصنام والديانات المجوسية لقرون عدة فيدخله الجميع دفعة واحدة، كما أشار البكري إلى هذه النقطة في كتابه "المسالك والممالك"[2].

وكذلك ليس بالضرورة أن يصطدم الجيش الإسلامي مع سكان أي بلد دخله لفتحه، بل قد لا يصل الأمر إلى القتال؛ لأن القتال آخر مرحلة من مراحل الجهاد، كما هو معروف في شروط الجهاد في تاريخ الفتوحات الإسلامية، منذ عهد النبي ﷺ، ولهذه الميزة التي حظي بها وصول الإسلام إلى المنطقة صعب على المؤرخين والكتاب تحديد تاريخ موثوق به لوصول الإسلام إلى غرب إفريقيا؛ لأنه لم يتم عن طريق الحملة العسكرية، ولم يرتبط بسقوط مملكة أو هزيمة جيوش معادية للمسلمين في واقعة ما، حتى يؤرخ بذلك الحدث، كما يقول عبد القادر سيلا في كتابه "المسلمون في السنغال"[3] وغيره من الكتاب والمؤرخين.

---

(١) انظر: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، مهدي رزق الله، ص: ٦٦، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط:١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، بتصرف.

(٢) المسالك والمملك، أبوعبيد البكري، القرطبي، المتوفى ١٠٩٤م، ص: ٨٧٣، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، سنة الطبع بدون.

(٣) الإسلام والمسلمون في السنغال، مصدر سابق، ص: ١٣.

المطلب الثاني

دور المرابطين في نشر الثقافة الإسلامية في المنطقة

(السنغال وما حوله).

من بين القبائل التي كانت تسكن غرب إفريقيا فترة وصول الإسلام وما بعدها قبيلة صنهاجة وهم المرابطون، ومن أهم أفخاذها(لمتونه وجداله ومسوفة ولمطة)، وسموا بالمرابطين لما كانوا يتخذون بعض الرباط[1] لإعداد الناس روحيا وجسميا، أو علميا وعسكريا، ويطلق عليهم أيضا اسم (الملثمين)، أو على (لمتونة) فقط على قول[2]

واختلف في سبب تسميتهم بالملثمين؛ فقيل: لشهرتهم في التلثم، حتى أصبح شعارا لهم، وقيل: لشدة الحياء عندهم، كما قال الشاعر أبو محمد بن حامد الكاتب – مرجحا في نفس الوقت نسبتهم إلى حمير اليمنية حيث قال:

---

(١) الرباط: كما يقول صاحب القاموس المحيط أن من معانيها: المواظبة علي الأمر، وملازمة ثغر العدو، كالمرابطة، (٦٦٧/١).

(٢) انظر: بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي ص:١٩، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،١٩٨٧، وانظر أيضا: المرابطون تاريخهم السياسي، محمد عبد الهادي شعيرة، ص:٣١، مكتبة القاهرة الحديثة، ط: بدون.

قَوْمٌ لَهُمْ شَرَفُ الْعُلَى مِنْ حِمْيَرٍ   وَإِذَا انْتُمُوا لُمْتُونَةً فَهُمْ هُمُ
لَمَّا حَوَوْا إِحْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ   غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمُو، فَتَلَثَّمُوا[(١)].

كما يقول آخرون بأن سبب التلثم هو الاتقاء من ضربات الشمس، والرياح التي تشتد في تلك المناطق التي تسكنها صنهاجة، فتلثموا وقاية منها.

ولكن في الحقيقة أرى أنه لا مانع من الجمع بين تلك الأقوال؛ لأنه لا تعارض فيها، أما نسبتهم إلى حمير فمما يؤكد ذلك قول ابن خفاجة في ديوانه، حيث قال:

تُنْمِيهِمُ الدُّنْيَا إِلَى صَنْهَاجَةٍ   وَالدِّينُ يُنْمِيهِمْ إِلَى الْأَنْصَارِ
شَادَتْ يَدُ الْعَلْيَاءِ فِي عَرَصَاتِهِمْ   أَعْلَى مَنَارٍ فِي أَعَزِّ الدِّيَارِ[(٢)].

وأصبح يطلق على تلك المناطق الشاسعة التي يسكنها هؤلاء اسم (بلاد صنهاجة)، أو (بلاد شنقيط)، أو (صحراء الملثمين)، وذلك بسبب انتشارهم فيها في القرون الإسلامية الأولى، وهم الأكثر من غيرهم من سكان المنطقة عددا ونفوذا[(٣)].

كما أنهم وحدوا بين القبائل الثلاثة الصنهاجية بهدف تأمين الطرق التجارية في الصحراء وما حولها من خطر مملكة (غانا) (٤) الوثنية التي تعتبر من أقدم الممالك في المنطقة إن لم تكن أقدمها، وانتشرت في أرجاء هذه المملكة عبادة الأصنام والمجوسية كما يقول البكري في المسالك والممالك، ص: ٨٦٨ ، وكانت تهدد التجارة في المنطقة حينذاك، ولكن ذلك الاتحاد لم يكتب له عمر طويل، فوهن وتفرقت

(١) انظر: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المصدر السابق، ص:١٩، وانظر أيضا: المرابطون تاريخهم السياسي، المصدر السابق، ص:٣١.
(٢) ديوان ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح الأندلسي (ت ٥٣٣هـ)، ص:٥٥، طبع بمطبعة خاصة بجمعية المعارف بمحروسة مصر، سنة الطبع: بدون.
(٣) بلاد شنقيط المنارة والرباط، المصدر السابق، ص: ١٩.
(٤)٨٦٨ وسيأتي الكلام عن مملكة (غانا) بتفصيل أكثر.

كلمة القوم، وانتهزت (غانا) تلك الفرصة السانحة، فهاجمت بعض الأماكن الاستراتيجية التي كانت تمر بها القوافل التجارية من البربر والعرب.

وفي القرن ١١ الميلادي بعدما دخل كثير من قبائل صنهاجة الإسلام وانتشر هذا الدين الحنيف بين الأفراد والمجتمعات، وأصبح الجو بطابع إسلامي في تلك المناطق التي تسكنها صنهاجة وجدوا أنفسهم في حاجة ماسة إلى توحيد كلمتهم، وصفوفهم؛ لمواجهة الخطر القادم من طرف غانا القوية، ونموها السريع، مما يهدد وجودهم وأمنهم في المنطقة، فقاموا بالفعل سنة: ٤١١هـ - ١٠٢٠م بتوحيد القبائل، وجعلوا زمام الأمور على يد رجل يسمى بـ"ترسانا" كان زعيم قبيلة "لمتونة".

ويعتبر أول زعيم صنهاجي أدى فريضة الحج، كما أنه اقتنع خلال بقائه في مكة المكرمة والأراضي المقدسة بفكرة الجهاد؛ لإعلاء كلمة الله ﷻ، وقد استشهد وهو يقاتل الوثنيين عام ١٠٢٣م، وكان أول من بذر بذور الجهاد في غرب إفريقيا، وتبعه الرجل الثاني يحيى بن إبراهيم شيخ جدالة، وزوج ابنته ليستلم زمام الأمور ويكمل الرسالة[(١)]

ولما تولى يحيى بن إبراهيم زعامة صنهاجة وهاله أمر قومه في البعد عن الإسلام وتعاليمه والانغماس في الحرام والمنكرات، الأمر الذي ينذر بعودتهم إلى عبادة الأصنام مرة أخرى، وكان قد أراد أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام حوالي عام: ٤٣٠هـ. وخرج بالفعل قاصدا تلك البقاع المقدسة في رؤساء من قومه، وفي أثناء عودته من الحج مر بالقيروان حيث الشيخ المالكي أبي عمران الفاسي، وطلب

(١) الإسلام والمسلمون، المصدر السابق ص:٦-٧.

منه أن يرسل معهم عالما فقيها إلى بلادهم؛ ليعلم القوم ويرشدهم إلى صراط الله المستقيم فأرسل معهم عبد الله ابن ياسين، بعدما استو عر هذه المهمة كثير من الناس[١].

دور عبد الله ياسين المتميز في نشر الثقافة الإسلامية في المنطقة

تقدم هذا المجاهد الكبير عبد الله ياسين لتخطي تلك الأخطار؛ لأنه ليس من السهل أن يترك الإنسان أهله ووطنه إلى مكان بعيد ومجهول عنده، لا يدري ماذا يجد هناك، ولكن بقوة عزيمته وصدق إخلاصه تغلب على كل ما يمكن أن يختلج في نفسه، ولما وصل الشيخ عبد الله ياسين إلى المناطق الشمالية حيث يسكن خليط من العنصر الإفريقي (الزنجي) والبربر، وغيرهم وغالبية سكانها هم البرابرة، بدأ الشيخ معهم في التوجيه والإرشاد، ومحاولة ثنيهم عن غيهم وضلالهم إلى الحق والصواب، و من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام، متفننا في أساليب الدعوة، ولكن دون جدوى، بل جابهوه بالعنف والعناد الشديدين، كما تقول المصادر[٢].

ولما يئس منهم ولم يحالفه أمل في رجوعهم إلى الحق تنحى صوب الجنوب، حيث يسكن العنصر الإفريقي (الأسمر)، لعله يجد منهم ما يسره، ويثلج صدره؛ لأن همته العالية ونيته الصادقة لا تتركان له المجال للعودة إلى قيروان دون تحقيق هدفه.

ومن هناك اتجه إلى حوض نهر السنغال ليتخذ هناك مقرا له مع بعض أتباعه بهدف التعليم والإرشاد، ولإعداد النفس للجهاد في المستقبل إن دعت الحاجة إليه.

(١) انظر: أحمد شلبي، المصدر السابق، ص: ٨، بتصرف، وانظر أيضا: المرابطون تاريخهم السياسي، المصدر السابق، ص: ٣٤.
(٢) انظر: الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا، مصدر سابق، ص: ٤٤.

فسمي هذا المقر الذي اتخذه ابن ياسين ومن معه من أتباعه (رباطا)، وساكنوه (مرابطين)، كما تقول المصادر.

وهذا يؤكد ما قاله أحمد شلبي في كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي، ص: ١٠٧، يقول: نقلا عن ابن خلدون أن عبد الله بن ياسين بعد وصوله إلى المنطقة بدأ في مهمته يعلم الناس تعاليم الدين الإسلامي والقرآن الكريم، ولما مات يحيى بن إبراهيم ٤٤٠هـ افترق أمر الملثمين واطرحوا عبد الله بن ياسين، واستصعبوا أمره، وتركوا الأخذ عنه لما تجشموا فيه مشاق التكليف، فأعرض عنهم ونهج نهجا آخر، وتمسك معه يحيى بن عمر من رؤساء لمتونة، وبعض المريدين، فأخذوا رباطا في مصب نهر السنغال بمدينة "سان لويس"[(١)] كقاعدة لهم يرابطون فيها للجهاد ضد الكفار، وللعبادة والتأملات الروحية).

حيث خطب فيهم عبد الله بن ياسين قائلا: (إنكم لن تغلبوا اليوم عن قلة، اخرجوا علي بركة الله، وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله، وأبلغوهم محبته، فإن تابوا وأنابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم، وإن أبوا ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم، اشتعنا بالله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا...) [(٢)].

(١) هي مدية تقع في شمال السنغال، كانت عاصمتها سابقا، كما كانت المقر الرئيسي للاستعمار في غرب إفريقيا عموما.

(٢) انظر: موسوعة أحمد شلبي، مصدر سابق، ١٠٧، والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، مصدر سابق، ص: ٤٥، يقولان: لما بلغ عددهم ألف شخص وأصبحوا في قوة خطب فيهم عبد الله ياسين ...مع خلاف بسيط بينهما في صيغة الخطبة.

المطلب الثالث

طريقة انتشار الإسلام في السنغال

ومن هناك قام عبد الله بن ياسين الذي له دوره فعال في انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في المنطقة، بحملات كثيرة ضد الوثنيين لإنقاذهم مما هم فيه من جهل وظلام إلى علم ونور، وكان يحالفه كثيرا في تلك المعارك النصر والتمكين.

وقد استطاع بعد جهاد دام أكثر من خمس عشرة سنة السيطرة على جزء كبير من "غانا" وضمه إلى دولة المرابطين[(١)] ولما استشهد رحمه الله عام ٤٥١هـ في إحدى المعارك بين المرابطين وبين البرغواطيين ودفن بموضع يعرف ب "كريفة" على مقربة من مدينة الرباط التابعة للمملكة المغربية حاليا، لم يتلاش الأمر، بل بقي أثره المبارك، واستمر مرافقوه في المهمة حتى أسلم ملوك غانا وحسن إسلامهم، وقد شاركوهم في الجهاد ونشر الحق وكذلك أسلم ملك تكرور (وارجابي بن رابيس) المتوفى سنة ٤٣٢هـ-١٠٤٠م، ولم يكتف هذا الأخير بدخوله في الإسلام فحسب، ولكن شجع الناس على الدخول فيه، وجعل مملكته مملكة إسلامية، وكان بينه وبين المرابطين حلف وثيق[(٢)] .

وهناك بعض القبائل لم تخضع للإسلام ولكنها اضطرت أن تنسحب إلى مناطق أخرى، مثل قبيلة (سرير) حيث تنحت نحو الجنوب وإلى الغرب، بينما توجهت (قبيلة فولب) إلى فوتا تورو.

---

(١) انظر: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، حسن محمود، ص: ١٨٢، دار الفكر العربي ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ط :بدون.

(٢) المغرب في ذكري بلاد أفريقية والمغرب، أبو عبيد البكري المتوفى ٤٨٧هـ، ص: ١٦٧، مكتبة المثني، بغداد، سنة الطبع بدون، وأفريقية المسلمة، مصدر سابق، ص:١٦، والسلفية وأعلامها في موريتانيا، المرجع السابق، ١٦٥.

ومن ثم انطلقت الدعوة المباركة على يد عبد الله بن ياسين بمراحلها المختلفة كما رأيت، بدءا بالطابع السلمي بالحكمة والموعظة الحسنة، إلى مرحلة الجهاد الذي من أهدافه إزالة العقبات عن طريق الدين الحنيف أمام الراغبين في الدخول إليه، دون أية عقبة أو عائق من الجبابرة والمجرمين قال تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهكذا انتشر الإسلام في منطقة نهر السنغال، وفي بقية المناطق المجاورة والبعيدة بفضل الله تعالى ثم بجهود هؤلاء المرابطين الأبطال والدعاة المخلصين، بعد دخوله عن طريق سلمي هادئ كما قررنا، باحتكاك التجار الدعاة، أولئك الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ [النور: ٣٧].

وهذا ما اتفق عليه عدد من المؤرخين والكتاب الأفارقة وغيرهم ، يقول ممدو (محمد) ضيا سنغالي (أن هذا الطابع السلمي يشكل سمة فارقة بين الإسلام وبين الاستعمار الذي يطبع العنف حركته)[(١)].

ونقل الخليل النحوي عن آدم عبد الله الآلوري يقول: (أما ما يتشدق به النصارى أن الإسلام قد انتشر بالقهر فعليهم أن يفسروا بقاء الوثنيين الذين ظلوا يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين تحت كنف الدولة الإسلامية في كل قطر من الأقطار التي حكمتها تلك الدولة منذ قرون...)[(٢)].

وهكذا نري بوضوح سماحة هذا الدين الحنيف وبوصفه دين رحمة وسلام، وأمن وأمان، خلاف ما نجده في كل قطر تمت السيطرة عليه من قبل اليهود أو النصارى، وأقرب مثال لذلك حالة هذه القارة

(١) Joceph Couq: Histoir l, islamisation de l, afrique de l, ouste. P:47. mamadou dia, idem p: 65

(٢) إفريقية المسلمة، مصدر سابق، ص:١٤.

التي نحن في صدد دراسة جزء منها، وحالتها المؤسفة من التخلف الحضاري والثقافي والاقتصادي... ومن المسؤول عن تلك الكوارث؟!

فكل من تأمل وبصر بعين العدل والإنصاف سيجد ما يندى له الجبين من دمار وفساد في الأموال وفي النفوس وفي الأخلاق بين شعوب هذه القارة المسكينة، لقد عتوا في أرضها فسادا، وأشعلوا فيها نار الحروب والمجاعة والأمراض الفتاكة، وصيروها بحالتها هــذه، حيث
نهبوا خيراتها المادية والبشرية، ومع كل ذلك مازالوا ولا يزالون يدبرون خططا مدروسة ومحكمة لإبقائها في حالتها هذه أو أشد إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا وأبناءها في نوم عميق!! مطبقين سياسة (جوع كلبك يتبعك) وهم دعاة الديمقراطية والعدل والمساواة على حد قولهم!!

وفي ظل هذه الظروف الصعبة انتشر الإسلام في المنطقة على يد المرابطين كما قلنا، ما يؤكد كون هذا الدين (الإسلام) دين الفطرة، ولأنه مؤيد من الله ﷻ وإلا ما وجد القبول في النفوس والقلوب مع تلك الظروف.

وقد وحد المرابطون صفوفهم وأصبحوا يمثلون قوة كبيرة، حيث تمكنوا في عام ١٠٥٥م من فتح مدينة (أوذغست) وعاقبوها بدفع الجزية علي خضوعها لإمبراطورية غانا واستسلامها لها، ثم بعد ذلك توجهوا إلي عاصمة غانا (كومبي صالح)(١) وفتحوها عام ١٠٧٦م فأقاموا عليها حاكما مسلما، ومنذ ذلك الوقت صار ملوك غانا من المسلمين(٢).

---

(١) هي العاصمة لإمبراطورية غانا في وقتها، وهي تقع حاليا شمال باماكو عاصمة دولة مالي على بعد حوالي مائتي ميل منها كما قال لي أحد الزملاء من أبناء تلك البلد (مالي).

(٢) حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، مصدر سابق، ص:٢٢.

بعد هذا العرض الذي يحتوي تاريخ وكيفية دخول وانتشار الإسلام في المنطقة (السنغال وما حوله) يمكن أن نستخلص منه النتائج التالية:

١- أن الإسلام وصل إلى المنطقة (غرب إفريقيا) في القرن الأول للهجرة، لا في القرن الخامس الهجري (أيام المرابطين) كما يعتقد بعض الكتاب والمؤرخين[1].

٢- قد وصل الإسلام إلى المنطقة أول ما وصل عن طريق سلمي هادئ بواسطة التجار الذين كانوا يتنقلون ببضائعهم من الشمال إلى الجنوب أو العكس، فتأثر بهم أهل المنطقة بعد الاحتكاك بينهم بسبب حسن المعاملة، وبساطة الخلق التي تحلى بها أولئك التجار كما سبق.

٣- أن الإسلام لم ينتشر في المنطقة بشكل واسع إلا في أيام المرابطين فما بعدها، حيث إنهم أدوا دورا كبيرا سجله لهم التاريخ في نشر هذا الدين الحنيف في المنطقة، وخصوصا في أيام عبد الله بن ياسين الذي اتخذ رباطه في مصب نهر السنغال ومنطلقا لدعوته المباركة.

المطلب الرابع

العوامل التي أسهمت في انتشار الإسلام في المنطقة

وصل الإسلام إلى المنطقة في وقت مبكر –كما أسلفنا–، مع فتح العرب شمال إفريقيا بقيادة عقبة ابن نافع الفهري، سنة: ٥٠ إلى ٥٥هـ، ثم في دوره الثاني من سنة ٦٠ إلى ٦٣أو ٦٤هـ كما سبق، حيث وصل الإسلام مع هذا الفتح إلى منطقة غرب إفريقيا.

ولكن ما هي العوامل التي جعلته منتشرا ومقبولا بين الشعوب والمجتمعات الإفريقية، هذا السؤال ما سنجيب عنه في الفقرة التالية.

من تلك العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام في منطقة السنغال وما حوله ما يلي:

١- يُسر العقيدة الإسلامية، وسماحتها، وملائمتها للفطرة، بل هي الفطرة.

٢- تفوق المسلمين الفكري والخلقي في ذلك الوقت.

٣- موقف الإسلام من الرق.

٤- موقف الإسلام من التمييز العنصري.

٥- دور الدعاة المرابطين وغيرهم.

٦- التجار من العرب والبربر، وغيرهم.

٧- اعتناق بعض زعماء القبائل للإسلام، وبالتالي يتبعهم قومهم في ذلك.

٨- هتافات حجاج غرب إفريقيا بالتكبير والتهليل أثناء توجههم إلى أداء فريضة الحج، مما دفع سكان المنطقة إلى التساؤل عن شأن هذا الدين الجديد (الإسلامي).

٩- اللغة العربية؛ لأنها دخلت المنطقة في وقت مبكر، وكانت لغة التواصل بين الملوك والاستعمار من جهة، وبين زعماء الدين وبين الاستعمار من جهة أخرى، واستمر ذلك مدة طويلة، وسيأتي التفصيل حول هذه النقطة في المباحث القادمة.

١٠- "تشيدو" (الصعاليك)؛ لأنهم كانوا يزعجون الناس العاديين، ويخوفونهم، بل ويضرونهم في دمائهم وأموالهم مما ألجأ هؤلاء إلى البحث عن مكان آمن، ولم يروا في ذلك ما هو أنسب من بيوت زعماء الدين، فتوجه إليهم عدد كبير، وبالتالي يدخلون الإسلام بفضل الله وتوفيقه، ويجدون فيه ما لا يجدونه في غيره من أمن واستقرار وحرية... الخ.

١١- زعماء الطرق الصوفية، كالقادرية، والتجانية، والسنوسية، وغيرها؛ لما كانوا يقومون به من دعوة الناس إلى الجهاد ضد الاستعمار، وضد الكفار والوثنية، وكذلك قيامهم بتعليم الناس مبادئ الإسلام، ثم إرسالهم إلى أماكن أخرى، لدعوة الناس إلى الإسلام، كما كانوا يشترون العبيد لتحريرهم

ترغيبا لهم في هذا الدين الحنيف، مع ملاحظات عليهم نفصلها في المبحث الخاص بالصوفية، كتحد من تحديات الثقافة الإسلامية[1].

ومن عوامل انتشار الإسلام في المنطقة زعماء الطرق الصوفية –كما أسلفت–، وأريد هنا تقديم نموذجين من حركات أولئك الزعماء؛ أحدهما: يمثل حركة الشيخ عمر بن سعيد الفوتي الذي جاهد في الله ضد الاستعمار والوثنيين عسكريا. والثاني يمثل حركة الشيخ أحمد بامبا الذي جاهد في الله تربويا؛ حيث كان معسكره عبارة عن مقر لتربية النفوس وإعداد الرجال معنويا.

أولا/ حركة الشيخ عمر الفوتي:

أ– **التعريف به:** هو الشيخ عمر بن سعيد تال الفوتي، نسبة إلى "فوتا تورو"[2] ولد حوالي ١٧٩٦–١٧٩٧م، في قرية "حلوار" ببلاد "فوتا" في شرق السنغال، ووالده سعيد من قبيلة "تكلور" ، ومن طبقة "توروبي" أي: (الأشراف)، فأخذ تعاليمه الأولية من والده، ومن شيوخ جامعة "بر"[3]، وعن بعض العلماء الموريتانيين بعد حفظه لكتاب الله ﷻ، حتى نال حظا

وفيرا من الفقه المالكي السائد في غرب إفريقيا، كذلك في النحو والعروض والبلاغة وغيرها من العلوم الإسلامية. كما شد رحله إلى "فوتا جالون" في غينيا لطلب العلم قبل توجهه إلى الشرق الإسلامي لأداء

(١) انظر: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، عثمان بارايامباري، ص:٨، دار الأمين، القاهرة، ط: ١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، وحركة التجار، مصدر سبق ذكره، ص: ١٤٩.

(٢) هي عبارة عن مناطق واسعة تضم مدنا وقرى كثيرة، تقع شرق السنغال، وهي أول منطقة وصل إليها الإسلام من مناطق البلد، كما أن أهلها هم أول من اعتنقوا الإسلام من أبناء الشعب السنغالي ثم نشروه إلى غيرهم من سكان المنطقة، وأثر تمسكهم بالإسلام والحرص عليه ما زال موجودا في أبناء هذه المنطقة إلى اليوم.

(٣) مدينة في إقليم تياس على بعد ١٠٠ كيلو متر تقريبا من العاصمة داكار، تضم أشهر مدرسة إسلامية في البلد، وتخرج فيها كبار علماء البلد، أمثال قاضي مجختي كالا، والشيخ عمر الفوتي، وغيرهم كما يقول د. محمد أحمد لوح في كتابه (التعليم الإسلامي في السنغال) السابق الذكر، ص: ٣٠١.

فريضة الحج في سنة: ١٨٢٠م، كما رجح عامر صامب، وقيل: قد حج في سنة: ١٨١٦م، وقيل: ١٨٢٧م[1].

وفي طريقه إلى الحج مر بـ(سوكوتو) بنيجيريا: ١٨٢٦م على الأصح، ولقي هناك ابن المجاهد الكبير المعروف عثمان دان فودي أحمد بلو بن عثمان. توفي عام: ١٨٥٥م، الذي زوجه ببنته مريم، لا كما يقول البعض بأنه لقي عثمان دان فودي؛ لأن هذا توفي: ١٨١٦، أي: قبل وصول عمر الفوتي إلى "سوكوتو" بعشر سنوات تقريبا، ثم غادر "سوكوتو" متوجها إلي مكة المكرمة عام: ١٨٢٨م على حد قول عامر صامب في كتابه السابق.

ويلاحظ القارئ الكريم بعدا زمنيا في التواريخ المذكورة ولكن لا داعى للاستغراب إذا علمنا أن الحج في زمن هؤلاء يختلف اختلافا كبيرا عن زمننا هذا؛ لأن منهم من كان يقضي في طريقه إلى الأماكن المقدسة سنوات عديدة قد تصل إلى ٧ أو أكثر بحيث يركب فرسا أو بعيرا أو يمشي برجليه ما يجعله ينزل أثناء سيره منازل كثيرة، أحيانا يمكث في مكان ليعمل هناك عملا ما ليتسنى له ذلك الحصول على زاد يوصله إلى غرضه وهدفه، ثم يستأنف رحلته من جديد إلى أن يصل مكة المكرمة زادها الله شرفا.

وفي مكة تعلم الشيخ عمر على يد العلماء مثل الشيخ محمد الحافظ الشنقيطي، والشيخ عبد الكريم الفوتجلوني، وغيرهما..، وتأثر بهم كثيرا، كما مكنته مجالستهم من زيادة العلم و المعرفة، وفي السنة التالية عينه محمد الغالي[2] أحد تلاميذ مؤسس الطريقة التجانية الشيخ أحمد التجاني، ليكون خليفة للطريقة التجانية في غرب إفريقيا، ثم رجع إلى "سوكوتو" سنة: ١٨٣٢م، وبقي هناك حتى عام ١٨٣٨م،

---

(١) انظر: الإسلام وتاريخ السنغال، (باللغة الفرنسية)، د. عمر صمب، ص:١٩، من المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء بداكار (i.f.a.n
l,islam et l, histoire du senegal lltin de l, i.f.a.n. seri. B, n:3,1971.

(٢) كان محمد الغالي هذا خليفة للطريقة التيجانية في بلاد الشرق، مقيما بمكة المكرمة في ذلك الوقت، الأدب السنغالي، ص: ٤٧.

ثم قفل راجعا إلى مسقط رأسه "فوتا طورو"[1]، وعلى هذا فقد مكث بين "نيجيريا" و"فوتا" ٧ سنوات تقريبا، وواصل دعوته إلى الله عز وجل مما أدى إلى دخول كثير من الوثنيين في الإسلام، كما يقول الحاج روحان امبي في كتابه "الإسلام في السنغال"[2].

لا شك أن الشيخ عمر بعد احتكاكه بعدة شعوب في مدة طويلة، وتنقلاته في مناطق مختلفة قد أكسبه شعورا وإدراكا بقضايا الأمة الإسلامية، فجعل يفكر في ضرورة تغيير الأوضاع، فوعى بثاقب فكره أنه لا ينبغي للمسلم أن يكتفي بأداء شعائر الدين فحسب، ولكن لا بد من دراسة أوضاع المسلمين ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها.

ب- عقيدته: ومنها اعتقاده في الأوتاد والأقطاب والأولياء... والتفسير الباطني للقرآن الكريم

يقول في هذا الصدد في كتابه (**رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**) في الفصل الثاني: (فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق، اعلم أن التعلق بأهل الله، واللّياذ بجنابهم، والانحياز إليهم، تعلّق بجنابه الكريم، ووقوف ببابه العظيم؛ لأنهم أبواب رحمة الله تعالى دنيا وأخرى، على أيديهم تنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم، وهم الوسائل، ولولاهم لهلك الكل، كما قيل لولا الواسطة لذهب الموسوط).

ثم قال: (قال أبو بكر الوراق : لم يزل في الأمم أخيار لبدلاء، وأوتاد على المراتب كما قال الله تعالى:

﴿ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا ﴾ [**المائدة١٢**] وهم الذين كانوا مرجوعا إليهم عند الضرورات والعاهات والمصائب...إلى أن قال: قال تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ [الحجر: ١٩] **بعد** كلام فيه إشارة أخرى أن رواسي الأرض هم أولياء الله، وكما أن الجبال رواسي تتفاوت في صغرها

(١) الإسلام وتاريخ السنغال، المصدر السابق، ص: ٤٧.

(٢) الإسلام في السنغال، الحاج روحان امبي السنغالي، ص: ١٩٥-١٩٩، رسالة دكتوراه ١٩٧٦م في القسم العربي في جامعة داكار، الكتاب باللغة الفرنسية.

وكبرها، فكذلك الأولياء تتفاوت في مقاماتهم وأحوالهم عند الله، فالرواسي أعظم الجبال، فأعظم الأولياء الغوث والثلاثة المختارون والسبع ثم العشرة، ثم الأربعون، ثم السبعون، ثم الثلاثمائة وهم البدلاء والأوتاد، والسبعون النقباء، والأربعون الخلفاء، والعشرة العلماء، والسبعة العرفاء، والثلاثة أهل المكاشفة، وهم الرواسي، والغوث ـ أعني القطب عليهم ـ مثله مثل جبل قاف).

وفي الفصل الثالث عشرة يقول:

(في إعلامهم أنّه لا يصل السالك الناسك إلى حضرة الله، وحضرات صفاته وأسمائه، ولو جَمَعَ علوم الأوّلين، وصَحِبَ طوائف الناس، وعَبَدَ عبادة الثقليْن، إلاّ على يدَيْ أصحاب الإذن الخاص).

كما يعتقد بأن وساطة الشيوخ بينهم وبين الله شيء ضروري وأزلي، وأن إهماله يعرض الإنسان للخطر قد يصل إلى الكفر حيث قال:

(فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق: قال الله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [التوبة ٣٣] قال في (العرائس): إنّ الله سبحانه سَنَّ سُنّة أزلية أنْ لا يجد أحدٌ سبيلَه إلاّ ما يقيّض الله له أستاذا عارفا بالله، وبسرِّ دينه وربوبيته، فيدلّه إلى منهاج عبوديته ، ومعارج روحه وقلبه إلى مشاهدة ربوبيته ، ويكون هو واسطة بينه وبين الله تعالى وإن كان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء بغير علة ولا سبب).

ومنها: اعتقاده بأن الإعراض عن الولي الكامل كالإعراض عن نبي في قومه:

وقال: (وقال شيخنا رضي الله عنه وأرضاه وعنا به:

اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى جعل في سابق علمه ، ونفوذ مشيئته ، أنّ المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته يجري في كلّ عصر مع الخاصة العليا مِنْ خلقه مِنَ النبيّين والصدّيقين ، فمَنْ فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا، وصحِبَهم، واقتدى بهم، واستمدّ منهم، فاز بِنَيْل المدد الفائض من الله تعالى، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام مَن تقدّمَه من الأموات طُبِعَ عليه بطابع الحرمان، وكان مثله كَمَنْ أعرض عن نبيّ زمانه وتشريعه مستغنيا بشرائع النبيّين الذين خَلَوْا قبله فيُسجَّل عليه بطابع الكفر).

وفي الفصل الثالث عشر يقول:

(في إعلامهم أن الشيخ وهو الوليّ الكامل في قومه، كالنبيّ في أمّته، وأنّ مبايعته كمبايعة النبيّ ﷺ لكونه نائبا له).

ويقول في وجوب إخلاص المحبة مع الشيخ:

كما في جواهر المعاني:

(قال شيخنا رضي الله عنه وأرصاه وعنا به:

ومِن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده ، أنْ لا يشرك في محبّته غيره، ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه، ويتأمل ذلك في شريعة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ مَن سوّى رتبة نبيّه محمّدا صلّى الله عليه وسلّم برتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبّة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافرا إلاّ أن تدركه عناية ربانية بسبق محبّة إلهية، فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه صلّى الله عليه وسلّم في التعظيم والمحبّة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب، فلا يعادل به غيره هذه الأمور، ولا يشرك غيره به).

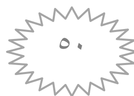
وفي الفصل الثاني عشر يقول بوجوب الاكتفاء بشيخ واحد حيث قال:

(في إعلامهم أنْ لا بدّ لكلّ مريد صادق أن يقتصر على قدوة واحد، ولا يتشوّف ويلتجئ إلى غيره، ولا يزور وليا من الأولياء الأحياء والأموات فيقول:

أقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق ، اعلم أنّ الاقتصار على شيخ واحد لا يتعدّاه إلى غيره شرطٌ لازمٌ في طريق أهل الله، ولا بدّ لكلّ مريد صادق التزامه وإلاّ فلا سبيل له إلى الوصول البتة إلا أن تداركه عناية ربانية بسبق محبة إلهية.

قال سيدي أحمد بن المبارك في (الإبريز:

وسمعته، يعني القطب عبد العزيز، يقول رضي الله تعالى عنه: إنّ العبد لا ينال معرفة الله حتّى يعرف سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم، ولا يعرف سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم حتّى يعرف شيخه، ولا يعرف شيخه حتّى يموت الناس في نظره فلا يراقبهم ولا يراعيهم، فَصَلِّ عليهم صلاة الجنازة وانزع من قلب التشوف إليهم.



وقال في موضع آخر : فإنّ المريد لا يجيء منه شيء حتّى لا يكون بقلبه غير الشيخ والله تعالى والرسول صلّى الله عليه وسلّم).

وفي الباب الواحد والثمانين ومائة من المفتوحات المكيّة للشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي رضي الله تعالى عنه:

إنّما كان المريد لا يفلح قَطّ بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين إلَهَيْنِ ، وعلى عدم وجود المكلّف بين رسولين ، وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين) .

وفي الفصل التاسع عشر يقول في التحذير من مخالفة أمر الشيخ حيث قال:

(في تحذيرهم من مخالفة الشيخ بعد امتثال أوامره ، حاضرا كان أو غائبا، والاعتراض عليه سرّا وجهرا.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، اعلم أنّه لا شيء أضرّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله تعالى عنهم وترك

تعظيمهم واحترامهم وعدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به عليه. قال في تحفة الإخوان:

فالآداب التي تطلب من المريد في حقّ الشيخ أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا و باطنا، وعدم الاعتراض عليه في شيء فَعَلَهُ ولو كان ظاهره أنّه حرام، ويؤوّل ما أنبأهم عليه، وتقديمه على غيره، وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين، ومنها أن لا يقعد وشيخه واقف، ولا ينام بحضرته إلاّ بإذنه في محلّ الضرورات ككونه معه في مكان واحد، وأنْ يُكثِر الكلام بحضرته ولو باسطه، ولا يجلس على سجادته، ولا يسبّح بسبحته، ولا يجلس في المكان المعدّ له، ولا يلج عليه في أمر، ولا يسافر ولا يفعل فعلا من الأمور المهمّة إلاّ بإذنه، ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشيء كقلم أو أكل أو شرب بل يسلّم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره به، وأنْ لا يمشي أمامه ولا يساويه إلاّ بِلَيْلٍ مظلمٍ ليكون مَشْيُهُ أمامه صوْنا له عن مصادمة ضرر، وأنْ لا يذكره بخير عند أعدائه خوفا من أن يكون وسيلة لقدحهم فيه.

ومنها أن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره، وأن يلاحظ بقلبه في جميع أحواله سفرا و حضرا لِتَعُمّهُ بركتُه . ومنها أنْ لا يعاشر من كان الشيخ كريهه ومن طارده الشيخ عنه.

وبالجملة يجب أن يحبّ من أحبّه الشيخ ويكره من يكرهه الشيخ، ومنها أنْ يرى كلّ بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته.

ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه، ولا يقول لِمَ فَعَل بفلان كذا ولم يفعل بي وإلاّ لم يكن مسَلِّماً له قياده إذْ مِنْ أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهرا وباطنا، أخاطب بذلك أهل الله الصادقين.

ومنها أنْ يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلاّ لِقرينة صارفة عن إرادة الظاهر، فإذا قال له اقرأ كذا أو صَلِّ كذا أو صُمْ كذا وجب عليه المبادرة، وكذا إذا قال له– وهو صائم – افطر وجب الفطر، أو قال له لا تُصَلِّ كذا إلى غير ذلك.

واعلم أن الشيخ العارف ربّما باسط تلامذته وخفف عليهم العبادة، فإذا شمّ منهم رائحة الصدق والاجتهاد ربّما شدّد عليهم وأعرض عنهم وأظهر لهم الجفوة لتموت أنفسهم عن الشهوات، وتفنى في حبّ الله تعالى، وربما اختبرهم هل يصدقون معه أولا.

ومنها ملازمة الورد الذي رتّبه فإنّ مدد الشيخ في ورده الذي رتّبه، فمَن تخلّف عنه فقد حُرِم المدد وهيئات أن يصح الطريق.

ومنها أن لا يتجسّس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة، فإنّ في ذلك هلاكه، والله تعالى أعلم، وأنْ لا يدخل عليه خلوة إلاّ بإذن، ولا يرفع الستارة التي فيها الشيخ إلاّ بإذن وإلاّ هلك كما وقع لكثير، وأن لا يزوره إلاّ وهو على طهارة لأنّ حضرة الشيخ حضرة الله تعالى، وانْ يُحسِن به الظنّ في كلّ حال، وأن يقدّم محبّته على محبّة غيره ما عدا الله ورسوله فإنّها المقصود بالذات ومحبّة الشيخ تابعة، وأنْ لا يكلّفه شيئا حتّى لو قَدِمَ من سفر لكان هو الذي يسعى ليسلّم على الشيخ ولا ينتظر أنّ الشيخ يأتيه للسلام عليه).

ج– **جهاده**: ومما سجل له التاريخ من إيجابيات أنه كان مهتما بالجهاد ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان يجوب منطقة غرب إفريقيا لهدفين أساسيين وهما:

أولا/ محاولة تنصير أهلها ومحو الإسلام وإحلال النصرانية محله.

وثانيا/ نهب خيراتها ماديا وبشريا.

كما حارب ضد الوثنيين أيضا، وخصوصا لَمَّا رأى فيما حوله تفشي الجهل والشرك، فكون جيشا كبيرا من مالي وغينيا المتاخمة لشرق السنغال حيث منطقة "فوتا طورو"، بالإضافة إلى بعض أبناء فوتا الذين كانوا يفدون إليه للاستزادة من العلوم والمعارف.

فأنشد أبياتا يحث فيها أهل بلده (فوتا طورو) على الجهاد معه قائلا:

بني طورو جيشوا مسرعين لسعدكم　　تنالوا الذي قد نال قتل من الخل

بني طورو كونو مثل آبائنا الأول　　ذوي الجد والتقوى والإحسان والعدل

بني طورو توبوا وارجعوا لتراثكم　　جهاد عدو الله دوما بلا بتل

بني طور سينا فيه كان أصولكم　　لأجل جهاد جئتموا فوتا بالذأل[1]

إلى أن قال:

أجيبوا بالإخلاص وحسن طوية　　ولا يصرفنكم شدة الأمر والشكل[2]

والأبيات طويلة اختصرتها؛ خوف الإطالة.

وفي عام ١٨٤٨م وصل عدد جيشه إلى سبعمائة فارس وفي يد كل واحد منهم بندقية، كما حكت المصادر بأنه وصل الأمر في أيامه إلى أن أوجد إمبراطورية كبيرة تشمل أجزاء من السنغال، ومالي، وجامبيا، وكانت تحكم بالشريعة الإسلامية لفترة طويلة.

(١) الذأل: الخفة والسرعة، ينظر لسان العرب.

(٢) الأبيات من الأدب السنغالي المذكور سابقا، ص٥٨

ومن بين فتوحاته ما يلي:

هزم الشيخ عمر (يامبا) ملك (تامبا) [1] عام ١٨٤٩م وهو من قبيلة "ماندنغ"، كما فتح (نيور)١٨٥٤م وحارب أهلها حتى اعتنقوا بالإسلام، كما فتح دولة(كهرتا) التي كان يسكنها (المساسيون) واستولى على (أيتلا) وغيرها كثير[2].

نرى أن الشيخ عمر بعد عودته من الحج تجول في أرجاء السنغال وما حوله لهدفين هما: ١- ١- محاربة الكفر والشرك.

٢- نشر الورد والطريقة التجانية.

وذهب إلى (باكل) و(بندو) و(سان لويس) شمال البلاد ،ثم إلى (فوتا) في الشرق، وإلى (غومبا) سنة ١٨٤٧م، ثم توجه في السنة التالية إلى (سالوم) وسط جنوب البلاد ليلتقي هناك مع المجاهد الكبير (مابا جاخو) [3].

كما جاهد كثيرا ضد الاستعمار والوثنيين في تلك المناطق، ثم جري المعاهد ة بينه وبين(فيدرب)[4] الحاكم الفرنسي في السنغال آنذاك تنص على عدم القتال في الأراضي السنغالية وبعد ذلك هاجرا إلى (دكراي) سنة ١٨٤٨م في جمع غفير وهناك بني قصراكمقر له[5]. ومن هناك نزل إلى مالي،

(١) مدينة من المدن السنغالية في الشرق على حدود جمهورية مالي.

(٢) انظر للتوسع الأدب السنغالي، مصدر سابق، ص:٤٨

(٣) وهو من أبرز الشخصيات السنغاليين المعروفين في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، وله مواقف مشرفة معهم سجلها له التاريخ، وسقط شهيدا في إحدى معاركه ضدهم في"سومبوغ" الواقعة في"سالوم" وسط جنوب السنغال، حيث تحالفوا مع ملك "سين" ضده، رحمه الله رحمة واسعة.

(٤) هو فيدرب لويس سيراز عاش ما بين (١٨١٨-١٨٨٩م)، إداري فرنسي بالمستعمرات، عين حاكما للسنغال(١٨٥٤-١٨٦١)، وكان شديدا على زعماء الدين في السنغال وعلى كل ماله صلة بالإسلام، فواجه الشيخ عمر هذا الحاكم بكل صمود حتى اتفقا فيما بعد على معاهدة توحي بالمسالمة بين الطرفين، انظر: الإسلام في السنغال، روحان مبي، مصدر سابق، ص: ١٩٥-١٩٩، وموسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها (١٨٥٣/٣)، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط: ١، أكتوبر ١٩٩٣م.

(٥) انظر: الأدب السنغالي، نفس المصدر، ص:٤٨

وبدأ يحارب قبيلة(بامبرا) الوثنية، وقبائل أخرى في (مالي) واتخذ (جودو) عاصمة له، وما زالت آثاره موجودة هناك إلى اليوم من مساجد وأحفاد وأتباع يقومون بنشاطات دينية مختلفة.

وبعد انتصاراته المتتالية وتوسعه المستمر، خاف الفرنسيون على أنفسهم وعلى مصالحهم فقاموا ضده بمعاونة الوثنيين ماديا ومعنويا، بوسائل مختلفة مثل كتابة منشورات كاذبة تنشر من هنا وهناك يكمن وراءها الحقد والحسد، ومحاولة تقليل شأنه، وإيقاف مده، وحاربوه في أماكن كثيرة كما أخرجوه من (المدينة) في "مالي" حيث كان له هناك حصن حصين، ولكن أجبروه على الخروج باستخدام مدافع قوية، وانتقل إلى (غيمو) في مالي أيضا ووجدوه هناك مرة أخرى وهكذا[١].

ويمكن تلخيص أهداف الشيخ عمر في جهاده فيما يلي كما يقول عبد القادر سيلا:

١- (إبعاد خطر النصارى (الاستعمار) عن غرب إفريقيا حيث كان الأوربيون يتاجرون مع أهل هذه المنطقة، ويحاولون مد نفوذهم السياسي والاقتصادي فيها وربما فرض النصرانية عليها.

٢- العمل على نشر الإسلام في المناطق غير الإسلامية، وتصحيح ما انحرف من عقيدة المسلمين وتطهيرها من الشوائب والخزعبلات، والممارسات الغريبة والبعيدة عن الإسلام الصحيح.

وكان يرى أن إحياء الإسلام لن يتم بالطريقة القادرية[٢] التي أصبحت فاترة، وتبالغ في التسامح مع الوثنية، وتتقاعس عن الجهاد المقدس، ولذلك قاتلهم فيما بعد.

٣- وكان يعتقد-وهو علي الصواب- أنه لابد أن تكون هناك قوة مادية رادعة ومنظمة تقوم بمهمة حماية مكتسبات ورعاية شئون المسلمين)[٣].

(١) راجع : الإسلام في السنغال، الحاج روحان امبي، مصدر سابق، ص:١٩٥ فما بعدها.

(٢) وسيأتي الكلام عن هذه الطريقة في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٣) المسلمون في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٠

د- النتيجة:

يمكن أن نستنتج مما سبق أن الشيخ عمر قد نجح إلى حد بعيد في تحقيق أهدافه، حيث كون إمبراطورية إسلامية كبيرة تشمل أجزاء من السنغال ومالي ونيجر لمدة طويلة إلي أن أسقطه الزحف الاستعماري الفرنسي الذي كان في أقصي قوته في ذلك الوقت، وتوفي في منطقة (بانجغارا) في كهف (ديغمبيري) في ظروف غامضة ١٨٦٤م وفيها أقوال متضاربة رحمه الله تعالى وأدخله في فسيح جناته[١]

ومما سبق يتضح علو همة هذا الشيخ عمر، وحرصه على رفع راية الإسلام، إلا أنه نلاحظ عليه أخطاء فادحة في المعتقد كما هو معروف لدى معظم الصوفية وذلك بيِّنٌ في الإشارات السابقة من كتابه (الرماح) وغيره، إلا أن علينا أن نعرف أن هؤلاء المشايخ الصوفية رغم ما عندهم من البدع والخرافات لم يقصدوا الابتداع في الدين، وإنما وصلهم الدين مشوها وبلغوه كذلك إلى غيرهم ولعل الله يغفر لهم في ذلك.

هـ- مؤلفاته

لاشك أن الشيخ عمر كقائد الجيش ومجاهد، وراءه معسكر كمعسكره لا يتسع له الوقت للتأليف، ومع ذلك وجدنا له مجموعة من المؤلفات في علوم شتى، وبعض الرسائل إلى الملوك والمواعظ والخطب... نظما ونثرا يحس فيها القارئ قوة ملكته الاستنباطية من القرآن والحديث، وشدة تمكنه من اللغة العربية والبلاغة والبيان ...

(١) راجع : الأدب السنغالي، مصدر سابق، ص:٥١.

ومن تلك المؤلفات ما يلي:

١- في التوحيد: سيوف السعيد، وسفينة السعادة، وتذكرة المسترشدين، وأرجوزة في العقائد.

٢- في الفقه: الفتاوى المطوعة(عبارة عن إجابة أسئلة)، والتقيد في خواص الحزب الشافعي.

٣- في التصوف: رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، والفلاح المبين، والأجوبة في الطريقة التجانية، والنصح المبين، وتذكرة الغافلين في قبح اختلاف المؤمنين. وتناول بعض المسائل الدينية كما في (عاديات المذنبين)، و(المقاصد السنية)، وغيرها كثير، وما هذا إلا نموذج فقط، ولا يتسع بنا المقام لسرد كل ما تم له من إنجازات علمية وثقافية، وليس هدفنا ذلك هنا [١].

ثانيا/ حركة الشيخ أحمد بامبا:

١- **التعريف به:** هو أحمد بن محمد بن حبيب الله البكي، المشهور بـ"سرج بامبا"، ولد عام: ١٢٧٠هـ، وقيل: ١٢٧٢، (١٨٥٣-١٨٥٤م) في قرية (امباكي باوول) في إقليم (جوربل) وسط شرق بلاد السنغال، وهي تبعد عن العاصمة حوالي ١٨٥كلم، وتربى بعد ذلك في كنف والديه حتى بلغ سن التعلم، ويرجع أصله إلى قبيلة (تكلور)؛ لأن آباءه جاؤوا من (فوتا) - المركز الأساسي لهذه القبيلة - واستقروا في (جولوف)، واشتهر أنهم جاؤوا من الجمهورية الإسلامية الموريتانية "أرض البياضين" كما يقال آنذاك[٢].

(١) للتوسع راجع الإسلام وتاريخ السنغال، مصدر سابق، ص:٦٩ .

(٢) إرواء النديم، الشيخ محمد الأمين جوب الدغني، ص: ٧، وطبع الكتاب في مطبعة "داراي بوروم طوبى"سنة الطبع بدون، والمؤلف من أتباع الشيخ أحمد بامبا، ومن أقرب الناس إليه، وكتابه هذا من أوثق المراجع في سيرة الشيخ أحمد بامبا بلا منازع.

وأما والدته فهي جارية الله مريم بوصو بنت محمد بن محمد، فهؤلاء يرجع نسبهم إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والشيخ شريف من أب وأم، كما أثبت ذلك الشيخ "محمد الأمين جوب" الدَّغَنِيُّ[1] في كتابه "إرواء النديم.

وحين بلغ الشيخ سن التعلم سلمه والده إلى خاله محمد بن محمد بوصو، شقيق أمه الصالحة، التي يضرب بها المثل في الصلاح والعفة، والتفاني في تنفيذ أمر زوجها، والتعاون معه

في الشدة والرخاء، وتعلم عنده قبل أن ينتقل إلى خاله المعروف ب"تفسير امباكي اندومبي ابن محمد سخن"، حيث كان ينتقل معه بين "امباكي باوول"[2]، حيث يقيمون فيه وقت الصيف، وبين "جولوف"[3]. الواقعة في إقليم "لوغا"، حيث يقيمون فيها وقت الخريف، ولما توفي معلمه المذكور رجع إلى والده، واجتهد لنفسه حتى حفظ القرآن كاملا، حفظا وتجويدا، وكان ذلك في "سالوم" عند المجاهد "مابا جاخو"، ومن هناك شرع في تعلم العلوم الشرعية وغيرها على يد عمه "صمب تكلور كه"، ثم واصل تعلمه على "قاضي مَجَخَتِ كَلَ" الذي اتفقت الكلمة على تبحره بعلوم كثيرة، وخصوصا الأدب، واللغة، والعروض[4].

٢- **جهاده:** ركز الشيخ أحمد بامبا جهاده في التربية والتعليم، أي: تربى وترعرع في جهاد النفس منذ نعومة أظفاره، وعلى ذلك استمر طيلة حياته، بحيث بدأ في التعليم في أيام والده بعدما برع في علوم كثيرة، ومختلفة، كالتوحيد، والفقه، واللغة، والعروض، والبيان.. الخ، وبعد وفاة والده، غَيَّرَ اتجاهه وأفكاره نحو مسلك آخر، وعلى ذلك جمع الناس، وخطب خطبة قال فيها: "ألا من كان صحبنا للتعلم فلينظر لنفسه، وليذهب حيث شاء، وليأو لجنسه، ومن أراد ما أردنا فليسر بسيرنا، وليقم بأمرنا"، فانقسم الناس بين جالس معه، وبين منصرف إلى أهله، وهم الأغلبية، و من هنا كانت نقطة التحول إلى حياة أخرى

---

(١) نسبة إلى مدينة (داغانا) السنغالية التي تقع في إقليم سين لويس شمال البلاد.

(٢) هي مدينة تقع وسط شرق السنغال في إقليم "جوربل"على بعد ١٨٠ كلم تقريبا من العاصمة داكار.

(٣) جولوف: عبارة عن مناطق شاسعة تضم مدنا وقرى عديدة، تقع في شمال وسط السنغال.

(٤) إرواء النديم، المرجع السابق، ص: ٩-١٠.

لمسلك جديد، لتربية النفس وإعدادها، وذلك إثر وفاة والده الذي كان قاضيا ومقربا إلى الملك "لاتجور"[1]، حيث طلب منه أصدقاء ونظراء والده أن يكون مكانه لدى الملك المذكور، لكنه رفض؛ لأنه لا يرغب فيما هم فيه من الدنيا، وزخارفها، وفي هذا المقام يقول في بعض قصائده:

قالوا لي اركن لأبواب السلاطين تحز جوائز تغني كلما حين
فقلت حسبي ربي واكتفيت به ولست راضي غير العلم والدين
ولست أرجو ولا أخشى سوى ملكي لأنه جلَّ يعنيني وينجيني
أنَّى أفوض أحوالي لمن عجزوا عن حال أنفسهم عجز المساكين[2].

وكان يجمع الناس كثيرا، ويغدق عليهم النصائح النفيسة، ويذكرهم ربهم ، ويشجعهم على طلب العلم، والعمل، والزهد في الدنيا، وعدم الميل إليها إلا لضرورة، كما يحذرهم من المحرمات والمنهيات، ومن تلك النصائح ما يلي:

وتركنا الكذب يا إخواني أفضل من تلاوة القرءان
ثم النصيحة لأهل الباري خير من الجهاد في الكفار
كذاك ذكر الموت أفضل لنا من القيام في الليالي زمنا
فدم على الصدق مع النصيحة والذكر إن خفت غدا فضيحه

وقال أيضا:

[1] وهو بطل "كجور" وأحد كبار المقاومين ضد الاستعمار في الأراضي السنغالية، وكان قويا وشديدا عليهم، وله مواقف بطولية معهم، جديرة بأن تكتب بماء الذهب.

(٢) إرواء النديم، مرجع سابق، ص: ١٤.

وصف المريد تركه الإرادة لوجه من يفعل ما أراده
من لم يرد شيئا سوى مولاه يصل له وخيره أولاه[1].

وقال أيضا:

يا أيها الصبيان لا تشتغلوا عن الهدي وبالعلوم اشتغلوا
فاشتغلوا بالحفظ والتلاوة واجتنبوا مجالس الشقاوة
ولازموا من لا يزال عابدا لربه إلى هداه قائدا
فكل من بادر وقت الصغر إلى الهدى استراح وقت الكبر[2].

كما قال:

فسارعوا طرا إلى التعلم وجاهدوا النفوس بالتفهم
ولا تؤخروا التعلم إلى كبركم فذاك يحرم العلى

إلى أن قال:

ومن نهاكم عن التعلم فنهيه إلي الضلال ينتمي[3]

وهكذا ركز الشيخ جهوده في التعلم والتعليم في أول أمره، كما كان يشجع عليه، ثم تحول فيما بعد – كما قلت– إلى الاهتمام بتربية النفس أكثر من مجرد التعليم، مما جعل الناس يحبونه حبا جما، ويقبلون عليه بكل ما عندهم من الهدايا، ويجتمعون حوله بجماعات كثيرة مما أقلق المستعمر الفرنسي، ظنا منهم بأن الشيخ يعد جيشا للمجاهة ضدهم، أضف إلي ذلك دور الوشاة في خلق جو التوتر بينه

---

(١) المجموعة، للشيخ أحمد بامبا، وهي بعض نصائحه، وتوجيهاته جمعت في مكان واحد، وسميت بهذا الاسم، من نسخة إلكترونية ولم أجد مطبوعا منها.

(٢) من كتابه: تزود الصغار، ص: ٣، مطبعة الشيخ أحمد بامبا داكار، سنة الطبع بدون.

(٣) من كتابه: تزود الشبان، ص:٣٣، مطبعة الشيخ أحمد بامبا داكار، سنة الطبع بدون.

وبين الاستعمار مما أدى في النهاية إلى اعتقاله ونفيه خارج البلاد في جزيرة (مايومبا) بجمهورية غابون، حيث بقي هناك سبع سنوات ١٨٩٥-١٩٠٢م

وبهذه الظروف يقول في قصيدته المعنونة ب (يا جملة قد ثلثوا بضلالهم):

أخرجتـــموني نــاطقـــين بأنـــني	**عبــد الإلـه وإنـــني لمجـــاهد**
وظننـــتم أن المـــدافع عنـدنـــا	**والكــل منــكم ذو قـلِي ويحــاسد**
ومقـــالكم حقـــا فـــإني عبـــده	**وخـــد يم عبـــد الله وهو الحـــامد**
ومقـــالكم إنـــي أجـــاهد صـــادق	**إني لوجـــه الله جـــل أجـــاهد**
إني أجـاهـد بالعلـوم وبـالتقـــــــى	**عبـدا خديمـــا والمهيمـن شـــاهد**

ثم أعادوه إلى وطنه عام ١٩٠٢م ثم لم يلبث أن أرسلوه مرة ثانية إلى "موريتانيا"١٩٠٣م لكسر معنوياته ووضع مكانته بحكم كونه أسود بين البيضان، إلا أن العكس هو الحاصل؛ لأنهم أكرموه وأنزلوه منزلة عظيمة بينهم لما اكتشفوا علمه وتقواه، بالمدح نظما ونثرا كما زوجوه، وبقي هناك حوالي خمس سنوات أي إلى عام ١٩٠٧م، ثم أرجعوه إلى السنغال مرة أخرى ليفرض عليه إقامة جبرية في "جيين" في منطقة "جولف" في إقليم "لوغا" ثم أخيرا في مدينة "جربل" وهناك أكمل ما بقي له من الحياة، حتى توفي ١٩٢٧م رحمه الله رحمة واسعة[(١)].

٣- **مؤلفاته:** شرع الشيخ أحمد بامبا في التأليف في وقت مبكر من حياته، وألف كثيرا نظما ونثرا، ومنها: "مواهب القدوس" في التوحيد، وهو نظم لكتاب الإمام السنوسي[(٢)]، و"أم البراهين" أو "الورقات" الذي كان والده يدرسه في حلقته، ولما نظمه الشيخ اكتفي بالنظم عن النثر، و"ملين الصدور" الذي اختصره فيما بعد وسماه بـ"منور الصدور" وكذلك "جذبة الصغار" و "مسالك الجنان" في التصوف، وسعادة الطلاب في النحو، وتزود الصغار، وتزود الشبان، وغيرها.

(١) إرواء النديم، مصدر سابق، ص: ٧٤ فما بعدها.

(٢) هو الإمام محمد بن علي السنوسي (١٢٠٢- ١٢٧٦هـ)- (١٧٨٧-١٨٥٩م) مؤسس الحركة السنوسية، أصله جزائري من بلدة (مستغنام)، نشأ في بيت علم وتقي ثم تجول في كثير من البلدان الإسلامية ليزداد علما، فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن ومكة ، وفيها أسس نواة دعوته التي انتشرت فيما بعد إلى كثير من البلاد الإسلامية، وله من المؤلفات والرسائل حوالي أربعين منها: مقدمة على موطأ الإمام مالك، ورسالة السلوك، والدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية انظر: الموسوعة الميسرة، ص: ٢٨٧، و موقع موسوعة ويكبيديا بتاريخ ٢٥/٣/ ١٤٣٢هـ، ومنتدى شمس المعاني بنفس التاريخ.

المطلب الأول

الدعوة الإسلامية في السنغال قديما

بداية الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا" السنغال وما حوله" ترتبط بوصول الإسلام إلى المنطقة بالطبع، وذلك يرجع- كما سبق- إلى جهود التجار البيض الذين كانوا يأتون من شمال إفريقيا إلى جنوبها أو العكس، بغرض التجارة والقيام بالدعوة ونشر الإسلام أيضا في نفس الوقت، وذلك منذ القرن الأول الهجري كما تذكر المصادر(١).

ولكن في هذه الفترة لم يكن للإسلام ظهور يذكر، بل كان ينتقل بين بعض الأفراد من سكان المنطقة؛ ولذلك ذهب كثير من المؤرخين والكتاب بتحديد تاريخ دخول الإسلام في هذا القطر في القرن الخامس الهجري (الحادي عشرة للميلاد) أي بتاريخ وصول المرابطين للمنطقة خلطا بين تاريخ بداية الوصول، وبداية الانتشار، مما لم يتنبه له كثير من الكُتَّاب والمؤرخين وغيرهم(٢).

وكان الدعاة يتدفقون من كل حدب وصوب، ولم يتوقف ذلك الدور الذي قام به أولئك الدعاة والعلماء إلى اليوم، ولقبائل موريتانيا ذات الأصل البربري دورها الفعال في مجالي الدعوة والتجارة معا في المنطقة منذ ذلك التاريخ إلى عهد قريب حين حصلت تلك الأزمة المؤلمة بين الشعبين الشقيقين في شهر رمضان عام ١٩٨٩م، وقد نشأت بسبب خلافات بسيطة بين رعاة الأغنام من الموريتانيين وأصحاب

(١) الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، مصدر سابق، ص: ٤٩، وانظر أيضا لإسلام وتداخل الثقافات في السنغال، مصدر سابق، ص: ٩٧.

(٢) وممن يقول هذا د. روحان مبي في كتابه: الإسلام في السنغال، ود. عمر صمب في كتابه: الإسلام وتاريخ السنغال، ولكن الصحيح أن الإسلام قد وصل إلى المنطقة في القرن الأول للهجرة كما سبق في كلام البكري.

المزارع من السنغاليين عند الحدود للبلدين، وانتهت بخسائر فادحة بشرية ومادية من الطرفين، مما قلل فيما بعد النشاط التجاري والثقافي نوعا ما بين البلدين مما لاحظناه في الآونة الأخيرة.

وكان الداعية المسلم يتصف بأخلاق تدعو للإعجاب، وتجذب إليه الناس، أخلاق سامية، ومظاهر جذابة، وكرم وإيثار ، يباشر دعوته مع تجارة يعملها، وقد يتفرغ للتعليم والدعوة إلى الله، ولهذا أثروا في قلوب الناس تأثيرا كبيرا(١).

وبالجملة هؤلاء هم نواة الدعوة إلى الله في المنطقة، ولهم الفضل في تأسيس العلوم

الإسلامية والثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا، وكانوا حقا مشاعل الهدى ومصابيح الدجى...حتى تسلم الراية منهم علماء وشيوخ البلد في القرن ١٨/١٧ الميلاديين أمثال القاضي عمر فال المنسوب إليه تأسيس جامعة "بِر" (PIR) التي لا تقل شأنا آنذاك عن جامعة (تومبوكتو) في الأهمية من كثرة العلوم والمتخرجين فيها كما يقول لي بعض من أجريت معهم المقابلة حول هذه الجامعة ودورها الرائد في نشر الثقافة الإسلامية في السنغال(٢).

وتم إنشاء هذه الجامعة عام ١٤٢٨م حوالي ٨٤٩هـ، وظلت أكثر من أربعة قرون تؤدي دورها في نشر الثقافة الإسلامية، وتخريج الدعاة والعلماء، حتى أقدم الاستعمار لإضرام النار فيها وفي مكتبتها العامرة بالكتب النادرة حوالي عام ١٨٦٤-١٨٦٥م -لاختلاف الروايات- أثناء حملتهم الصليبية التي

---

(١) انظر: الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال، المصدر السابق، ص: ١٠٠.

(٢) أجريت المقابلة لمعرفة مدى أهمية جامعة (بر) القديمة في نشر الثقافة الإسلامية في السنغال مع أحد المسؤولين الكبار فيها، بتاريخ ٤/٣/ ٢٠١١م.

كانت تهدف أساسا إلى طمس الإسلام وإحلال النصرانية محله[1]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

هذا وقد خرج اليوم الاستعمار وبقيت تلك الجامعة العريقة تؤدي دورها المتميز بين أبناء البلد ودول الجوار إلى اليوم بشكل جيد، وتخرج نخبة من العلماء سنويا، وهم يقومون بمشاركاتهم بعد ذلك في تحريك عجلة السير بالبلاد نحو التقدم والازدهار، وسيأتي الكلام عن هذه الجامعة وغيرها من المؤسسات التعليمية في البلد ودورها في نشر الثقافة الإسلامية في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

ولكني أشير هنا إلى بعض من تخرجوا فيها على سبيل المثال لا الحصر:

١- القاضي مجخت كَلَ؛ الشاعر السنغالي المعروف، والعالم المتبحر في فنون كثيرة.

٢- سرين مختار ندُمبِي مؤسس قرية "كُوكِي" التي تحتضن المدرسة القرآنية المتميزة المعروفة[2].

٣- سليمان بال المجاهد الكبير الذي أنهى دولة (دينيانكوبي) أحد الممالك التي سيطرت على منطقة فوتا طورو أعالي السنغال، وأحل محلها دولة الأئمة.

٤- تيشرنو سعيد عثمان تال.

٥- عبد القادر ألَفا كَن(على قول)[3].

---

(١) انظر: التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٩٩.

(٢) مدرسة كوكي: وهي مدرسة قرآنية من أقدم مدارس البلاد وأهمها، تأسست على يد الشيخ أحمد صغير لوح، وتحتوي حاليا متوسطة وثانوية باللغة العربية، حيث يلتحق بهما التلاميذ بعد حفظهم القرآن الكريم، وتقع في قرية كوكي التي في منطقة "لوغا" شمال وسط البلاد، ظلت هذه المدرسة تؤدي دورا كبيرا في تخريج عدد من العلماء وكبار الشخصيات ورجال الأعمال وما زالت، وهؤلاء لهم أيادي سخية في دعم حركة المدرسة إلى اليوم.

(٣) انظر: الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، مصدر سابق، ص: ١٤٦، والتعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص: ٣٠٠.

٦- تيشرنو يورو بال المتوفى ١٩١٧م.

٧- تيشرنو سري.

٨- ألمامي (إمام) عبدل.

٩- وإذا تأملنا جيدا في تاريخ دخول الإسلام وانتشاره في المنطقة نجد أن هؤلاء العلماء حققوا ما لم تحققه تلك الحملات العسكرية التي قام بها أولئك المجاهدون من أصحاب الممالك الإسلامية السابقة الذكر مع عظم جهودهم؛ لأن هؤلاء نشروا الإسلام بفتح العقول وتنوير البصائر بالعلوم الشرعية والعقيدة الصحيحة، وربوا الناس في لأخلاق والسلوك الإسلامية ما يشهده اليوم الواقع الإسلامي في المجتمع السنغالي أفرادا وجماعات، ولاشك أن الأثر مثل هذا أثبت وأبقى من أثر الفتح عن طريق الجهاد وفرض القوة.

وبعد هؤلاء جاء دور الشيوخ وزعماء الصوفية حوالي القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين الميلادي تقريبا، أمثال **الشيخ عمر تال، والشيخ أحمد بامبا، والحاج مالك سي، وسيدنا (لمام لاي)** ؛ محرف من (إمام الله) وغيرهم ، وسيأتي تفصيل القول في هذه النقطة في مبحث الصوفية.

والجدير بالذكر هنا أن مناهج الدعوة لدى هؤلاء تختلف –كما أشرت إليه سابقا–فمنهم من انتهج منهج الجهاد العسكري ضد الوثنيين من جهة، وضد المستعمرين الغاصبين من جهة أخرى، ومنهم من سلك طريق السلم والمسالمة مع الاستعمار، للمفارقة الكبيرة بين القوتين، واكتفي بتركيز جهوده في التربية أو التعليم، أوهما معا، ولكل منهم جهود تذكر وتشكر تصب في خدمة الإسلام والدفاع عنه حسب استطاعته وإمكاناته، والدفاع عن الوطن أيضا من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

ومما ينبغي التنبه إليه هنا أنه لا يمكن الحديث حول دخول الإسلام وانتشاره في المنطقة دون ذكر دور زعماء الصوفية بغض النظر عن الملاحظة في هذا المصطلح"الصوفية"، وما تكتنفه من ملابسات ومؤاخذات إلى غير ذلك، ومهما كان الأمر لا يمكن تجاهل جهودهم في نشر الإسلام والدفاع عنه ضد الاستعمار الفرنسي الذي ما جاء إلى المنطقة إلا لأجل نهب خيراتها وطمس هويتها الإسلامية، ونزع جذورها من قلوب المسلمين، إذا من باب الإنصاف والنزاهة في مجال البحث العلمي، سوف نتناول الإيجابيات والسلبيات معا لدى هؤلاء، ثم التحليل واستنتاج النتائج، هذا ما سيقوم به الباحث في المبحث المخصص للصوفية كتحد من تحديات الثقافة الإسلامية من هذه الدراسة.

المطلب الثاني

الوسائل الدعوية لدى الدعاة في السنغال قديما

لقد أدرك الدعاة القدامى في السنغال أهمية الوسائل في مجال الدعوة الإسلامية، ونشر الثقافة الإسلامية، إلا أنها كانت نادرة جدا بين أيديهم، مقارنة بما توفر في الوقت الحاضر من الوسائل الدعوية التي تميزت بالتطور والتنوع لدى الدعاة في العصر الحديث.

ومن مظاهر ذلك قلة الإمكانيات والوسائل اللازمة للقيام بتلك المهمة من المواصلات، والاتصالات، بالإضافة إلى موقف الاستعمار المتشدد لدى كل من له همة أو رغبة في أي نشاط ديني كما سيأتي في مبحث الكتاتيب، فمن تلك الوسائل التي كانت بيد أولئك الدعاة ما يلي:

١- **المساجد والمنابر**: فكانوا يستفيدون من هذه الوسيلة - رغم قلة المساجد آنذاك- في تبليغ رسالة ربهم وبيان الحق للناس، و ما عليهم من الواجبات والسنن...

٢- الكتاتيب: ويبدأ الطفل في هذه المرحلة في سن ٦أو٧ في الغالب بتعلم القرآن الكريم وحفظه قبل كل شيء مهما كلفه ذلك من أمر-كالعادة عند أكثرهم- ومن هنا يتعلم التربية الإسلامية وأخلاقه وآدابه السامية ليتربى عليها، وليصبح عضوا فعالا نافعا لبلده ومجتمعه وأسرته.

٣- **الحلقات العلمية**: بعد ما ينتهي الطفل من مرحلة الكتاتيب وحفظ القرآن الكريم بإتقان، يلتحق بالحلقة العلمية المناسبة له، ليتعلم فيها علوم الدين؛ من التوحيد، والفقه، والنحو، والحديث، والسيرة النبوية، وغيرها، وكثيرا ما يتنقلون داخل السنغال أو يسافرون إلى موريتانيا للتوسع في تعلم فنون العلوم المختلفة، وهؤلاء بدورهم أسسوا بعد عودتهم إلى السنغال الحلقات المنتشرة التي تحولت فيما بعد إلى مراكز علمية في السنغال، في مدن "فوتا" وقرية "بِر" (PIR) وغيرها من المناطق السنغالية[1].

(١) انظر: المسلمون في السنغال، مصدر سابق، ص: ١٤٥.

المطلب الثالث

معوقات الدعوة إلى الله ﷻ في هذه المرحلة

المعوقات التي كانت تعرقل طريق الدعوة إلى الله أمام أولئك الدعاة تتلخص في نظر الباحث إلى أمرين أساسيين؛ وهما:

الأمر الأول: **الاستعمار الفرنسي** الذي احتل البلاد ثلاثة قرون من عام ١٦٧٧م إلى ١٩٦٠م ، فيكفيني هنا الإشارة إلى بعض أساليب العرقلة التي كان يتخذها الاستعمار للحيلولة دون انتشار الإسلام بين أبناء الشعب في المنطقة، أما كيفية وصولهم إلى المنطقة وطبيعة سياستهم فيها فأرجئها إلى الفصل الثالث في المبحث المخصص للاستعمار كتحد من تحديات الثقافة الإسلامية في السنغال.

جاء الاستعمار إلى المنطقة عدوانا على الإنسانية، قبل أن يكون عدوانا على الإسلام، ومما يؤيد ما قلته ويؤكده معاملتهم الوحشية التي سجلها لهم التاريخ بخطوط سوداء، من قتل وسبي وتعذيب بأبشع ما يتصور للرجال والنساء والأطفال على السواء، دون أدنى شفقة ولا رحمة، وتعبيد من ولدتهم أمهاتهم أحرارا إلى غير ذلك مما يندي له الجبين، ويدعو تذكر تلك الأحداث إلى الحزن والألم ... وربما للتفكير في طلب الثأر حين تسنح لنا الفرصة القيام بذلك.

وعلى كل حال جاءوا لتحقيق تلك الأهداف المشار إليها، من طمس العقيدة الإسلامية في قلوب الناس، وإبعاد الثقافة الإسلامية من المنطقة، وتهيئة الجو للنصرانية؛ ولأن الهدف الأساسي المشترك لرجال الكنيسة ورجال الاستعمار، هو القضاء على مصدر القوة الأساسية التي يعتمد عليها المسلمون؛

ألا وهي العقيدة؛ فالعقيدة هي التي تمثل ولا تزال العائقة الكبيرة أمام التنصير، وأمام أي تحد آخر[1]، ولذلك كان أول ما فكروا فيه التخلص من زعماء الدين بوسيلة من الوسائل الثلاثة" القتل، أو الحبس، أو النفي" وفعلوا بهم ما فعلوا من الشناعة والقذارة ما نستغني عن الخوض في تفاصيلها.

وكان الاستعمار في الحقيقة عائقا أساسيا أمام انتشار الإسلام، والدعوة الإسلامية في المنطقة، كما يقول عبد القادر سيلا في كتابه المذكور" كان الاستعمار العائق الأساسي لانتشار دين الله في السنغال..." [2].

الأمر الثاني: قلة الإمكانيات:

أعني بذلك الإمكانيات المادية كالوسائل الدعوية الحديثة المعروفة، مثل الإذاعة والتلفاز وما إلى ذلك من الوسائل الموجودة في أيامنا هذه؛ ولكنهم مع ذلك لم ييئسوا ولم يستسلموا لتلك العقبات والعراقيل، بل تخطوا كل ذلك بقوة العزيمة والإرادة، بعد توفيق الله ﷻ مما أدى إلى ثمار ونتائج ومنها: المؤسسات التعليمية المنتشرة اليوم في طول البلاد وعرضها، وكذلك انتشار "دارات" (الكتاتيب) باللهجة "الولوفية" في أرجاء البلاد، وبازدياد مستمر ومدهش، مما يبشر بالخير بمستقبل هذه البلاد، رغم كونها من العالم الثالث حيث تعاني ما تعانيه تلك الدول من الفقر والنقص من الأساسيات الضرورية للحياة بكرامة وعزة بسبب سوء الإدارة من المسؤولين في الحكومات التي حكمت البلد، مع كل ذلك يرجى لهم الخير ما داموا مهتمين بالقرآن الكريم.

---

(١) انظر: مجلة البيان، ص:٤٢، عدد٢٦٦ شوال١٤٣٠هـ أوكتوبر٢٠٠٩م.

(٢) المسلمون في السنغال، مصدر السابق، ص:٢١.

ومن نتاج الجهود لأولئك السابقين: انتشار الإسلام في جميع أرجاء البلاد، بل وفي المنطقة برمتها، وكونه المهيمن في هذه البلاد رغم كل ما يبذله المنصرون ومن معهم من أموال طائلة في ميادين شتى، دون أية نتيجة تذكر، أضف إلى ذلك كثرة المساجد والدروس العلمية في البلاد طولا وعرضا، وبالجملة فكل ما يقدمه اليوم جيل الصحوة من النشاط الدعوي مما سيتناوله الباحث في المطلب التالي فللقدامى فضل السبق فيه، هم الذين وضعوا حجر الأساس ونوروا الطريقة لمن بعدهم.

المطلب الرابع

الدعوة الإسلامية في السنغال حديثا

بعد ما ولى زمن السلف، جاء الخلف"جيل الصحوة" ليكملوا المسار الدعوي بكل جدية واهتمام، ولكني أستحسن قبل الخوض في تفاصيل هذه المرحلة المهمة في الدعوة إلى الله ﷻ، وما يتعلق بها من وسائل ومعوقات ونتائج، لفتَ النظر إلى الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهور هذه الصحوة المباركة؛ وهي تتلخص في نظر الباحث فيما يلي:

١- **الابتعاث إلى الدول العربية**: فنظرا لقلة الكليات والجامعات العربية في السنغال بل وحتى في دول الجوار، اضطر بعض الطلاب المتخرجين في الثانويات – وهم كثر سنويا- تقديم الطلبات للالتحاق بالجامعات العربية لمواصلة دراستهم الجامعية، والدراسات العليا، رغبة في إكمال الدراسة والحصول على شهادات عالية تؤهلهم للمشاركة في تحريك عجلة سير البلاد وتقدمه في المجال المتاح لكل منهم حسب تخصصه، وأملا أيضا في رفع مستوي معيشتهم الاجتماعية(١).

(١) انظر: التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٩٤.

أما أهم الدول التي يتوجهون إليها لتحقيق تلك الأهداف السامية فهي: جمهورية مصر العربية، والسودان، والجزائر، وتونس، ولبنان، وسوريا، وموريتانيا، والمملكة المغربية، ودول الخليج؛ كمملكة العربية السعودية، والكويت، وقطر، والبحرين، والإمارات، وكالعراق وإيران... وغيرها.

أما التخصصات فهي متعددة ومتنوعة، وتشمل التخصصات الشرعية والعلمية والأدبية في جميع البلاد المذكورة إلا السعودية، حيث يفتح أمامهم أبواب الكليات الشرعية أو اللغة العربية لا غير، بحجة أنهم إذا رجعوا بعد تخرجهم إلى بلادهم لا يصلح لهم هناك إلا الدعوة! وهذا لاشك يحتاج إلى إعادة النظر، أي بلد لا يحتاج إلى مهندسين، وأطباء، ومدرسين وغير ذلك من التخصصات، وهل هؤلاء وغيرهم لا يمكن أن يكونوا موظفين ودعاة في نفس الوقت؟! وهل المستعربين لا يصلحون ولا يستحقون تلك الوظائف الشاغرة كإخوانهم حاملي الشهادات الفرنسية أو الإنجليزية؟!

٢- الزيارات الدعوية: أعني بذلك تلك الزيارات والرحلات الدعوية التي يقوم بها بعض العلماء والدعاة من أهل البلد وغيرهم، بهدف إبلاغ الرسالة المحمدية متبعين في ذلك قول نبيهم محمد ﷺ (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) (١)، أو تلك الندوات والدورات العلمية والدعوية التي تنظم من فترة لأخرى من طرف المؤسسات الإسلامية الداخلية أو الخارجية في مناطق مختلفة في البلد بهدف الدعوة إلى الله، ونشر الإسلام بصورته الأكمل.

٣- ظهور الجمعيات والمؤسسات الإسلامية: بدأ هذا الظهور نتيجة جهود السلف الصالح من الدعاة والعلماء-كما سبق- على يد الخلف ممن تثقفوا بالثقافة العربية الإسلامية المعروفين بمصطلح"

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، (٤/١٧٠)، ورقمه:٣٤٦١، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ط:١، ١٤٢٢هـ.

المستعربين" وذلك منذ الثلاثينيات كما يقول: الأستاذ (بامبا انجاي)[1]، وذلك لما أحسوا بضرورة تكاتفهم وتعاضدهم ببعضهم البعض للنجاة من محاولات الطمس والاحتواء، ولتأتي الدعوة أكلها الدائم بإذن ربها، ولا سبيل لذلك إلا بهذا الطريق، لا يتوقع الدعم أو التأييد من الحكومة التي تتبنى الفكر العلماني، بل وتؤيدها بصورة واضحة وجلية، ولا نغتر بحمل غالبية من فيها بأحلى الأسماء الإسلامية، مثل: عبد الله، ومحمد، وإبراهيم... وكون عدد المسلمين يقدر ب ٩٥% من مجموع السكان؛ ولكن نقول لا غرو في ذلك ! إذا علمنا سياسة الاستعمار في البلاد المستعمَرة، وهم لا يخرجون منها إلا وقد زرعوا بذورا تنمو في المستقبل القريب أو البعيد لتقوم مقامهم بتنفيذ أوامرهم من بعيد، لتظل تلك الدول مستعمرة ولو أعطوها استقلالا بالأوراق والتوقيعات وهي في الحقيقة لم تستقل، بل ولم يخرج المستعمر وإنما غير أساليب القهر والاضطهاد والسيطرة بما يناسب الوقت الحاضر، حيث أحكم سيطرته على العقول والأفكار، وأثر فيهم تأثيرا بالغا وخطيرا، ما يسمى بمصطلح (الغزو الفكري) الذي هو أشد من الاستعمار العسكري بلا شك؛ لأن تأثيره أبلغ وأبقى من أثر الاستعمار العسكري، وسيأتي بعض التفصيل حول الغزو الفكري في مبحث خاص له.

وكذلك ما ينتظرون من يد العون من بعض شيوخ الصوفية الذين سوادهم الأعظم يعيشون بالدين، لا لأجل الدين، كما يقول أحد خيارهم:

وبعضهم يركن للتصدر ... إلى رياسة بلا تستر

ولم يميز بين فرض وسنن ... ويجذب الورى لموجب الفتن

ويدعي الكمال والولاية ... يدهي الورى بكثرة الرواية

---

(١) انظر: أضواء على السنغال، ص: ٣١.

إلى أن قال:

فكل شيخ هكذا فإنه   من صائد الدنيا فاترك شأنه[1]

وأكثر هؤلاء الدعاة ينتمون إلى المؤسسات أو الاتحادات والمنظمات الموجودة في البلاد وهي بكثرة، ليرتبوا أمورهم بشكل أفضل، أما تلك المؤسسات ونشاطاتها سأرجع إليها لاحقا.

المطلب الخامس

الوسائل الدعوية لدى جيل الصحوة

وفيما سبق تناولت أسباب وعوامل ظهور جيل الصحوة في الساحة السنغالية، وفيما يلي سوف أذكر بعض الوسائل التي اتخذها هذا الجيل المعاصر لنشر الدعوة الإسلامية، وإبلاغ الرسالة إلى إخوانهم، وهي كالتالي:

الوسيلة الأولى: المساجد والخطب المنبرية:

من أهم وسائل الدعوة في الساحة السنغالية في وقتنا الحاضر هذه الوسيلة، حيث يقوم الداعية بعيد الصلوات المفروضة بإلقاء كلمته التوجيهية والإرشادية، والقلوب مازالت متصلة بربها، ومشتاقة إليه سبحانه، أو قبيل خطب الجمعة، ويتناولون فيها موضوعات مختلفة، وذات أهمية كبرى، في العقيدة والأخلاق والمعاملات... قد يكون الداعي هو الإمام، أو متطوع .

(١) مسالك الجنان في جمع ما فرقه الديماني، (كتاب في التصوف)، ألفه الشيخ أحمد بامبا، مؤسس الطافة المريدية في السنغال، ص: ١٠٧، مطبعة شيخ الخديم، طوبي – السنغال، سنة الطبع بدون.

كما أن بعض الأئمة في أيام الجمعة يفوضون هذه المهمة التي تسمى بالبيان لمن يثقون بهم من هؤلاء الدعاة، ثم يتولى الخطبة هو بنفسه، فيلقي هذا المفوَض الكلمة أو (البيان) باللغة العربية، ثم يفسره بعد ذلك باللهجة المحلية السائدة في تلك المنطقة، مما يجعل السامعين متأثرين إلى حد كبير وبصورة ملحوظة، ولا يخفى على أحد ما لهذا من أهمية.

الوسيلة الثانية: المحاضرات والندوات:

يقوم بعض الدعاة بتنظيم محاضرات وندوات قيمة، ولهذه الجهود أثر طيب في الأفراد والمجتمع، مثل ما تقوم به حركة الفلاح السلفية في السنغال، وجماعة عباد الرحمن وغيرهما من المؤسسات والمنظمات الإسلامية، بالتعاون مع جهات أخرى داخلية أو خارجية، ومثلما يفعله الطلاب السنغاليون المنتظمون في جامعات المملكة العربية السعودية في كل إجازة صيفية، بحيث يقيمون دورات تعليمية وتثقيفية ودعوية...في بعض المدن السنغالية أثناء بقاءهم في السنغال لقضاء الإجازة الصيفية عند أهلهم وإخوانهم، ويكون ذلك بالتناوب بين المدن لتتنوع الأجواء وشرائح المجتمع المستهدفة ولتعم الفائدة.

الوسيلة الثالثة: الكتاتيب (دور تحفيظ القرآن الكريم):

فيما يري الباحث أن الكتاتيب(دَارَه) –كما يسميها الولوفيون– بقسميها: التقليدية والحديثة يمكن أن تكون منشأ ومنطلقا لهذا الداعي الصغير الذي يتعلم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام والأخلاقيات في هذا المعسكر المبارك قبل أن يرجع إلى أهله وأسرته في أيام العيد والمناسبات الدينية، أو عندما ينتهي من مهامه وحفظه ليعود إليهم نهائيا، وربما هو الوحيد من بين أسرته حظي بهذا الفضل العظيم، ليصبح محترما ومقدرا، ومقدما في الصلاة وغيرها، ألا يمكن لهذا مع التوجيه والمتابعة أن يصبح داعية كبيرا؟!

وللمعلمين في الكتاتيب فرصة سانحة لتكوين هذا الجيل الناشئ وإعدادهم إعدادا تاما ليكونوا دعاة الغد، وخصوصا إذا تم ذلك بالتعاون فيما بينهم وبين أولياء أمور الأولاد، علما بأن الطفل كالعجين–كما يقولون– تشكله كما تريد.

الوسيلة الرابعة: المعاهد والمؤسسات التعليمية حكومية وأهلية:

وهي كثيرة جدا ومنتشرة في جميع أنحاء البلاد، وهي وسيلة هامة للدعوة والإرشاد بالنسبة لمن عينوا فيها للتعليم، وهم في ازدياد مستمر من خريجي الجامعات خصوصا، وذلك لما للمدرس من مكانة وهيبة أمام طلابه وتلاميذه، بالإضافة إلى ما تقوم به هذه المؤسسات من جهود وأنشطة متنوعة ومفيدة في مجالات عدة؛ كالتربية والتعليم، والدعوة، والصحة، وغيرها مما سيأتي الكلام عنها في محلها.

الوسيلة الخامسة: وسائل الإعلام بمختلف أنواعها:

وسائل الإعلام المقروءة منها والمسموعة والمرئية أصبحت من أهم وسائل الدعوة في السنغال، نظرا لانتشارها وسهولة الوصول إليها، بحيث أصبحت في متناول كافة شرائح المجتمع السنغالي، ولذلك نجد أن للدعاة نشاطا كبيرا في الدعوة إلى الله بتلك الوسائل المهمة، ولبعضهم مثلا برامج دينية فيها، وهي ذات أهمية بالغة، ولها صدى وآذان صاغية من أوساط الشعب السنغالي ذكورا وإناثا.

ومع ذلك لا نغفل ما لتلك الأجهزة من سلبيات؛ وهي سلاح ذو حدين إن استعمل في الخير فهو خير، وإلا فهو شر، ولذلك يجب على الدعاة، وعلى كل من عنده غيرة على دينه، أن يبذل قصارى جهده لإصلاح ما أفسده الأعداء من تلك الوسائل الإعلامية حسب المجال المتاح له.

الوسيلة السادسة: أشرطة الفيديو والمسجل:

وهما وسيلتان مهمتان للغاية؛ بحيث يمكن تسجيل المحاضرات والندوات والدروس العلمية ليستفيد منها الناس، وخصوصا الغائبون عنها أثناء الإلقاء، إلا أن الدعاة في السنغال قللوا هذا الشأن نوعا ما – مع أهميته– بينما نرى الأعداء يستعملونها في هذا الزمان لهدم السلوك الإنساني، وتدمير الأخلاق، وتشكيك المسلمين في عقيدتهم وأصول دينهم بشكل عجيب وخصوصا في وقتنا الحاضر؛ ذلك بإخراج ونشر أفلام جنسية عديمة الحياء والإنسانية، تصور العلاقات بين الرجل والمرأة بلا حياء، وبين الرجل والرجل، وبين النساء والنساء، وربما بين الإنسان والحيوان!! كل ذلك بهدف نشر الفساد في الأرض، حيث ينطبق عليهم قول الله عز وجل:

﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥]

فأصبحوا بذلك يهدمون في لحظة ما يبنيه الدعاة في سنوات عديدة! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المطلب السادس

الاتجاهات الدعوية المعاصرة في السنغال

إن مما تميزت به هذه الفترة (جيل الصحوة) ظهور اتجاهات دعوية عديدة ومختلفة في المنهج والرؤية، ويرجع هذا الاختلاف إلى تنوع المنابع والمشارب التي أخذ منها هؤلاء، فمثلا هناك من تأثر بدعاة مجددين واقتنعوا بصحة أفكارهم وسلامة مناهجهم الدعوية فتعلقوا بها من أجل إصلاح نفوسهم أولا، ثم إصلاح غيرهم من أبناء بلدهم ثانيا، كما أن هناك من ليس عنده رؤية واضحة أو هدف محدد، بل يتخبط في أمره، أو يهمه جمع المال أكثر من القيام بمهام الدعوة إلى الله عز وجل.

وأشهر الدعوات والحركات الفكرية التي تأثر بها الدعاة من الجيل الصاعد هي:

١- **الدعوات الإصلاحية السنية**: مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله التي تركز أساسا في الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك والبدع والخرافات، ومثل حركة "الإخوان المسلمون" التي نشأت في مصر على يد الشيخ حسن ألبنا رحمه الله، وهي حركة تجاهد من أجل الإصلاح الشامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية على ضوء المنهج الإسلامي، وكذلك دعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري رحمه الله؛ وإليك نبذة عن كل من تلك الحركات الثلاثة:

أ- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

أولا/ التعريف بها: هي دعوة سلفية، تعتبر بحق رائدة الحركات الإصلاحية التي ظهرت إبان التخلف والجمود الفكري في العالم الإسلامي في وقته، فهي تدعو إلى العودة الحقيقية إلى أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، وهي منهج وليس مذهبا كما يسميها بعض خصومه بقولهم (المذهب الوهابي).

ثانيا/ التأسيس وأبرز الشخصيات:

- المؤسس وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، (١١١٥-١٢٠٦هـ) سبق الكلام عنه بتفصيل أكثر.
- سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود كان ملازما للشيخ وأخذ عنه وقرأ عليه.
- حسين بن محمد بن عبد الوهاب قاضي بلدة الدرعية.
- علي محمد بن عبد الوهاب.
- حسين بن غنام صاحب كتاب روضة الأفكار.
- عبد العزيز بن عبد الله الحصين المتوفى (١٢٣٧).

- حمد بن ناصر بن معمر[1].

ثالثا/ أهم الأفكار والمعتقدات:

- اعتماد منهج أهل السنة والجماعة في فهم الدليل والبناء عليه، لا التعصب المذهبي.
- تنقية مفهوم التوحيد ومطالبة المسلمين بالرجوع إليه.
- التركيز على مفهوم توحيد الألوهية (العبودية).
- إحياء فريضة الجهاد في سبيل الله.
- وجوب القضاء على البدع والخرافات التي كانت منتشرة آنذاك فيما حوله بسبب الجهل والتخلف[2].

وعلى هذا يرجع جذور أفكار هذه الدعوة إلى الكتاب والسنة وفق ما كان عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

ب- جماعة الإخوان المسلمون:

ألا/ التعريف بها: هي كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة، تنادي بالرجوع الحقيقي إلى الكتاب والسنة والتحكيم بالشريعة الإسلامية في واقع الحياة، وتقف متصدية عن سياسة فصل الدين عن الحياة، وعن مد العلماني في العالمين العربي والإسلامي[3].

ثانيا/ التأسيس وأبرز الشخصيات: تم تأسيس النواة الأولى لهذه الجماعة في شهر ذي القعدة عام ١٣٢٧هـ- إبريل ١٩٢٨م على يد قائدها الأول الشيخ حسن البنا (١٣٢٤-١٣٦٨هـ) (١٩٠٦-١٩٤٩م) ولد في إحدى قرى البحيرة بمصر ونشأ في أسرة دينية تركت بصماتها واضحة على كل حياته.

---

(1) انظر: الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص: ١٦٠ بتصرف، وحقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية، عبد الله بن سعد الرويشد، ص: ١٣، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، سنة الطبع بدون.

(2) انظر: الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص: ١٦٣، وحركة التجديد والإصلاح في نجد، عبد الله عجلان، ص: ٤٢، الناشر: عبد الله العجلان، ط: ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(3) انظر: الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص: ١٩٨.

ومن أبرز الشخصيات: حسن البنا المؤسس، وسيد قطب، ويوسف هواش، وعبد الفتاح إسماعيل، ود. مصطفي السباعي وغيرهم كثير.

ولها انتشار كبير في مصر وخارجها من شتى البلاد الإسلامية.

ثالثا/ أهم الأفكار والمعتقدات: يؤمن الإخوان بالإسلام عقيدة ومنهجا شاملا لكل جوانب الحياة، إيمانا بأن الحل الوحيد لجميع المشكلات التي تكتنف حياة الإنسان هو العودة الحقيقية إلى الإسلام، ولذلك ينادون بإقامة الدولة الإسلامية التي تسعي لإعلاء كلمة الله ليسعد الإنسان سعادة حقيقية في الدنيا والآخرة، انطلاقا من قول الشيخ حسن البنا مؤسس الجماعة: (الإسلام عبادة وقيادة، ودين ودولة، وروحانية وعمل، وصلاة وجهاد، وطاعة وحكم، ومصحف وسيف، لا ينفك من هؤلاء عن الآخر) ([1]).

حركة عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس (١٨٨٩-١٩٤٠م)، ولد في مدينة قسطنطينية في (١١من ربيع الآخر ١٣٠٧هـ - ٤ من ديسمبر ١٨٨٩م)، ونشأ في أسرة كريمة ذات عراقة وثراء ودين، كان عالما شُغل ببناء الإنسان عن تأليف الكتب كما يقال، ويُعد من أعيان المدينة، وعُرف بدفاعه عن حقوق المسلمين في الجزائر، وينتمي إلى أسرة مشهورة في الشمال الإفريقي اشتهر من رجالها "المعز بن باديس" (٣٩٨-٤٥٤هـ)، الذي انفصل بالدولة الصنهاجية عن الدولة الفاطمية، وأعلن مذهب أهل السنة والجماعة مذهبًا للدولة .

حفظ ابن باديس القرآن الكريم وهو في الثالثة عشرة من عمره، ثم انتقل إلى العالم الكبير "حمدان الونيسي" بجامع سيدي محمد النجار، وتلقى منه العلوم العربية والإسلامية، وكان لهذا العالم أثر إيجابي في نفس صاحبنا، ومما يدل على ذلك أنه كان ينوي الهجرة إلى المدينة المنورة ليلحق بشيخه هناك، لكن والده منعه من ذلك لصغر سنه، وبعث به إلى تونس لاستكمال دراسته في جامع الزيتونة، حيث تلقى العلم فيها على جماعة من كبار الأساتذة والعلماء البارزين، فلازم العلامة محمد الطاهر بن عاشور، وأخذ عنه الأدب، وكان له تأثير كبير عليه عبر عنه ابن باديس بقوله: "بث فيّ روحًا جديدة في فهم المنظوم والمنثور، وأحيت مني الشعور بعز العروبة والاعتزاز بها، كما أعتز

[1] الموسوعة الميسر، مصدر سابق، ص: ١٩٨-١٢١.

بالإسلام).

كان لابن باديس مواقف مع بعض أصحاب الطرق الصوفية في الجزائر لما رأى أن الاستعمار الفرنسي اتخذهم وسيلةً للسيطرة على عقول الشعب الجزائري، كما وصفهم بأنهم ابتدعوا أعمالاً وعقائد لا أساس لها من الدين، معتقدين أنهم يتقربون بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

كان يقول عن أمته "إن الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا لو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج ولها وطن معين هو الوطن الجزائري"...ما يدل على يقظته وذكائه وإدراكه الأمور، ولذلك لما تأسست جمعية العلماء المسلمين في الجزائر سنة (١٣٥٠هـ - ١٩٣١م)، وجعلت شعارها "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"، انتخبوا الشيخ "عبد الحميد بن باديس" رئيسًا للجمعية، لما وجدوه فيه من علو الهمة والحرص على الدفاع عن الإسلام والوطن، كما أدركت الجمعية أهمية التربية والتعليم في تحقيق أهدافها والمحافظة على كيان الأمة في مواجهة جهود مستميتة من المستعمر الفرنسي للقضاء على الهوية الإسلامية؛ ولهذا اهتمت بإنشاء المدارس التي تُعنى بالمناهج العربية الإسلامية، وحثت الأمة على إرسال أبنائها إلى مدارسها؛ بهدف تعليم أكبر عدد ممكن من أبناء الأمة تعليمًا صحيحًا[1]

أما أقرب الجمعيات والمنظمات السنغالية إلى هذه الدعوات السنية فهي: حركة الفلاح للثقافة الإسلامية السلفية، وجماعة عباد الرحمن، ولهما تميز كبير في مجال الدعوة، وفي التربية والتعليم في الساحة السنغالية، ولذلك سيأتي الكلام عنهما بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا البحث.

(١) انظر: موقع صيد الفوائد، بتاريخ ١٤٣٣/٣/٥هـ.

٢- :جماعة التبليغ:

أولا/ التعريف:

هي جماعة إسلامية أقرب ما تكون إلى جماعة وعظ وإرشاد منها إلى جماعة منظمة، تقوم دعوتها على تبليغ فضائل الإسلام إلى كل من يمكن الوصول إليه، ملزمة أتباعها بأن يقتطع كل واحد منهم جزءا من وقته لتبليغ الدعوة ونشرها بعيدا عن التشكيلات الحزبية والقضايا السياسية، إيمانا بأنه إذا صلح الأفراد واحدا تلو آخر صلح المجتمع، كما يلجأ أعضاؤها إلى الخروج للدعوة ومخالطة المسلمين في مساجدهم ودورهم ومتاجرهم ونواديهم، وإلقاء المواعظ والدروس والترغيب في الخروج معهم للدعوة، كما ينصحون بعدم الدخول في الجدل مع المسلمين أو خصومات مع الحكومات[١].

ثانيا/ التأسيس وأبرز الشخصيات:

قد تأسست هذه الجماعة على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى (١٣٠٣-١٣٦٤هـ)، ولد في (كاندهلة)، قرية من (سهارنفور) بالهند، وفيها تلقي تعاليمه الأولية ثم انتقل إلى (دهلى) لإكمال دراسته في مدرسة (ديوبند) التي تعتبر من أكبر مدارس الأحناف في شبه القارة الهندية، تأسست عام ١٢٨٣هـ-١٨٦٧م.

أما أبرز الشخصيات فمنهم المؤسس، والشيخ رشيد احمد الكنكوهى(١٨٢٩-١٩٠٥م)، والشيخ عبد الرحيم شاه الديوبندى التبليغي، والأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي، وغيرهم[٢].

ثالثا/ الأفكار والمعتقدات:

قرر هذه الجماعة ستة مبادي لتكون أساس دعوتهم، ولا يخرج عنها حديثهم وبياناتهم في المؤتمرات والندوات أو اللقاءات العامة وهي:

- الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله).

(١) انظر: الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص: ٣١٧، بتصرف.

(٢) الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص: ٣١٨.

- الإخلاص.
- إقامة الصلاة الخاشعة.
- العلم.
- الذكر.
- إكرام المسلمين.[1].

يتضح مما سبق أن هذه الجماعة تركز في دعوته على جانب تهذيب النفس وتزكيتها، وغرس الإيمان في القلوب، دون التعرض لتفاصيل مسائل الإيمان، أو الخوض في الأمور السياسية أو غيرها، ولجماعة التبليغ وجود في الساحة السنغالية منذ بداية الدعوة المعاصرة، ولهم مراكز في العاصمة داكار، وجهودهم محدودة بالمقارنة مع غيرهم من الدعاة والحركات في السنغال، وكانت الجمعيات السنية تفتح أبواب مساجدها ومراكزها لقوافل "الخروج في سبيل الله"، مما أدى إلى تأثر بعض أفراد الجمعيات السنية بهؤلاء وازدياد عددهم فيما بعد، ولكن هذه العلاقة مع مرور الزمن تقلصت وانكمشت، وأصبحت ضعيفة في الواقع.

٣- **الاتجاه الشيعي**: وللشيعة حضور في السنغال منذ فترة طويلة، ممثلة في الجاليات اللبنانية الذين قدموا للسنغال أيام الحروب الأهلية التي حدثت في بلادهم، ولكن بدون أي نشاط ديني منهم مما يميزهم أو يلفت النظرة إليهم، ما جعل غالبية السكان يجهلون حقيقتهم، ولكنهم بدؤوا في الآونة الأخيرة بالظهور، وبأنشطة كثيرة في بعض المدن والقرى من مختلف مناطق السنغال، ومن تلك الأنشطة بناء المساجد، ومراكز ومؤسسات علمية، وصحية، وغيرها، بالتنسيق مع السفارة الإيرانية في السنغال، خصصت لها مبحثا خاصا في الفصل الثالث سأرجع إليها بتوسع أكثر.

---

(١) الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص: ٣١٩.

المطلب السابع

من آثار الدعوة إلى الله على الشعب السنغالي

حينما يتحول الإنسان ليجعل نفسه ممن يحملون هم الآخرين ويعملون من أجل إنقاذ غيرهم من البشر وإصلاح أحوالهم، ويبذل ما لديه من وقت وجهد ومال، تعدل بذلك الأمة كلها فتصير أمة ولو كان واحدا، مصداقا لقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام الفرد الواحد

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠] حيث عبر عن الداعية الصادق المخلص بالأمة ولو كان واحدا، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

وما أجمل أن يرى الإنسان أثر عمله بتحول شخص ما من غيه وضلاله إلى الرشد والهداية، ومن كفره وشركه إلى الإيمان بالله وتوحيده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩]، حيث ينقذه من النار وعذابها إلى الجنة ونعيمها، ويشعر بذلك السعادة لأنه أبعد أخاه من الهلاك، واشتغل بعمل الأنبياء والرسل خير الناس جميعا.

قد تتعجب حين ترى أثر شريط سجلته، أو كتاب كتبته، أو كلمة ألقيته، أو مقال نشرته، في هداية كثير من الخلق وأنت قد لا تشعر، ولكن بركة إلهية ورحمة ربانية تسبقها إلى قلوب الآخرين وتجعلها بلسما وشفاء للمرضى.

لقد كان للدعوة إلى الله أكبر الأثر في تحويل حضارات وشعوب من الوثنية والنصرانية إلى الإسلام عبر التاريخ في أفريقيا، وأوروبا، وأمريكا، وغيرها، من مناطق العالم، وقد أثر فيها الإسلام تأثيرا كبيرا

بفضل الله تعالى ثم بفضل جهود الدعاة إليه، كم أنقذ هم الله من الناس بهذه الدعوة من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى اليقين، ومن النار إلى الجنة!

ولكن نلاحظ اليوم – مع الأسف – كأن الدعوة إلى الله أصبحت الوسيلة الوحيدة لتبليغ دين الله ﷻ إلى الخلق بعد تعطل عامل مهم وقوي لدى المسلمين ألا وهو الجهاد؛ لضعف المسلمين وانهزامهم نفسيا أمام التكتلات الدولية الغربية التي ترفض بالطبع أن تسمع كلمة "الجهاد" حتى أصبحت هذه الكلمة تساوى عندهم في وقتنا الحاضر كلمة " الإرهاب" كل ذلك لمحاولة إقصائه عن عقول المسلمين؛ لأنهم في الحقيقة يخافون من المسلم الحقيقي ولو كان أعزل، وذلك بسبب قوة العقيدة والإيمان الموجودة فيه، وتاريخ الفتوحات الإسلامية لخير دليل على ذلك، ويمكننا استنباط ذلك أيضا من الآيتين الكريمتين من سورة الأنفال حيث أشار في الآية الأولى إلى وجوب الإعداد التام قدر الاستطاعة للعدو، ثم في الآية التالية مباشرة يقول (وإن جنحوا للسلم...) ما يدل على أننا إذا قمنا بمضمون الآية الأولى نرى النتيجة وهي مضمون الآية الثانية مباشرة بلا شك قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠-٦١]، ونسأل الله تعالى أن يخرج المسلمين من هذا الضعف وأن يرفع علم الجهاد.

وعلى كل حال لقد حققت الدعوة إلى الله في هذه البلاد (السنغال) آثارا كبيرة في حياة الناس عموما فهذبت أخلاق كثير منهم فحولتهم من الكفر والشرك إلى التوحيد، ومن البدع إلى السنة، ومن

ورود أوكار الدعارة وحانات الخمارات إلى المساجد والصلوات، ومن المعاصي والمنكرات إلى العبادات والطاعات، ومن ظلمات الجهل والشك إلى نور العلم واليقين.

وذلك لأن الدعوة إلى الله بمثابة الماء في الأرض الجدباء، فبعد أن كانت أرضا مقفرة هجرتها الطيور وماتت فيها الزروع فلم تنتظر إلا أن يأتي ماء الإيمان والتوحيد ليرويها فتخرج نباتها وزهورها وتزهو ثمارها وحبوبها فتبتهج النفوس، وتطمئن القلوب، فتتحول الأمور من الشدة إلى الرخاء ومن البؤس إلى السعادة...نعم إنها الدعوة إلى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي اهتزت لها السموات واندكت لها الجبال وخشعت لها القلوب، إنها لكلمة الحق.

مظاهر أثر هذه الكلمة وهذه الدعوة المباركة على الشعب السنغالي تتجلى في جوانب عديدة ومتنوعة ومنها: ناحية العبادة، والسلوك والأخلاق، والمعاملة بين الناس... فترى كما سبق آنفا تغير كبير في سلوك وأخلاق كثير من أفراد المجتمع السنغالي وحرصهم على العبادة وتعلم أمور دينهم وإرسال أبنائهم إلى المدارس العربية الإسلامية لتثقيفهم ثقافة إسلامية،

وإذا تأملنا في عدد المقبلين إلى المدارس الإسلامية أو الكتاتيب وخصوصا في الآونة الأخيرة، نجد تحولا كبيرا مقارنة بما سبق، حيث كانوا يحاربون ويهمشون الثقافة العربية والإسلامية كجسر لمحارب الإسلام بتخطيط محكم من العدو الغاشم المستعمر، مما كان عائقا كبيرا للوصول إلى الكتاتيب وإلى التعليم الإسلامي، وإذا رأينا اليوم هذا التحول المبارك فإن الفضل في كل ذلك يرجع بعد الله سبحانه إلى جهود الدعاة الأبطال، المتمثلة في المؤسسات التعليمية والمنظمات والجمعيات الخيرية.

ولا يخفى على المتخصصين ما لهذه المؤسسات والمنظمات الإسلامية من جهود لمواجهة تحديات الثقافة الإسلامية في السنغال عن طريق التربية والتعليم، وتسليح الشباب بالعلم الشرعي، وغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوسهم، ومحاربة الشرك والبدع والخرافات بمختلف أنواعها، ببرامج دينية تذاع

وتبث في القنوات الفضائية والإذاعات وعبر الصحف والمجلات وعبر الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنت) وغيرها، وكذلك من الناحية الاجتماعية والإنسانية بمشاركتها الفعالة في تخفيف معاناة الشعب من الفقر والمرض والجهل...

جهود لها ثمار مباركة، ومشهودة وملموسة في الواقع السنغالي رغم تزاحمهم مع المنظمات التابعة للمنصِّرين أو الملاحدة في الساحة الدعوية، ورغم تفاوت الكفتين من الطرفين ماديا، إلا أن النتائج تظهر بزيادة المعتنقين بالإسلام، وزيادة المسلمين حماسة في الاستنارة والتبصر في أمر دينهم مما يبشر بالخير لمستقبل هذا البلد المسلم بإذن الله تعالى.

وأي عمل قَلَّمَا ينجو من عائق أو مشكلة تعترض له، فكل هذه المؤسسات والمنظمات دون استثناء تعاني العجز المادي اللازم لتنفيذ برامجها ونشاطاتها وتطلعاتها المستقبلية، وخصوصا بعد **حادثة ١١ سبتمبر** في نيويورك وواشنطن التي أدت إلى إغلاق بعضها مثل مؤسسة الحرمين التي كانت لها في السنغال وغيره من دول العالم الإسلامي أنشطة مهمة للغاية في صالح الدعوة والدعاة المسلمين، لأنها كانت تكفل على بعض الدعاة السنغاليين وتساهم أيضا في مجالات شتى دينية واجتماعية، إلا أنها أبعدت عن الساحة الدعوية في جميع أرجاء العالم بضغوطات خارجية غربية؛ لأنها كانت – في نظري– أقوى منافس في الميدان للمنظمات التنصيرية والإلحادية المنتشرة في العالم، ليفسح لهم المجال ليركضوا دون مضايقة من أحد ولا إزعاج.

مع العلم بأن بعضها لم تغلق نهائيا ولكن تعمل بصعوبة لقلة الإمكانيات التي تساعدها على تنفيذ برامجها المخطَّطة، وتحقيق أهدافها التي ترمي إليها.

المطلب الثامن

التحديات التي تواجه الدعوة المعاصرة في السنغال، مع بعض الحلول المقترحة.

أولا/ التحديات الداخلية:

ولا تخلو أية دعوة من معوقات وعراقيل، وخصوصا في وقتنا الحاضر حيث يزداد الإسلام قوة وانتشارا، مما يزيد العدو غيظا وحقدا، وبالتالي يجهز نفسه ويجتهد في عرقلة المسير لهذا الدين الحنيف دين الإنسانية والحرية والمتسم بالشمولية والثبات والاتزان...يحاول ذلك بكل وسيلة ممكنة وهم ساهرون لأجل تحقيق ذلك الهدف.

وتتلخص أهم تلك التحديات والعوائق فيما يلي:

١- **قلة البضاعة اللازمة**: أعني قلة العلم الشرعي الازم لدى كثير من ممارسي الدعوة في السنغال، من مبادئ العقيدة الإسلامية الصحيحة، وفقه العبادات والأحكام، وفقه الواقع. إلى غير ذلك مما لا يسع الداعية جهله.

٢- **الاضطراب المنهجي**: الشيء الذي نتج عنه التضارب بين هؤلاء في فهم وتفسير كلمة "أهل السنة والجماعة" أو مفهوم" السلفية"، وحقيقة "الفرقة الناجية"، وموقف الإسلام من المخالفين، ونحو ذلك.

٣- **التفرق والتحزب بين الدعاة** مع الأسف الشديد، مما أدى إلى تصنيف بعضهم البعض، وربما لا يكون الأساس في ذلك إلا مجرد اتباع الهوى والنفس، أو الحماسة المفرطة، مما أدى إلى اختلافات كثيرة، وتحفظات ملحوظة، فيما بين بعض الدعاة في السنغال، بل وصل الأمر عند بعضهم إلى تكفير

بعض من خالفهم، أوشك -على الأقل- في إيمان وعقيدتهم ما دام لا يرونهم عند الشيخ الفلاني أو العالم الفلاني، أولم يأخذوا بفتواه، ولاشك أن هذه التصرفات ليست في مصلحة المسلمين أنفسهم، ولا من الدين بشيء، ولعل هذه النقطة لها ارتباط بسابقتها.

٤- مصالح شخصية؛ مادية أو معنوية: بحب الظهور والتطلع إلى الصدارة وإلى الرئاسة، لا للحرص على الدين ومصالحه وإنما لإشباع شهوته المادية لا غير.

٥- غلاة الصوفية: أعني بهم الجهلة الذين أغلقوا باب الحوار والمناقشة أمام أي أحد حول المسائل الدينية إلا ما قاله شيخه ولا يبحث عن غيره، وكثيرا ما ترى أمثال هؤلاء ينسبون روايات شفوية إلى شيوخهم لا أساس لها من الصحة، وإنما لإشباع هواهم، وربما يأخذه العامي على جهل، وربما يكون ممن هو على علم ويقين بذلك، ولكنه آثر أن يكون ممن اتبع هواه فيضله !!

أو يكون من المتشيخين الذين يعرفون الحق تماما، ولكنه وقع في حبال الشيطان، وأصبح أسيرا له يقوده حيث شاء، فصار يرفض الحق وهو على علم به؛ لأن لا يفقد مكانته الاجتماعية، ومصادره المادية من الهدايا التي يأخذها من أتباعه الجهال، ولذلك تراه يعارض الحق بالباطل، ويشتري دنياه بدينه! من باع نورا بالدجى فسيندم.

٦- خلط في فهم الحكمة: بعض الناس يفهمون الحكمة في الدعوة فهما خاطئا، ويخلطون بذلك بين جوهر الدعوة ومضمونها، وبين وسائلها، فيعتبرون الصراحة والجرأة في الدعوة منافيا للحكمة والموعظة الحسنة، بل يصنفون ذلك من ضمن معوقات الدعوة، ويصفون صاحبها بالتطرف والتشدد والقسوة! أما المتصف بالحكمة عندهم هو الذي يتغاضى عن الانحرافات والمنكرات، ويبالغ في التسامح

إرضاء لهم على حساب الدين؛ فهذا لاشك أنه مخالف للمنهج الصحيح[1]، ولكن ينبغي أن يكون متوسطا بين هذا وذاك؛ بأن يدعو على بصيرة، وبحكمة وموعظة حسنة، مع مراعاة الظروف والأحوال حسب ما تقتضيه مصلحة الدعوة.

٧- قلة الإمكانيات: لاشك أن الدعوة إلى الله تتطلب توفر الإمكانيات المادية والمعنوية الضرورية، وبدونها تبقي مجرد أفكار جميلة، ومشاريع وهمية، لا تتحقق بها نتيجة كبيرة، وكيف يخرج الإنسان من بيته لمهمة الدعوة ولم يترك في بيته ما يأكله أهله في هذا اليوم! وهل لا يرضى- وحاله هكذا- بأن يبحث ما يسد به رمق جوعه وأهله، ثم هل يجد ذلك بسهولة؟!

هذا هو الواقع الذي نعيشه اليوم؛ اللهم إلا إذا قلنا لا ليكون متفرغا للدعوة، بل ما عليه إلا أن يكون داعيا حسب استطاعته، في سلوكه ومعاملاته ومظهره ... وهذا واجب مشترك بين المسلمين جميعا، للحديث النبوي المعروف الذي رواه مسلم في صحيحه (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان[2]

ثانيا/ التحديات الخارجية:

وهي كثيرة إلا أن أهمها ينحصر في الآتي:

١- التنصير: يعتبر عائقا في مجال الدعوة في الساحة السنغالية، بكل وسائله المادية والمعنوية، من بناء المستشفيات وحفر الآبار ومساعدات مالية للفقراء، وخصوصا في الأرياف حيث يشتد الفقر

(١) انظر: تحديات الدعوة السلفية أسباب وحلول، ص: ١، ٢، مقال للدكتور محمد أحمد لوح، نشر في موقعه الخاص،(www.drmalo.com) بتاريخ ١٤٣١/١/٢٩هـ، غير مطبوعة فيما أعلم، ودراسات حول الدعوة والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، جمع وترتيب الطالب توری طه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص: ٢٦ ، ٢٧، غير مطبوع.

(٢) صحيح مسلم، (٦٩/١) مصدر سابق.

والجهل، مع كل ذلك ليس لهم نتائج تذكر، بل جهود في مهب الرياح، ولا يشكلون الخوف على الجو الدعوي، إلا أن علينا – أهل السنة والجماعة – اليقظة والعمل وعدم اليأس والكسل والخمول وما شابه ذلك من الصفات المذمومة والمرفوضة في ديننا الحنيف.

٢– التغريب: للأعداء جهود تبذل لمحو الحضارة والثقافة الإسلامية من هذه البلاد وإحلال الثقافة الغربية محلها، بل وأبعد من ذلك؛ يغزوننا ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وتربويا بكل وسائل ممكنة، وأهمها: وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، ومناهج التربية والتعليم، بحيث يخططون لعلمنة جميع القطاعات الحساسة في البلد؛ كالتعليم، ودستور البلاد، والإعلام بأنواعها المختلفة، وغير ذلك، وبالفعل قد حصل كل ذلك مع الأسف[١].

٣– **اضطهاد العدو للدعوة والدعاة:** ازداد الأمر سوءا لما رأى العدو التمدد الإسلامي في أوروبا وأمريكا، وغزوه عليهم في عقر دارهم، حيث يسلم أبناؤهم يوميا بشكل كبير، مع محاربتهم الإسلام وإساءة سمعته ليلا ونهارا، وما زاده ذلك إلا ظهورا وعلوا، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

لما وصل الأمر إلى هذا الحد في الآونة الأخيرة شددوا الخناق على المسلمين، ورموهم بتهم كاذبة، وأكاذيب مصطنعة من مصطلحات مختلفة؛ ووصفوهم بالإرهاب، والتطرف، والعنف، وغيرها من التهم الباطلة، تمهيدا لفرض عقوبات شديدة عليهم، تنكيلا بهم، وزجرا لمن يرغب من بني جلدتهم الدخول إلى الإسلام، وفعلا قد طبقوا هذا على أرض الواقع، الأمر الذي لم تنج منه دولة واحدة من الدول الإسلامية، فأغلقوا أهم المؤسسات الخيرية العالمية الإسلامية، والخليجية خصوصا التي كانت تمول وتكفل بعض الدعاة في البلاد النامية مثل السنغال، مما أدى إلى نتائج مؤلمة في الساحة الدعوية والله المستعان.

(١) انظر:، دراسات حول الدعوة والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، ص: ٢٩.

وهذه نماذج، وإلا فالمعوقات والمشاكل كثيرة داخليا أو خارجيا، ولمن يرغب في التوسع الرجوع إلى المصادر المذكورة وغيرها وهي كثيرة.

ثالثا/ الحلول المقترحة:

ما من داء إلا وله دواء، ولكن هل يحسن كل مريض استعمال الدواء؟ إذا عرفنا المشكلة والمعوقات التي تعرقل عجلة السير للدعوة إلى الله ﷻ، فما بقي إلا أن نضع حلولا مناسبا للتغلب على هذه المعوقات، أو التخفيف من آثارها ومنها في نظر الباحث ما يلي:

١- الإخلاص لله في القول والعمل.

٢- العودة الحقيقية إلى الكتاب والسنة المطهرة، وفيهما صلاح الدنيا والآخرة.

٣- إحسان الظن، واتهام النفس، وتلمس الأعذار للآخرين في ساحة الدعوة.

٤- الشعور بحاجتنا إلى التماسك والتعاضد كالبنيان المرصوص، حتى لا يأخذنا العدو واحدا تلو الآخر، ولأننا في حاجة ماسة إلى ذلك لمواجهة العدو المشترك الذي يتربص بنا.

٥- ترجمة الحلول عمليا، لا نظريا فحسب.

٦- عدم اليأس والخضوع والاستسلام لاستفزاز المعارضين المناوئين، لقلة، أو لضعف أو لأي سبب من الأسباب.

٧- الصبر والمصابرة، وعدم استعجال النتيجة والنصر والفرج.

المبحث الثاني

وضع المنطقة (السنغال وما حوله) قبل وبعد وصول الإسلام إليها

ومدى تأثيره في سكانها

حالة المنطقة قبل الإسلام كحالة أية منطقة بصفة عامة في إفريقيا وغيرها قبل وصول الإسلام إليها، حيث يسودها الجهل والشرك بالله، وعبادة الأصنام، والتمسك بالعادات والتقاليد التي يرثونها من الآباء والأجداد بغض النظر عن صحتها أو بطلانها، بل ينطبق عليهم قوله عز وجل في محكم تنزيله:

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وما أريده هنا هو تسليط الضوء على بعض أنماط الحياة التي كانت تسود هذا القطر الإفريقي قبل الإسلام، وما آل إليه أمرهم بعد أن رأوا نور الإيمان؛ وذلك باختصار غير مخل بالمراد بإذن الله، مشتملا الجوانب الآتية: السياسية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

المطلب الأول: وضع المنطقة في تلك الفترة من الناحية السياسية

قد كانت منطقة غرب إفريقيا (السنغال، مالي، موريتانيا) جزءا من مملكة "غانا"[1]، وهي أقدم مملكة في المنطقة كما تقول المصادر، ونشأت ما بين القرنين؛ الثالث والرابع الميلاديين، ولذلك لا يمكن الحديث عن تاريخ المنطقة في أي جانب دون التطرق إلى تلك

(١) "غانا" كانت لقبا لملوكهم، واسم البلد (أوكار)، كما يقول البكري، الذي زار المنطقة، سنة: ٤٦٠هـ، ثم أطلق فيما بعد على جميع المنطقة التي كانت تسيطر عليها مملكة "غانا"، من السنغال ومالي وموريتانيا وغيرها، كما أن "غانا" هذه ليست جمهورية "غانا" الحالية التي عاصمتها "أكرا"، انظر: المسالك والممالك، ص: ٨٧١.

الإمبراطوريات الثلاث، التي حكمت المنطقة لمدة قرون عديدة، وهي: "إمبراطورية غانة"، "إمبراطورية مالي"، و"إمبراطورية سنغاي".

ولا أهدف هنا إلى تناول كل ما يتعلق بتلك الإمبراطوريات من الجوانب السياسية والاقتصادية وغيرها على التفصيل؛ لأنه لا يتسع بنا المقام لذلك، بل يحتاج ذلك إلى دراسة خاصة ومستقلة، ولذلك أكتفي بما له اتصال مباشر بموضوعي، وهو مدى احتكاك تلك الإمبراطوريات بالإسلام، ومدى تأثير الإسلام فيها:

١- **امبراطورية "غانا"**: قد حكمت "غانا" المنطقة قرونا عديدة، من القرن الثالث الميلادي إلى سقوطها، في عام: ١٠٧٦م، حيث حكم عليها ٢٢ملكا قبل البعثة و٢٢ ملكا بعد البعثة، وعدد ملوكهم ٤٤ملكا وهم بيضان في الأصل [١] وكانت تعتمد على التجارة كمصدر رئيسي، وخصوصا في الذهب؛ لأن المناطق التي كانت تسيطر عليها مليئة بالذهب، حتى أصبح ملوكهم أغنى ملوك العالم، كما تقول المصادر، ولكن في الحقيقة إن إمبراطورية "غانة" لم تكن تسيطر على المصادر الرئيسية للذهب في المنطقة، ولكن كانت تتحكم في الطرق المؤدية إليها[٢].

أما سياسة ملوكها مع المجتمع، كسياسة كثير من الملوك مع رعيتهم، وهي الاستبداد والعنف، واستعمال القوة على الضعفاء، سواء كان في العهد الوثني، أو في العهد الإسلامي، والنظام السائد في وراثة الحكم عندهم هو توريث ابن الأخت، وذلك كما يقول البكري: "وسنتهم أن المُلْك لا يكون إلا

(١) تاريخ السودان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، ص: ٩، طبع في مطبعة ألأمريك، بباريس، فرنسا، ١٩٨١م،

(٢) انظر: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، د. عصمت د نش، [٤٣٠- ٥١٥هـ/١١٢١-١٠٣٨م] ص: ١١٠، دار الغرب الإسلامي، بدون سنة الطبعة.

في ابن أخت الملك؛ لأنه لا يشك فيه أنه ابن أخته، وهو يشك في ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به"(١).

وتميزت "غانا" بكثرة أفراد الجيوش وقوتها، يقول البكري في كتابه المسالك والممالك "فإذا احتفل ملك غانة ينتهي جيشه إلى مائتي ألف، ومنهم رماة أزيد من أربعين ألف، وخيل غانا قصار جدا"(٢).

نظرا لكون العلاقة بين غانا والمرابطين متدهورة بالطبع، حدثت مناوشات واحتكاكات كثيرة بين الطرفين، وانتهزت غانا فرصة اختلاف وتفرق المرابطين لإحكام سيطرتها، وبسط نفوذها في المنطقة، ولكن لما جاء الأمير أبو بكر بن عمر من المرابطين على رأس جيش منهم، وابنه الأمير أبو يحيي على رأس جيش آخر، فتقدما إلى غانا، بدؤوا بالسيطرة على مدنها واحدة تلو الأخرى، حتى حاصرا العاصمة "كومبي صالح" فسقطت في أيدي المرابطين عام: ١٠٧٦م، وقد قتل كثير من السوننكي، وأسلم بقية السكان(٣)، وهذا بالتعاون مع ملك تكرور "وارجابي بن رابيس " الذي أسلم ولكنه لم يكتف بذلك، بل أقام شعائر الإسلام في مملكته وحمل الناس عليها، وانضم هذا الملك في حلف قوي مع المرابطين مما أدى إلى تحقيق نصر كبير للمرابطين في جهادهم ضد الوثنيين، توفي الملك المذكور ٤٣٢هـ- ١٠٤٠م (٤).

ونلاحظ أن مملكة "غانا" كانت في أول أمرها مملكة وثنية بحتة، ولكن مع مجيء الإسلام أصبحت تتفتح شيئا فشيئا، حتى صارت مملكة إسلامية تقريبا في نهايتها؛ لأن من بين ملكوها مسلمين، وكذلك الوزراء، وكان الجو فيها جوا إسلاميا.

---

(١) المسالك والممالك، مصدر سابق، ص: ٧٥.

(٢) المسالك والممالك، مصدر سابق، ص: ٨٧٥.

(٣) انظر: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، عبد الرحمن زكي، ص: ٢٥، معهد الدراسات الإسلامية،ط: بدون.ود. عصمت د نش، نفس المصدر، ص: ١١٢.

(٤) انظر: المسالك والممالك، مصدر سابق، ٨٦٨.

وفي تلك الفترة كانت دولة مالي صغيرة، تمر بمراحل الانطلاق، من حيث القوة، لا من حيث الوجود؛ لأن وجودها يتزامن مع وجود مملكة غانا في أول الأمر، أي: ما قبل البعثة النبوية بزمن طويل، حيث كانت دولة مالي تتسع وتنمو في إقليم "كانجابا" بأعالي نهر نيجر، وكان ذلك الإقليم تابعا لدولة غانا[١].

وبعد اهتزاز مملكة غانا بسبب هجمات المرابطين المتتالية، وآخرها التي ذكرناها آنفا سنة: ١٠٧٦م، هاجم جماعة "سوسو" التي كانت متربصة على سقوط غانا، فأجهزت عليها، وفرقت أوصالها فيما بعد، وكان ذلك نهاية تلك المملكة الأصيلة.

أما مدى تأثير الإسلام في هذه المملكة أفادنا منه البكري حين قال: "ومدينة "غانا" مدينتان سهليتان، إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة، فيها ١٢ مسجدا، أحدها يجمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون، وفيها فقهاء وحملة علم... إلى آخر كلامه[٢].

كما أن مناصب الدولة قد شغلها المسلمون والوثنيون على السواء، رغم كون الملك وثنيا آنذاك، بل كان أكثر الوزراء من المسلمين، وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من وفد إليه من المسلمين، وهو قريب من مجلس الملك، واللغة الرسمية المتداولة في هذه المملكة هي اللغة العربية [٣].

وفي كلام البكري السابق رد قوي على من يقول بوصول الإسلام إلى السنغال في القرن الحادي عشرة؛ علما بأن مملكة غانا كانت تشمل مناطق شاسعة بما فيها السنغال وجاميا وموريتانيا ومالي

(١) حركة التجار، مصدر سابق، ١٩٤.

(٢) المسالك والمالك، مصدر، سابق، ص: ٨٧١-٨٧٣.

(٣) انظر: المسالك والممالك، مصدر سابق، ص: ٨٧٢.

والنيجر... لأن وجود مملكة غانا في المنطقة أقدم من وصول المرابطين إليها بلا منازع، أضف إلى ذلك كيف يُتَصَوَّرُ وصول الإسلام في شرق هذه القارة في القرن الأول للهجرة ثم لم يصل إلى غربها إلا في القرن الخامس! مع وجود التجار والدعاة والغزاة أحيانا.

٢- **إمبراطورية مالي**: قامت دولة "مالي" أو "ملي" على يد قبيلة "ماندنغو" بقيادة "سندياته" ١٢٣٠م، وقد وصل الإسلام إلى هذا الشعب الزنجي واعتنقه الكثير منهم في أواخر القرن الحادي عشر، بسبب تدفق حركة الجهاد للمرابطين، كما يقول حسن أحمد محمود في كتابه "الإسلام والثقافة العربية"[١].

أقول هذا إذا قصد قيام الامبراطورية كإمبراطورية إسلامية أما وصول الإسلام إلى الشعب لا فرق بينها وبين السنغال كما هو واضح في كلام البكري السابق، أما أول من أسلم من ملوكهم هو "بر مندانة" كما يقول القلقشندى في "صبح الأعشى"[٢]: وقد توفرت لهذه الدولة النامية القوة العسكرية من الخيول والإبل وغيرها، بالإضافة إلى جنود ماهرين في مجال القتال مدربين بالجهاد في سبيل الله. وهذه القوة المادية والمعنوية جعلتها قوية لا يقف أمامها أحد.

واستطاع الملك "سندياته" أو "ماري جاظة" كما يسمونه، التغلب على مملكة "سوسو" القوية، وقتل ملكها في المعركة، ثم التهامه ما بقي من شبح ملك غانا[٣].

---

(١) الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مصدر سابق، ص: ١٨٧.

(٢) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: (٢٨٢/٥)، الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: بدون.

(٣) انظر: الإسلام والثقافة العربية، المصدر السابق، ص: ١٨٧.

بل ونجحت "مالي" في ما لم تنجح فيه سلفها "غانا"، وهي أنها استولت على كل منابع الثروة: النحاس، الذهب، الملح، وسيطرت أيضا على الطرق الصحراوية التي كانت تسلكها القوافل التجارية، وقد أعطاها الإسلام دفعة جديدة بتوثيق علاقاتها مع العالم الإسلامي(١).

واستمرت هذه التوسعة في عهد "سندياتة"، وحتى بعد وفاته عام ١٢٥٥م فخلفه على العرش "منسي ولي" ولم تتوقف الفتوحات في هذا العهد أيضا إلى أن وصل الأمر إلى الملك الشهير الشجاع "منسى موسي الذى حكم ما بين: ١٣٠٧/١٣٢٢م واستولي على مناطق كثيرة شرقا وغربا وشمالا منها: "ولاته" و"تومبوكتو" و"جاو" في النيجر الأوسط، وإلى بلاد "تكرور" وحتى "فوتا جالو" جنوبا(٢).

والذي يهمني هنا في الحديث عن الإمبراطورية هو دورها السياسي، وتفاعلها مع العالم الإسلامي، ومدي تأثير الإسلام في هذه المملكة، وليس سرد أسماء ملوكها جميعا أو حياتهم وممتلكاتهم إلي غير ذلك كما أشرت سابقا.

ومن هنا نلقي الضوء على بعض إنجازات ملكهم "منسى موسي" الذي نراه من أكثرهم إنجازا في نشر الإسلام، واحتكاكه أيضا مع العالم الإسلامي و وفي أيامه كانت دولة مالي أقوي دولة في السودان الغربي بلا نزاع كما ذكرت المصادر.

وأذكر رحلته إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، ومروره بمصر؛ لما تضمنته تلك الرحلة من الأهمية، يمدنا عبد الرحمن زكي بأخبار تلك الرحلة قائلا: "تعتبر قافلة الحج التي مرت بمصر بصحبة

(١) الإسلام في مواجهة مشروع الغزو الثقافي الفرانكوفوني في غرب إفريقيا، محمد مصطفي جوب سنغالي، ص:١٣ رسالة ماجستير من كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا.

(٢) الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، المصدر السابق، ص: ١٨٩ بتصرف.

"منسى موسى" من أروع مظاهر ثراء هذا العاهل الإفريقي، كان ذلك في العام ١٧ من حكمه (١٣٢٤م)، وقد رافق السلطان حشد كبير من الوزراء، والعلماء، والأتباع، وقدر بعض المؤرخين عددهم بحوالي ١٢ ألفا...، إلى أن قال: واستقبله الأهالي أينما سار بكل مظاهر الحفاوة التي تليق بمقام ضيف جليل، وكان يرى ممتطيا ظهر جواد يسبقه خمسمائة من العبيد، يحمل كل منهم تضييبا(١) من الذهب، زنة الواحد خمسمائة مثقال، وكان العاهل سخيا، يتدفق المال من يديه..." (٢).

وذكر القلقشندى بشأن تلك الرحلة أنه كان معه مائة جمل ذهبا أنفقها في سفره تلك على من بطريقه إلى مصر من القبائل، ثم بمصر، ثم من مصر إلى الحجاز توجها وعودا حتى احتاج إلى القرض، فاستدان على ذمته من تجار مصر...، وبعث إليهم بذلك بعد توجهه إلى بلاده(٣). وفي أيام بقائه في مصر ابتاع جملة من الكتب الدينية ليوفر لأهل بلاده مناهل الثقافة الإسلامية، ولذلك لوحظ انتعاش كبير في مجال التجارة والعلوم، خاصة في "تمبوكتو" التي بقيت مركزا ثقافيا إسلاميا عامرا إلى يومنا هذا رغم وجود إهمال كبير وعدم العناية والاهتمام اللائق بالآلاف من المخطوطات والكتب النادرة التي توجد حاليا في مكتبتها، وكان هذا القائد العظيم "منسا موسى" يهدف إلى إقامة اتحاد يضم بعض الدول في غرب إفريقيا، مما يعرف حاليا بـ"جامبيا، وسيراليون، وغانا"، ولكن لم يكتب لهذا الاتحاد أن يعيش؛ لأنه انحل وتلاش بعد وفاة "منسا موسى": ١٣٣٣م.

---

(١) هكذا ورد في النص، لعله من أضب يضب تضبيبا الذي معناه: تغطية الشيء ودخول بعضه ببعض، انظر: لسان العرب (٥٤٠/١).

(٢) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مصدر سابق، ص: ٣٦.

(٣) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: مصدر سابق، (٢٨٤/٥).

ومن المظاهر الإسلامية تحت حكم هذه الإمبراطورية العلاقة المتبادلة بين مالي ومصر، في الجانب التجاري، بحيث يرحل تجار المنطقة إلى القاهرة، وقد يشتغل بعضهم هناك بالتجارة أو العلم، وكذلك تجار مصر، يرحلون إلى مالي لتبادل المنافع، وهذا لا شك أنه من مظاهر الأخوة الإسلامية، بل من علماء مصر من رحل إلى "تومبوكتو"، وعلماء "تومبوكتو" كذلك رحلوا إلى مصر، أضف إلى ذلك ما قام به "منسا سليمان" أحد ملوكهم ببناء المساجد والجوامع والمنارات، وأقام بها جماعة، وعلماء، وفقهاء... لخدمة الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية(١).

وهذا الازدهار الإسلامي شهد عليه من زا ر المنطقة في تلك الفترة كابن بطوطة وغيره حيث ذكر:" أنهم يشتهرون ببسط العدل واستتباب الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة، إنما يتركونه بيد ثقة حتى يأخذه مستحقه، ومنها مواظبتهم على الصلاة، والتزامهم بها في الجماعات وضربهم أولادهم عليها وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام، ولباسهم البيض يوم الجمعة، ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به صلاة الجمعة"(٢).

وبعد هذه الحضارة المتميزة وهذا الازدهار الفريد في هذه المملكة العظيمة لفترات طويلة من الزمن أصبحت تضعف وتتصدع من الداخل شيئا فشيئا، وذلك بعدما بعدت عن الإسلام وتعاليمه في شؤونها

(١) الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مصدر سابق، ص: ١٩١.

(٢) انظر: (رحلة ابن بطوطة) المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص: ٥٣٥، دار الشرق العربي، بيروت لبنان، سنة الطبع بدون، وهو يقول في هذا الكتاب ص: ٥٢٩ إن كلمة (منسى) بفتح الميم وسكون النون المهمل معناها السلطان.

السياسية والاجتماعية، حتى آل بهم الأمر أن يستعينوا بالبرتغاليين - الذين جاؤوا على شواطئي البحر بهدف التجارة والاكتشاف- على إخوانهم في القرن ١٦ الميلادي، ولكن دون جدوى؛ لأنهم كانوا مشغولين بأمر أنفسهم.

وهكذا رجعت كما بدأت في إقليم "كانجابا" صغير الحجم ضعيف القوة والحيل، بعد أن تقطعت أوصالها، وأجهزها الاستعمار الفرنسي، أما جمهورية مالي الحالية جزء من تلك الإمبراطورية، وليست كلها، وسموا هذه الجمهورية بهذا الاسم إحياء وتمجيدا لذكرى ذلك التاريخ الحافل بالبطولة بدلا من (السودان الغربي) الاسم الأول لها قبل الاستقلال في عام ١٩٦٠م من الاستعمار الفرنسي.

٣- إمبراطورية"سنغاي": وهي دولة قديمة قدم "غانا" و"مالي"، قبل البعثة النبوية بقرون عديدة، ولذلك يمكن تقسيم تاريخ هذه الدولة إلى قسمين: وثنية جاهلية، وذلك منذ نشأتها إلى ٦٠٠م، وفترة إسلامية، من هذا التاريخ إلى سقوطها، حولي: ١٥٩١م، ومن الملاحظ اختلاف كبير بين الكتاب والمؤرخين في تاريخ سقوط هذه الامبراطورية، حيث ذكر مهدي رزق الله ١٥٩١م، وذكر أحمد شلبي ١٥٩٤م، وغير ذلك والله أعلم بالصواب.

أما أول ملوكهم فهو "ذا الأيمن" جاء من اليمن، ثم "زازكي"، ثم "زانكي"...، ذكرهم من أولهم إلى آخرهم عبد الرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان في الباب الأول[1].

كانت سنغاي جارة لكنجبا (دولة مالي)، ويحدث بينهما احتكاك ومنافسات من حين لآخر، وكانت كفة سنغاي أرجح يوما من الأيام فهاجم ملكهم "زايمكوري" مدينة "كنجبا"، فقتل أبناء السلطان جميعا.

(١) انظر: تاريخ السودان، المصدر السابق، ص: ٢، وحركة التجار والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، مصدر سابق، ص: ٢٢٦.

ثم مع مرور الزمن تقلبت الأمور فقويت مالي وتطورت حتى أصبحت امبراطورية عظيمة، وفي عهد "منسى موسى" وهو راجع من مكة المكرمة بعد أداء فريضة الحج رأى أنه يجب أن يثأر من سنغاي فعرج على عاصمتها "جاو"، وقد مات ملكها حديثا، وخلف ولدين صغيرين هما: كولن، وسليمان نار، فأخذهما كعادة الملوك، كما يقول السعدي، ويعلل بأنه أخذهما للخدمة عنده كعادتهم فيما يختص بأبناء الملوك الذين تحت سيطرتهم ونفوذهم، وربما ذلك من باب أخذ رهينة لا للخدمة فقط[١].

ولما بلغ الصبيان مبلغ الرجال تمكنا من الفرار بعد تدبير وتخطيط سردها السعدي في الباب الثاني من الكتاب المذكور، فلحقا بمسقط رأسهما، فاستقبلهما الناس بترحيب حار وتكريم، ثم نصبوا (علي كولن) كأمير لهم باسم "سني علي" كبداية جديدة لاسترجاع القوة لدولتهم من جهة، والاستعداد التام لمواجهة مالي من جهة أخرى، وذلك في عام:

١٣٧٥م تقريبا[٢]، وطبعا لم ترض مالي بذلك، فمرت الدولتان بمراحل حافلة باشتباكات وصراعات دموية مستمرة من فينة لأخرى، ولكن مع انحدار "مالي" وانحطاطها يوما بعد يوم وصعود سنغاي في المقابل تدريجيا أصبحت سنغاي قائمة مدعومة بقوة كبيرة بقيادة "سني علي الكبير".

ليس "سني علي" الذي هو "علي كلن" بين هذين الأميرين ملوك يعد باثني عشر ملكا كما يقول السعدي حوالي: ١٤٦٤م، والظاهر أن لفظ (سني) لقب لأمرائهم كما كان (منسى) لقبا لملوك مالي.

(١) تاريخ السودان، المصدر السابق، ص: ٦.

(٢) تاريخ السودان، نفس المصدر، ص: ٦.

أما اعتناق شعب (سنغاي) للإسلام فقد تم في ظروف مشابهة لاعتناق شعب "مالي" الإسلام، بتسرب دعوة وجهاد المرابطين في تلك الفترة، بالإضافة إلى تجوال التجار الذين يحملون هم الدعوة أيضا، ولهم الفضل في نشر هذا الدين في كثير من الأراضي الإفريقية شرقا وغربا، كما أسلفنا.

وبعد قيام دولة سنغاي بقيادة "سني علي" —كما سبق- تقدم هذا الأخير بجيشه زاحفا إلى (تمبكتو) في "مالي" مركز الثقافة والتجارة معا في ذلك الوقت، فاستولى عليها، وعلى "جني"، التي كانت مركزا تجاريا كبيرا، وبدأ يبسط نفوذه في مناطق أخرى في غرب إفريقيا، وقيل: إنه طرد الطوارق عام ١٤٦٨م، وفي سبيل ذلك أحرق معظمها، وقتل الآلاف من سكانها، ونهب رجاله المدينة وما جاورها(١).

وبلغت هذه المملكة مبلغها في عهد "اسكي محمد"، وبدأت حركتها التوسعية تظهر بمظهر إسلامي، وبصورة قوية، كما يقول حسن محمود(٢)، حيث اتجه إلى فتح البلاد الوثنية كمملكة "موسى" الزنجية التي استعصت على ملوك مالي سيطرتها، فيعلن الجهاد مع مشاورة أهل العلم والورع، ويبدأ مع هؤلاء الملوك بالدخول في الإسلام، أو دفع الجزية، أو القتال، فلما أبوا قتل رجالهم، وخرب أرضهم، وسبا نساءهم. وهكذا بدأ بالتوسع في جهاده ضد الوثنيين من قبيلة "مندينغ" و"الفولا" في الغرب، والبربر والطوارق في الشمال، والموسى في الجنوب، والهوسا في الشرق، حتى سميت هذه الفترة فترة التوسع، كما أن هذا التطور كان بداية لظهور الثقافة الإسلامية في تلك المناطق، فظهرت مدن "كانو"، و"كاسينا" كمراكز للثقافة في هذا الجزء الشمالي من نيجيريا(٣).

---

(١) الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مصدر سابق، ص: ١٩٢، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مصدر سابق، ص: ٥١.

(٢) الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، مصدر سابق، ص: ١٩٣.

(٣) حركة التجار والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، مصدر سابق، ص: ٢٣٤.

وما زالت بعض المناطق الشمالية في هذا البلد خاضعة للتحكيم بالشريعة الإسلامية ولو لم يصل الأمر إلى المستوى الموجود في ولاية" شنفرا" إحدى الولايات النيجرية، حيث يطبق فيها الحكم بالشريعة الإسلامية تماما كما أخبرني بعض الزملاء النيجريين.

نرى أن دولة سنغاي شابهت دولة مالي من حيث تطورها العام؛ فإنها اتخذت المظهر الإسلامي واضحا، ومد نفوذها فيما حولها لمحاربة الوثنية باسم الإسلام، بل نلاحظ أنها فاقت على سلفها حيث فتحت كثيرا من المدن كانت مالي في عجز عن فتحها مثل: "جني"، و"مملكة موسى" وغيرها كما ذكرت.

ومن ذلك أن "أسكي محمد" خرج للحج في أواخر العام ٩٠٠هـ، في موكب حافل لا يقل عن موكب "منسى موسى" في عظمه وفخامته، وأغدق أكثر مما أغدق سلفه المذكور، فتصدق في الحرمين بمائة ألف ذهبا، واشترى بساتين في المدينة المنورة، وحبسها على أهل تكلور، وأنفق بمائة ألف من السلع وغيرها، كما لقي مولاي الشريف العباسي، فطلب منه أن يجعله خليفة في أرض سنغاي، ففعل، وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة من عنده، فكان بذلك خليفة صحيحا في الإسلام، كما يقول السعدي[١].

وبعد فترة الازدهار لهذه الإمبراطورية التي بقيت قرونا عديدة تحت حكم الفاتحين المجاهدين تلتها فترة الخمول والترف، من جيل الخلفاء الذين ينقصهم الإخلاص، وروح الجهاد، بل ينغمسون في بحر الترف، والتنعم، وحب الراحة،واللهو واللعب – شأن السلف مع الخلف في الغالب – مما يأتي بنتيجة حتمية من الضعف والندم، وكل ذلك حدث بعد عزل "أسكي محمد" ثم وفاته، ثم بدأ سلاطين المغرب الذين طالت بينهم وبين سنغاي منازعات، واشتباكات بانتهاز فرصة الضعف التي نزلت بدولة سنغاي،

(١) تاريخ السودان، مصدر سابق، ص: ٧٢-٧٣.

فكون منصور السعدي سلطان مراكش جيشا قوامه ٤٠٠٠ مقاتل، بقيادة "جودة باشا"، وعبروا الصحراء، وهزموا قوات سنغاي قرب عاصمتهم "جاو" ثم قضوا على آخر رمق في مقاومة سلاطين سنغاي كما يقول حسن محمود[(١)]، وكان ذلك حوالي: ١٥٩١م، خلافا لأحمد شلبي الذي أرخ سقوط هذه الامبراطورية بتاريخ ١٥٩٤م كما سبق آنفا.

المطلب الثاني

وضع المنطقة في تلك الفترة من الناحية الاجتماعية

لقد عاش في السنغال منذ زمن قديم أجناس مختلفة وقبائل متعددة، مختلفي اللهجات والعادات والتقاليد إلى يومنا هذا، ولذلك ليس من السهل التطرق إلى تفاصيل كل ذلك، وإلا سيحتاج ذلك إلي مجلدات كثيرة.

الشيء الذي يعنيني هنا هو الإشارة إلى نمط حياة الشعب السنغالي عموما قبل الإسلام لترى أيها القارئ مدى تأثير الإسلام في المجتمع السنغالي.

مكونات الطبقات السنغالية:

كانت ظاهرة الطبقية تسود المجتمعات الإفريقية وربما العالمية بما فيها السنغال، فتشكل المجتمع السنغالي على النحو التالي:

١- النبلاء (les garmi): هؤلاء كانوا يحتكرون السلطة السياسية في ظل النظام الملكي(كان النظام إقليميا) الذي مر بالبلاد قبل مجيء الاستعمار الفرنسي ليسقط هذا النظام بسياسته الخطيرة "فرق تسد"، وكان يتم باختيار الملك من بين مجموعة من الأسر التي كانت لها الحق في تولي هذا المنصب،

(١) الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مصدر سابق، ص: ١٩٤-١٩٥.

وما كان لهؤلاء أي دور إنتاجي في المجال الاقتصادي لاحتقارهم جميع الحرف التي يمارسها من تحتهم من فئات المجتمع إلا المجال العسكري(١).

٢- **بادولا** (badola): وهم أحرار ولكن ليس لهم حق الاستيلاء على أي منصب هام في السلطة ولا يفكرون فيه! وهم الأغلبية العظمي من الشعب، وأصحاب الحرف المختلفة وأهمها الزراعة، فعلى هؤلاء حمل عبء الضرائب وتقديم الجنود للجيش الملكي عند الحاجة إجباريا؛ يمكن القول بأنهم التزموا بواجبات كبيرة مقابل حقوق ضئيلة.

ثم ينفصل من هذه الطبقة فئة أخرى وهم أقل منهم شأنا ولو كانوا جزءا منهم؛ وذلك يرجع إلى دناءة المهنة التي يمارسها هؤلاء، وبالتالي يحتقرهم الآخرون ولا يتزوجون منهم ولا يزوجوهم، بل ربما لا يرضى أحد أن يلبس ثوبا لبسه هؤلاء، أو أي شيء له اتصال مباشر بهم، ويطلق عليهم اسم (نينو neno)(٢) عند الولفيين، و(قولو gaolo) بفتح القاف وسكون الواو عند الفولانيين، و(ديالي dyali) عند قبيلة (بامبرا). وهم الحدادون، والدباغون، والنساجون، والنسابون(القوالون، المداحون)(٣).

هكذا شأن هؤلاء في المجتمع، ولو أصبح أحدهم صاحب ملايين فلا يغير ذلك هذا الوضع الاجتماعي، وهذه النظرة تجاههم من بقية أفراد الشعب، إلا أن هذه الظاهرة في تلاشي واضمحلال فيما يبدو.

(١) انظر: آثار الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع السنغالي،(رسالة مقدمة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في الشريعة الإسلامية في جامعة الزيتونية ١٤٢٢-١٤٢٣هـ ٢٠٠١-٢٠٠٢م) علي جنك صمب، ص: ١٤ فما بعدها، وهي غير مطبوعة، وانظر أيضا: الاستعمار الفرنسي في السنغال، عبد النبي السفيوني، رسالة دكتوراه، كلية آداب والعلوم الإنسانية، شعب التاريخ، بجامعة محمد الخامس،الرباط، المغرب.

(٢) المخرج الصحيح لهذه الكلمة في اللهجة الولفية (السنغالية) لا توجد في العربية ولافي الفرنسية.

(٣) انظر: (آثار الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع السنغالي)، المصدر السابق، ص:١٤-١٥.

٣- **العبيد**: وهم صنفان: عبيد البلاط، وعبيد الخواص.

والصنف الأول وهم تحت حوزة الملك ونفوذه، وقد كانوا أسرى الحروب أو الغارات التي كانت تشن على بعض المناطق؛ وهؤلاء يباعون ويهدون ويستخدمون في الجيش.

أما الصنف الآخر فيمكن تقسيمه إلى قسمين:

أ- قسم يمكن بيعه وشراؤه؛ لأنه في ملك بشراء أو هدية، أو وراثة ، أو نحوها.

ب- وقسم لا يباع؛ لأنه عبارة عن علاقة تربط بين أسرتي العبد والسيد؛ كأن يكون أجداد العبد عبيدا لأجداد السيد، فتستمر تلك العلاقة لقرون عدة في بعض المجتمعات السنغالية، بل تصبح علاقة الحب والتعاون، بحيث يشعر السيد دائما بوجوب تقديم الأموال مما طابت به نفسه إلى هؤلاء العبيد، وخصوصا عند اللقاء في المناسبات، والحفلات الأسرية، كما يقوم العبيد بدورهم بإنشاد وتذكر مناقب الأجداد، وسرد أنسابهم، وكل من الطرفين يشعر بسعادة وسرور حين قام بواجبه المذكور نحو الآخر، والعكس بالعكس تماما.

وهذه العادة ما زالت جارية إلى يومنا هذا، ويسمي هذا القسم من العبيد عند الولفيين بـ"جامُو جُدُو".

أما اليوم فيمكن تقسيم المجتمع السنغالي إلى طبقتين:

أ- طبقة الأشراف: هم زعماء الدين، وأصحاب المناصب العليا في الدولة، والأغنياء والأثرياء.

ب- طبقة بادولا: وهم غير هؤلاء المذكورين من أفراد المجتمع؛ وعلى هذا يمكن الانتقال من الأعلى إلى الأسفل أو العكس، بتغير الوضع الاجتماعي عند الشخص، إلا عند زعماء الدين، لأن المناصب

الدينية لا تخضع للانتخاب أو المشورة، بل تأتي اطرادا، أي أن الأسر التي تضم هؤلاء الزعماء معروفة لدى السنغاليين صغارا وكبارا، وبالتالي يقدرون ويحترمون كل من ينتمي إليها ولو لم يبلغ سن التمييز.

إذا تأملنا التطورات التاريخية لمنطقة غرب إفريقيا"السنغال وما حوله"في القرون الأولى أيام "غانا"و"مالي" و"سنغاي" وإلى وصول الاستعمار؛ وحتى العصر الحديث وجدنا أن الإسلام دائما مع هذا الشعب العريق، وقد أثر فيهم منذ وصوله إلى المنطقة في القرن الأول الهجري، وهذا التأثير يتجلى في جوانب كثيرة، مما يشير إلى عمق هذه الجذور"جذور التأثير"في الشعب السنغالي .

مظاهر تأثير الإسلام في الشعب السنغالي:

ومن مظاهر تلك الآثار في هذا المجتمع: قضاؤه على النظام الطبقي الذي سبق ذكره آنفا، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣] بالإضافة إلى محاربته الشرك والخرافات والشعوذة التي كانت منتشرة في طول البلاد وعرضها، وإن كان ذلك لم يزل تماما فيكفى أن جعل معظم الشعب السنغالي مسلمين، حيث يقدر اليوم عدد المسلمين فيه ٩٥% من مجموع السكان، بعد ما كانوا عبد ة الأصنام والنار كما سبق.

وإذا وجدنا من أفراد المجتمع من يتشبث بالعقائد الفاسدة الضالة الموروثة من الأجداد والآباء، وممارسة السحر والشعوذة – وهم في "سرير وجولا" أكثر– لا يمنع ذلك من الاعتراف بالتأثير الكبير الذي أحدثه الإسلام بين هذا المجتمع، وخصوصا أن هذه الظاهرة بدأت تخف وتتلاشى بفضل الله ﷻ،

ثم بجهود الدعاة والعلماء بعد اكتشاف كذب هؤلاء الدجالين الضالين المضلين يوما بعد يوم

مصداقا لقوله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].(١).

ومما يلفت النظر في هذا الجانب أيضا أعني تأثر الشعب بالثقافة الإسلامية رفض الأجيال السابقة ومن على دربهم من الأجيال اللاحقة والأسر المحافظة كل ما له علاقة بالغرب من عادات وثقافات، ويمنعون أولادهم منعا باتا من التشبه بهم بأي وجه من الوجوه؛ سواء في اللباس، أو في الكلام، أو المِشية وغير ذلك، ومن فعل شيئا منها ممن تحت رعايتهم فسيلقى جزاءه المناسب من لوم أو توبيخ أو ضرب، سدا للذرائع كما هو معروف في شريعتنا الغراء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض منع الصلاة في الوقت المنهي سدا للذرائع: (...فليس فيها [الصلاة] نفسها مفسدة تقتضي النهي ولكن وقت الطلوع والغروب الشيطان يقارن الشمس وحينئذ يسجد لها الكفار، فالمصلي حينئذ يتشبه بهم في جنس الصلاة، فالسجود وإن لم يكونوا يعبدون معبودهم ولا يقصدون مقصودهم لكن يشبههم في الصورة فنهي عن الصلاة في هاتين الوقتين سدا للذريعة حتى ينقطع التشبه بالكفار)(٢).

وكذلك شأن هؤلاء يمنعون أبناءهم أو من تحت مسؤوليتهم من الرعايا سدا للذريعة وخوفا من انحرافهم إلى سلوك الغرب وثقافتهم.

وهذا التأثر بالإسلام من الشعب السنغالي ليس وليد اليوم، بل له جذور ضاربة في عمق التاريخ، ومما يؤيد ذلك ما نراه من ممالك محلية في مختلف مناطق السنغال كانت تحكم بالشريعة الإسلامية منذ القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ممثلة في مملكة "بل جوبى" ٩٣٤م، ثم "سالتكى" ١٥٣٤-١٧٧٦م، ثم "الألمامي" محرف من (الأئمة) ١٧٧٦-١٨٨١م، كلهم كانوا يحكمون بالشريعة الإسلامية

---

(١) انظر: في ملحق رقم (٣) نموذجا من الطلاسم التي يستخدمها هؤلاء الدجالين.

(٢) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المتوفى ٧٢٨هـ، (١٨٦/٢٣)، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، عام ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

في منطقة "فوتا" كما يقول عامر صمب حتى هبت ريح الاستعمار المشئومة في المنطقة وتغيرت الأمور بشكل كبير حيث وقف أمام هذا المد الإسلامي بكل ماله من قوة [١].

وكذلك مملكة "تكرور" بزعامة "وارجابي" الذي يعتبر داعيا ومجاهدا؛ لأنه لم يكتف بدخوله في الإسلام فحسب، ولكن شجع الناس وحثهم على الدخول فيه، كما شارك أيضا مع المرابطين في الجهاد ضد الكفار والوثنيين أكثر من مرة، وبذلك اعتنق الكثير من مملكته الإسلام التي كانت تضم قبائل "وولوف"، و"سرير"، و"بربر"، و"ماندنغ" وغيرهم، إلا أن من بين هؤلاء من لم يدخل في الإسلام ولكنه كان يحتكم إلى الإسلام وشريعته[٢].

ومما سبق بات واضحا دور الإسلام في إخراج هذا الشعب من النظام الطبقي الذي كان يسود البلاد أيام الملوك؛ ولأن المجتمع السنغالي مجتمع متمسك بدينه، وأبى أن يرضى بالذل و الإهانة أبدا، كما أخرجه من ظلمات الكفر والشك إلى نور الإيمان واليقين، ونظم

الحياة الأسرية، والعلاقات بين الزوجين و وبين الأولاد والآباء والأمهات، وكذلك بين الجيران، باحترام متبادل حتى أصبح المجتمع السنغالي من أكثر المجتمعات أمنا واستقرارا في إفريقيا عموما، وأقوى دليل على ذلك أنه من الدول الإفريقية التي لم تعرف في تاريخها السياسي انقلابا عسكريا، وتلك الدول تعد بأصابع يد واحدة!!

(١) انظر: الإسلام وتاريخ السنغال، مصدر سابق، ص: ٤٦٣.

(٢) الإسلام وتاريخ السنغال، نفس المصدر، ص: ٤٦٦-٤٦٧.

كما أن حسن المعاملة بين أفراد المجتمع قلما تجده في غيرهم، وكل ذلك يرجع في الأساس إلى الإسلام الذي جمعهم وربطهم بحبل واحد وهو الأخوة الإسلامية،كما يقول تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ [آل عمران: ١٠٣]. وقوله ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٠]. ففهموا هذا وطبقوه في حياتهم اليومية.

أما النظام الطبقي الحالي- كما ذكرت – فهو يختلف عن الأول، بدليل أنه يتقيد بحالة الفرد ووضعه الاجتماعي، فيمكن أن يتغير في أي لحظة بخلاف الأول،كما أن هذا النظام لا تخلو منه دولة من الدول في نظري، ولو اختلفت الأشكال والمعايير من بلد لآخر.

المطلب الثالث

وضع المنطقة في تلك الفترة من الناحية الاقتصادية

قد عرفت منطقة غرب إفريقية التجارة في وقت مبكر، فقد كانت العلاقة التجارية أبرز ما ربط "غانا" ببلاد البحر الأبيض المتوسط،كما أن ذهب "غانا" وورثته "مالي" ثم "سنغاي"كان عنصرا أساسيا في اقتصاديات شمال إفريقيا على وجه الخصوص بل بفضل هذه العلاقة وصل الإسلام إلى المنطقة كما سبقت الإشارة إليه، ومن المعلوم أن السنغال ما كان بهذا الاسم في تلك الفترة، وإنما يندرج تحت تلك الإمبراطوريات الثلاث التي كانت تحكم المنطقة في وقتها.

وكان الناس يعتمدون لضمان عيشهم على الزراعة بمختلف أنواع الحبوب كالدخن والشعير والبقول وثمار الأشجار ...وكانت الآلات الزراعية تقليدية للغاية[١]، كما يعتمدون أيضا على تربية الدواجن والمواشي وصيد الأسماك.

وبقي الأمر على هذه الحال حتى جاء الاستعمار بزراعة الفستق " الفول السوداني" التي كان في حاجة لاستيرادها إلى بلده "فرنسا" وفرضها على الشعب، كما تشتريها في نهاية كل موسم بسعر يقدره هو، وأصبحت هذه الزراعة تدخل في نظام جديد، بل صار ت هي الزراعة الأساسية للبلد إلى يومنا هذا، وينتج منه آلاف الأطنان سنويا، ويصدر إلى خارج البلد أحيانا، إلا أن الجفاف الذي مرت به البلاد في السنوات الأخيرة، بالإضافة إلى مماطلة الحكومة في شراء المحصول الزراعي منهم في نهاية المواسم قلل رغبة المزارعين إن لم يئيسهم، حيث تقاعس كثير منهم عن مزاولة هذه المهنة، ونزحوا إلى المدن وخصوصا العاصمة، مما أدى إلى تكدس سكاني رهيب فيها.

والسنغال يتمتع بثروات معدنية كبيرة مثل الفوسفات والذهب والحديد والنفط، وثروات حيوانية كالأبقار والأغنام والجمال والدواجن والطيور، وثروة سمكية هائلة، إلا أن كثيرا من تلك الثروات لم تشتغل بعدُ، وبعضها تحت الاستغلال ولكن لم يكن الأمر علي الوجه الأكمل والأليق، أضف إلى ذلك وجود مصانع كثيرة ومتنوعة في مختلف المدن السنغالية، منها ما تعمل في البلاستيك بمنتجات متنوعة، ومنها في نسج الثياب، وأخرى في تصنيع السكر، أو تعليب الطماطم، وأخرى للحلويات، أو لتعليب الأسماك وتصديرها إلى أوروبا وغيرها، وللقطاع السياحي أهمية بمكان من اقتصاد البلد[٢].

---

(١) انظر: صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، مصدر سابق، ص: ١٨.

(٢) انظر: أضواء على السنغال، بامبا انجاي سنغالي، ص:٤١ فما بعدها، ط: ١ ، ١٤١١هـ ١٩٩١.

ورغم كل ذلك فإن البلاد تعاني عجزا كبيرا في توفير الأساسيات واللوازم للحياة في المجتمع السنغالي، وتمر بمشاكل اقتصادية وسياسية خطيرة في هذه الأيام، وذلك يرجع إلى ثلاثة أمور أساسية في نظر الباحث وهي :

أ- احتكار شديد لمصالح الدولة لدي الزعماء وكبار السياسيين.

ب- فساد عريض في قطاعات الدولة مما يعد بالمليارات، وانتشار الغش في دوائر الحكومة وغيرها، واختلاس أموال الدولة من الرؤساء وكبار المسؤوليين، وإيداعها في البنوك الأوربية، وبناء القصور، وتشييد أفخر العمائر هناك، تمهيدا لأنفسهم حين سقوط حكومتهم، أو احتمال متابعتهم للعدالة في المستقبل، لتكون ملجأ آمنا لهم في نظرهم؛ مما يفسر بوضوح مدى حرص هؤلاء على مصالحهم الخاصة، مع التناسي التام عن القضايا الأساسية التي تهم هذا الشعب الذي رشحهم رجاء منهم بعد الله ﷻ تحسين تلك الأوضاع الصعبة.

ج- أزمة الاقتصاد العالمي في الآونة الأخيرة التي قصمت ظهر الدول الفقيرة، وما ذلك إلا نتيجة الظلم والفساد والبعد عن هدى القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ١٤] تلك الأزمة التي لم ولن تجد حلا مناسبا إلا في الإسلام، بالعودة إلى تعاليمه السامية، وإلى منهجه المتكامل والشامل لجميع ما فيه صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة، كيف لا، وهو من خالق الإنسان، مبدئه ومعيده...قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقال:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

المطلب الرابع

وضع المنطقة في تلك الفترة من الناحية الدينية

كان الشعب السنغالي- قبل بزوغ شمس الإسلام وسطوع نوره فيهم- في جاهلية دامسة وفي معتقدات جاهلية فارغة، وبعضهم كانوا في الديانة المجوسية، أو في عبادة الأصنام كما يقول البكري [(١)] بأن سكان المنطقة كانوا هكذا وإذا مات ملك من ملوكهم أتوا على قبره قبة كبيرة من خشب الساج، ثم جاءوا بالأطعمة والأشربة والآنية التي كان يأكل منها، وكذلك بعض خدمه فأغلقوا عليهم الباب، ثم رموا عليها التراب حتى يصبح كالجبل الضخم يشبه الأهرام ؛ وآثار تلك الأفعال موجودة إلى الآن في بعض مناطق السنغال، كما في إقليم"فاتك" الواقع في جنوب وسط السنغال حيث توجد بعض الأهرام فيها التي شاهدته بعيني.

كما أن البعض كانوا يعتقدون بأن في كل غابة جنا يسكنها، وإذا نزلت أو مررت بها لابد أن تستأذن وتخضع له، وإلا سيضرك مما أدي إلى تقديس تلك الأماكن الوحشية المخوفة

اتقاء شرور أولائك الجان المزعومة فيها، وخصوصا عند الأشجار الضخمة كشجرة"غوى"لدي قبيلة"سرير"، ويتوارثون تلك المعتقدات، ويأتون إليها في أوقات معينة ليسكبوا حولها الألبان التي تأتيها القطط والحيوانات الزاحفة وتشربها ثم هم يعتقدون بأن الأرواح الخفية هي التي تتناول تلك الأطعمة والأشربة ويزدادون بذلك إيمانا وتمسكا بما هم فيه من الجهل والضلال، أو يأتون إلى تلك الأماكن وغيرها لتقديم القرابين لتلك الأرواح بذبح الدجاج أو الضأن أو المعز وغيرها بإشارات من الكهنة

---

(١) المسالك والممالك، مصدر سابق، ص: ٨٧٣.

والسحرة، معتقدين أنهم في أمن وسلامة ماداموا في إرضاء تلك الأرواح، والنتيجة عكسية بالتمام إذا خالفوا ذلك!

وهذه حقيقة تناولتها هنا بحكم المشاهدة والمعايشة، وهي معروفة في أو ساط المجتمع السنغالي لا خلاف فيه بين اثنين.

وهذه المعتقدات منتشرة في أرجاء البلاد – وفي قبيلة "سرير" و"ديولا" أكثر- ولعل مما جعلها مستمرة إلى اليوم دون أن تزال من الوجود، بل وتزداد قوة وإقبالا من بعض العوام يرجع إلى أمرين أساسيين وهما:

١- طبيعة الدعوة الإسلامية في تلك المناطق والظروف التي رافقتها؛ لأنه من المعروف أن هذا الدين انتشر هناك بالطرق السلمية عن طريق التجار الذين جاءوا من بلاد العرب —كما سبق- وليس بحوزة هؤلاء التجار قوة مادية زاجرة أو رادعة تمكن من فرض أحكام الشريعة الإسلامية على الناس[(١)].

٢- عدم وجود سلطة ترعى وتحمي الإسلام بقوتها المادية، حيث تجبر الناس على احترام تعاليمه، والوقوف عند حدوده، والبعد عن الشرك والبدع؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراحل كما هو معروف، ومن مراحله استخدام القوة أو السلطة لإزالته، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[(٢)] وتحالف آل سعود معه لخير دليل على ذلك.

---

(١) انظر: المسلمون في السنغال معالم اليوم وآفاق المستقبل، مصدر سابق، ص: ٢٩، بتصرف.

(٢) هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي عاش ما بين (١١١٥- ١٢٠٦هـ) (١٧٠٣-١٧٩١م)، ولد ببلدة العيينة القريبة من الرياض، وتلقى علومه الأولى على يد والده دارسا شيئا من الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، حافظا القرآن الكريم وعمره عشر سنين، تنقل بين مدن كثيرة لطلب العلم مما أكسبه فنونا من العلوم ومن تلك المدن: مكة المكرمة والمدينة المنورة والبصرة والأحساء وحريملاء، ومنها بدأ ينشر دعوته جهارا في سنة ١١٤٣هـ (١١٧٣م)، وقد تحالف مع آل سعود مما مكنه من القيام بنشر دعوته على الوجه المطلوب، تلك الدعوة المباركة المتسمة بالحرص على نصر السنة ومحاربة البدع والشرك، وعلى ذلك استقر حتى اتاه اليقين، رحمه الله رحمة واسعة. انظر: الموسوعة الميسرة، المصدر السابق، ص: ١٦٠-١٦١.

لقد أدى الإسلام دورا كبير ا في تغيير حصل عند بعض القبائل في المنطقة، حيث حرر عقيدتهم من الخرافات والشعوذة وبعض العادات المناقضة للإسلام، وأوجد تفسيرا منطقيا سليما لظواهر الطبيعة التي كانت تسيطر على وجدان الأفراد والجماعات، فربط مظاهر الكون كلها بتدبير الله ﷻ وإرادته، فأزال بذلك مظاهر الخوف من الطبيعة والأرواح، وهذه الرؤية الجديدة في تمدد واستمرار بفضل الله ﷻ ثم بجهود العلماء والدعاة من داخل البلاد وخارجها(١).

المطلب الخامس

وضع المنطقة في تلك الفترة من الناحية الثقافية

أما الثقافات والعادات عند السنغاليين فتختلف من قبيلة لأخرى؛ فمثلا تقاليد العرس أوالعقيقة أو الختان أو المأتم وغيرها عند (الولفيين) ليست كما عند الفولانيين، أو عند قبيلة"جولا" أو"سرير" وهكذا، فالشعب السنغالي ذو ثقافات متعددة ومتنوعة، ولكن يشتركون أو يتقاربون في حكايات بعض القصص ولو اختلفت اللهجات، وكذلك في بعض الأمثال والألعاب لدى الأطفال والرقص والمزارعة... وعلى هذا فلا يمكنني التطرق إلى تفاصيل تلك الثقافات المتشعبة، والعادات المتفرقة، بل ربما ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة لأهميتها وتشعب جوانبها، وسأكتفي هنا بتسليط الضوء على مدى تأثر الشعب السنغالي بالثقافة الإسلامية، مراعاة للمقام، وبما أن اللغة هي الوعاء الأساسي لثقافة أي شعب من الشعوب، أحصر الكلام في مدى تأثير اللغة العربية في اللهجات السنغالية:

(١) الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال، مهدي ساتي صالح، ص:١٣٦، جامعة إفريقيا العالمية، طبع بمناسبة ملتقى الجامعات الإفريقية مركز مشكاة للطباعة والنشر ٢٠٠٦م.

١- مكانة اللغة العربية لدى الشعب السنغالي قديما وحديثا:

كانت اللغة العربية منذ دخولها إلى غرب إفريقيا مع دخول الإسلام فيه تعتلي مكانة عالية في قلوب الناس بحكم كونها لغة القرآن الكريم واللغة التي لها ارتباط قوي لفهم دينهم الذي اعتنقوه وآمنوا به وارتضوه دينا، حتى كانت منذ ذلك الوقت إلى وصول الاستعمار في المنطقة في القرن السابع عشر لغة الاتصالات والمراسلات بين الملوك والسلاطين المحليين من جهة، وبينهم وبين الاستعمار من جهة أخرى، حتى صارت في ذلك الوقت هي اللغة الرسمية، بل ولا تستخدم غيرها لمدة طويلة[١]، مما أدى إلى اتخاذ المترجمين من كلا الطرفين (ملوك المحليين والمستعمرين)، ولذلك توجد في مصلحة المحفوظات الوطنية (الأرشيف الوطني) بدا كار مئات الرسائل مكتوبة باللغة العربية جرت بين هؤلاء.

فقد بذل السنغاليون منذ فجر التاريخ جهودا منقطعة النظير بركوب الأخطار في مغامرات عجيبة لتحصيل العلم الشرعي والثقافة الإسلامية، فرموا أنفسهم في أدغال الصحراء سيرا على الأقدام أو على ظهور الخيول والجمال متسللين إلى بلاد شنقيط "موريتانيا" أو إلى المغرب، أو إلى الحجاز، في مدة تصل إلى سبع أو ثماني سنوات في بعض الأحيان، معرضين أنفسهم للموت والهلاك، وذلك كله عندهم هين؛ لمعرفتهم أهمية اللغة العربية والعلوم الشرعية في حياة الإنسان، ونتج عن هذه الجهود من أولائك

(١) إشكاليات التعليم العربي الإسلامي في النظام التربوي السنغالي، باه عبد العزيز ألفا، ص:١، بحث لنيل ماجستير في جامعة داكار (جامعة شيخ أنت جوب)، غير مطبوع.

الأبطال أن حظي السنغال بعلماء ومثقفين تضلعوا بعلوم مختلفة من العلوم الإسلامية والثقافة الإسلامية وبرعوا فيها(١).

ومن ذلك احترام العوام من السنغاليين اللغة العربية كلغة، ظنا منهم بأنها جزء من الإسلام، وكانوا يسمونها (لجويارام) أي لسان الأشراف باللهجة الولفية، تقديرا وتعظيما للغة نفسها ولجنس العرب عموما، بل وصل الأمر إلى بعض العوام في الوقت الحاضر باعتبار الأغنية العربية مباحة لاشيء فيها؛ بل لا يجد في نفسه أي حرج حين يستمع إليها ما دامت باللغة العربية! جهلا منهم واختلاط الحابل بالنابل مع أن ضميرهم ونيتهم طيبة، وهذا شيء ملموس، وواقع نعيشه فعلا في المجتمع السنغالي اليوم.

ولعل ذلك يرجع إلى عمق تأثر هذا الشعب بالإسلام الذي ورثوه كابرا عن كابر مع شيء من الجهل وقلة العلم بهذا الدين وحقيقته.

٢- تأثر الشعب السنغالي باللغة العربية:

من أقوي الأدلة على تأثر الشعب السنغالي باللغة العربية كثرة التداخل بين اللغة العربية وبين اللهجات المحلية السنغالية، ووفرة مفردات اللغة فيها، والجدول التالي يوضح ذلك.

نموذج من بعض المفردات العربية توجد في اللهجة الولوفية مع تغيير بسيط في بعضها							
العربية	الولوفية	العربية	الولوفية	العربية	الولوفية	العربية	الولوفية
الآخرة	أَلَاخرة	شك	سِك	الأبد	أبدا	شيطان	سيتان
إبليس	إبليس	صبح	صُبَ	الاستخارة	لاستخار	صحابة	صابَ

(١) انظر: التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٩٤.

الإسلام	لِاسلام	صدقة	صَرَخ	بدعة	بِدا	فتنة	فتنة
بركة	بَرِكِ	فداء	فِداوُ	خبر	خِبار	تفسير	فِرِ
خطبة	خطبة	القرآن	اَلخُران	خلوة	خلوة	الزكاة	أزَكى
سبب	سبب	شريعة	شَرِية	نافلة	نافلة	منافق	نافق
آمين	آمين	حاجة	حاجو	نعم	نام	سجود	سجود

نموذج من بعض أعلام الذكور العربية عند الوولوفيين					
العربية	**الولوفية**	**العربية**	**الولوفية**	**العربية**	**الوولوفية**
أبو بكر	بابكر	عثمان	أُسمان	الأمين	لامين
حسن	أَسَن	عمر	أُمَر	بشير	بشيرو
حماد	أَماد، أَمات	مرتضي	مُرتَلَي	منتقى	منتقى
مصطفي	مُستَفي	علي	علي	حمزة	أمس
عبد الرحمن	عبد الرحمن	سليمان	سليمان/سِل	محمد	محمد/مُودُ
حسن	أَسَن	إبراهيم	إِبرَايم	معاذ	ماس

نموذج من أعلام النساء العربية عند الوولوفيين					
العربية	**الولوفية**	**العربية**	**الولوفية**	**العربية**	**الوولوفية**
آمنة	أَمِنتَ/أَمِ/أمنتَ	رقية	رقية/رُق	أم الخير	أم خير
زينب	زينب/نَبُ/جَينَب	أم كلثوم	أُم كلسوم/ أم كُولي	سكينة	سُكَينَة
بنت	بِنتَ/ بِنتُ	صفية	صَفِيَةُ/صَفِ	حبيبة	حَبِيبَةُ/أَبِ
عائشة	أَيسَا/أَستُ	فاطمة	فاطمة/فاتِ/فاتُ/فاتما	حفصة	أَبسَا
حليمة	أَلِمَة	ميمونة	مَيمُنَة/مَي	رحمة الله	رَمَتُ لَاه

نموذج من بعض المفردات العربية توجد في اللهجة الفولانية مع تغيير بسيط في بعضها

العربية	الفولانية	العربية	الفولانية	العربية	الفولانية
الآخرة	ألاكِران	بدعة	بِدا	آمين	آمينا
آية	آية	الاستخارة	لِاستِكار	الإسلام	لِاسلام
تاب	توبِ	الزكاة	أَسكال	تاريخ	تارِيك
زمان	زَمانو	تفسير	تَفسيرو	سبب	سَبَبُو
جنازة	جَنايسا	سجد	سُجودي	جيب	جِبا
حج	حَجُو	شريف	شَريفو	خليفة	كَلِيفَة

نموذج من أعلام النساء العربية عند الفولانية

العربية	الفولانية	العربية	الفولانية	العربية	الفولانية
آمنة	آمنة/أَمِ	سلمي	سَلمَه	أم كلثوم	أُمُّ كُرسوم
صفية	سَفِيَة/سَفِ	حبيبة	هَبِيبَة	عائشة	أَيسَةَ
فاطمة	فاتُمَةَ	خديجة	كَدِيجَة	ليلي	لَيلَي
العربية	الفولانية	العربية	الفولانية	العربية	الفولانية
أبوبكر	أبوبكر/بوكَر	عبد السلام	أَبدُ السَّلام	أحمد	أَمَدُو
بشير	بَشِيُرو	خليل	كَلِيل	مختار	مَتار
مصطفي	مُستَفي	طه	طه	منتقي	منتقي

بالإضافة إلى ما سبق من النماذج التي توضح شدة تأثر هذا الشعب باللغة العربية أنهم اكتفوا

بالنسبة لأيام الأسبوع بالعربية إلا بتغيير بسيط فمثلا:

الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
اَلْتِنِ	تَلاَتَ	ألاَربَ	الْخِميس	أَجُّمَ

أما يومي السبت و الأحد لم أذكرهما لبعدهما في النطق في هذه اللهجات.

وهذا قليل من كثير، كفاني من سبق مؤنة الاستطراد، للتوسع يمكن الرجوع إلى تلك الكتب[1] زد على ذلك أن ٨٠% أو أكثر يحملون أسماء عربية، من الأنبياء والرسل، وخاصة أسماء الصحابة من الرجال والنساء رضوان الله عليهم جميعا.

(١) إشكاليات التعليم العربي الإسلامي في النظام التربوي السنغالي، المصدر السابق، ص: ٤٦، وآثار الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع السنغالي، المصدر السابق، ص:١٠٢ فما بعدها، وكتابة لغة الوولوف بالحرف العربي، عثمان انجاي، ص: ٤٣، بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ١٩٩٧م، غير مطبوع.

كما أنهم لم يكتفوا بذلك بل تجاوزوا هذا وألفوا باللغة العربية مؤلفات كثيرة ونفيسة في ميادين شتي؛ من التوحيد، والفقه، والسيرة النبوية، والنحو، والأدب، والبلاغة، والعروض، والفرائض، وغيرها، وسأذكر بعض تلك المؤلفات، مع تقديم بعض النماذج من الشعر السنغالي، إضافة إلى ما سبق ذكره من مؤلفات الشيخ عمر الفوتي، والشيخ أحمد بامبا البكي (مؤسس الطريقة المريدية في السنغال) أذكر هنا بعض مؤلفات الحاج مالك سي (رائد الطريقة التجانية في السنغال) مثل: كفاية الراغبين، خلاص الذهب، وإفحام المنكر الجاني، وغيرها، وكذلك ضياء النيرين في علوم الطائفتين (تفسير للقرآن الكريم) للشيخ أحمد دم السوكونى، وزهور البساتين في تاريخ السودانيين (مجلدين) يضم حوالي ١٧١٦ص لموسي كَمَرا، ومبين الإشكال من علم العروض والقوافي للقاضي مجخت كَلَ، تتألف من ٤٦٩ بيتا، و(مقدمة الكوكية) في النحو، للشيخ محمد جوب المشهور ب (مُور قُجَ كُمبَ) وفيه يقول:

سميتها هدية المجد	**في النحو أو معونة البليد**
جعلته فاتحة الإعراب	**للمبتدئ كافية الطلاب[1]**

ومنها (منن الباقي القديم في سيرة الشيخ الخديم)، للشيخ محمد البشير البكي وغيرها.

نماذج من الشعر السنغالي:

ويمكن تصنيف الشعر السنغالي إلى ثلاثة أصناف كالتالي:

أ- صنف: ألف فيه الشعراء القصائد والأبيات بعربية خالصة، مثل ماسبق ذكره من المؤلفات ونحوها.

ب- صنف: ألف فيه الشعراء بلهجات محلية خالصة- خاصة – الوولوفية، ، ولكن بالحروف العربية، علما بأن هذه اللهجة"وولوف" تكتب حروفها بالعربية وكثير من بقية اللهجات المحلية.

ومن تلك المؤلفات ديوان الشيخ عباس صَلّ، وديوان الشيخ موسيَ كه، وديوان سَرِين امباي جَخَتِ...كل هؤلاء وغيرهم ألفوا في هذا المجال وأجادوا.

---

(١) انظر: التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٩٤، واللغة العربية في السنغال، د. خديم محمد سعيد امباكي، ص: ١٤، وهو تقرير علمي غير مطبوع بعد.

ومن أمثلة هذا النوع ما جاء في ديوان "شيخ موسي كه"، وهو فارس هذا الميدان بلا منازعة، يرثي فيها شيخه أحمد بامبا:

جُـب قُـجِ جُـتنَ	جُبَنَـتِ جُـتنَ	تِيَ وَارُ جُـتنَ	كِـر بَـرمَ دِ يمـنَ
تُـوب مُـويِي جُـتنَ	وُت يَـلَّ جُـتنَ	أَم يِـتِ جُـتنَ	كِـر بَامـبَ دِ يمـنَ
فَكَـرُ جُتَـنَ	جَـوَرتِى جُتـنَ	تَـى يِوُو جُتـنَ	كِـر بَامبَ دِ يمـنَ

ج- صنف: ألف فيه الشعراء السنغاليون بعربية ممزوجة باللهجات المحلية:

أورد هنا بعض النماذج من هذا النوع من الشعر السنغالي، من أبيات أشعرهم وأكبر علمائهم على الإطلاق[1] ، هو: "قاضي مجَخَتِ كَلَ"، ويكفى دليلا على ذلك أنه كان شيخا ومعلما لأحد الأبطال في هذا الميدان، الذي شهد له القاصي والداني ببراعته في الشعر وهو"الشيخ أحمد بامبا" كما اعترف هو بتفوق تلميذه هذا وبراعته حين اختبره بقصيدة افتتحها ببيت ثم أرسلها إليه ليكملها، فأكملها التلميذ بنفس الوزن والقافية في قصيدة تحتوى أكثر من ٤٠ بيتا، وهي من أروع ما كتب في الندب والرثاء، يقول في مطلع تلك القصيدة :

حق البكاء على سادات أموات   تبكي الأراضي عليهم كالسماوات

ويقول قاضي "مجخت كل"في قصيدة له يتغزل فيها بمفارقة تلميذه المذكور:

لم أنهمت بعد شيب عبرة وبم   أراقها كلمتا سعدي بَم وَ بَمَه[2]
إذ كلمتني بتين الكلمتين بلا   هزل ومزح بدالي َأنها بَنَمَه[3]
وإن حبل وصالي صار منصرما   أو واهنا خلقا تجديده تَنَمَه[4]
مالي أراني إن لامست غانية   عصر الشباب تقبل أو تقل بَيِّمَه[5]
كم كاعب واعدتني ذروة عشقا   زمان شرخي ولما جئتها نَخْنَمَه[6]
والآن إن لامست خدا يدي لعبا   تأففت ثم نادت يا أبي سُرِمَه[7]

وهذه نماذج حية من شدة تأثر الشعب السنغالي باللغة العربية، والثقافة الإسلامية، منذ فترة طويلة، وحبهم للإسلام كما سبقت الإشارة إليه، بل ولولا الاستعمار وموقفه العدواني أمام مد اللغة العربية؛ لبقيت إلى اليوم اللغة الرسمية في هذا البلد، ولكنهم وقفوا دون ذلك،كما يتضح لك أيها القارئ في المطلب التالي:

---

(١) التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص:٣٠٤

(٢) معناه بالولوفية: أتركني.

(٣) ... ...: تركني.

(٤) ... ...: صعب علي.

(٥) ... ...: أتركني.

(٦) ... ...: خدعتني.

(٧) ... ...: ابتعد عني.

دور الاستعمار في محاربة اللغة العربية في السنغال

لما رأى الاستعمار أن السنغاليين مولعون باللغة العربية والثقافة الإسلامية، معرضين عن ثقافتهم الغازية المضللة، بل وصل الأمر لدى بعض أولياء الأمور يمنعون التشبه بهؤلاء الكفار بأي شكل من الأشكال، ويرفضون لبس لباسهم أو التحدث بلغتهم، ولو ببعض الكلمات، ويوجعون عقوبة على من خالف ذلك ممن تحتهم من الأبناء والأحفاد ونحوهم، بالزجر، أو العتاب، أو الضرب إذا لزم الأمر، وهذه الظاهرة لها بقية إلى الآن عند بعضهم، وخصوصا لدى كبار السن، أو المتدينين المحافظين، لما رأوا ذلك وهو يهدد ثقافتهم، ووجودهم في المنطقة ومصالحهم فيها، قاموا بكل ما لديهم من قوة لمحاربة الإسلام واللغة العربية، واتخذوا التدابير اللازمة للحيلولة دون انتشارها، ومن هنا أصدروا قوانين صارمة لتطويع الثقافة الإسلامية وكل ماله صلة بالإسلام في البلد، وإفساح المجال للغة الفرنسية وثقافتها.

فصدر قانون ٢٢ يونيو١٨٥٧م التي تنص فقرته الخامسة على إلزام معلمي القرآن الكريم بإرسال طلابهم الذين بلغوا الحادية عشرة فما فوقها إلى المدارس العلمانية الفرنسية إجباريا، أو إلى مدارس الإرساليات الكاثوليكية وذلك لمدة ساعتين من كل يوم(١).

وهذه بداية قد تلتها شروط أشد، سأرجع إليها في مبحث الكتاتيب بإذن الله، أضف إلى ذلك ما كان يفعله الاستعمار من منع دخول بعض الكتب العربية إلى البلد، فكانت الحدود والبريد ومراكز الجمارك تحت رقابة مشددة، ولا يسمحون بدخول الكتب إلا كتب اللغة التي لمجرد تعليم اللغة العربية، أو

---

(١) انظر: إشكاليات التعليم العربي الإسلامي في النظام التربوي السنغالي، مصدر سابق، ص: ٢٦ ، والتعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سبق ذكره، ص: ٣٤٦.

علوم الأسرار"السحر" ونحوها، أما كتب الثقافة التي تهدف إلى تثقيف المسلم وتوعيته في أمور دينه فلا يسمح بشيء من ذلك[1].

وهكذا ضيقوا المجال أمام المسلمين ووضعوا أمامهم عراقيل لصرفهم عن الإسلام وعن اللغة العربية لحساب الكنيسة واللغة الفرنسية، ولما يئسوا من هذه الطرق بدؤوا بسياسة وضع منهج دراسي مزدوج (عربية/فرنسية) في بعض المدارس كمنطلق لإبعاد العربية فيما بعد عن المناهج الدراسية، ولكنهم نجحوا في الحقيقة في هذا، كما أنهم فشلوا في جانب آخر وهو إبعاد اللغة العربية من قلوب الناس أيما فشل، فقد رسخت جذورها وجذور الثقافة الإسلامية في قلوب هذا الشعب بفضل الله ﷻ ثم بجهود العلماء والدعاة الذين لهم دور كبير في نشر هذا الدين الحنيف.

---

(١) الثقافة الإسلامية نماذج من حضور اللغة العربية، شرنوكاه سنغالي، ص: ٤٧،من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبع في تونس عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

المطلب الأول

بداية الاستعمار للمنطقة

هناك تحديات كثيرة للثقافة الإسلامية في السنغال، تمثل حجر عثرة أمامها، وفي هذا المطلب سوف أتناول جزءا مهما من تلك التحديات وهو الاستعمار الفرنسي.

بدأت طلائع الاستعمار لمنطقة غرب إفريقيا في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، حين وصل البرتغاليون إلى شواطئ السنغال سنة: ١٤٤٤م أو ١٤٤٥م بهدف الاكتشاف وتبادل التجارة مع سكان المنطقة، تمهيدا للسيطرة ومد النفوذ فيها، بالإضافة إلى محاربة الإسلام، وفي نفس السنة استولوا على جزيرة"غوري"[١] المطلة على الشاطئ السنغالي وتبعد من العاصمة داكار حوالي: ٣ كيلومترات [٢].

وعلى هذا فقد بدأ الفكر الاستعماري مع حدوث الاكتشافات الأولى للغربيين في هذه المنطقة.

ثم في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) وصل إلى المنطقة الإنجليزُ والهولنديون والفرنسيون، كل منهم يطمح في السيطرة ومد نفوذه في أجزاء معينة من المنطقة، وفي عام ١٦٢٦م وصل الفرنسيون إلى السنغال بهدف السيطرة والاستعمار، وتم إحكام قبضتهم على معظم الأراضي السنغالية، عام ١٨١٦م وفي سنة ١٨٨٤-١٨٨٥م قامت الدول الاستعمارية بعقد المؤتمر المشهور(مؤتمر برلين) في ألمانيا لتقاسم جميع الدول المستعمَرة فيما بينهم، فأخذ الإنجليز وفرنسا بنصيب الأسد منها، وفي حين تنازل الإنجليز عن جزيرة (غوري) الاستراتيجية لصالح فرنسا، تنازلت فرنسا بدورها عن غامبيا لصالح الإنجليز أيضا، بينما صارت غينيا بيساو تحت حكم البرتغال وهكذا[٣].

---

(١) جزيرة ذات استراتيجية؛ لأنها منفذ بحري تجاه العالم، من الأمريكيتين وآسيا وأوروبا، لذلك اتخذها المستعمرون فترة ممارسة تجارة الرقيق مركزا لتجميع العبيد من أدغال إفريقيا، ومن ثم شحنهم في البواخر إلى أمريكا وأوروبا لبيعهم واستخدامهم في مزارعهم، ومازالت الآثار موجودة إلى اليوم، كما تستقبل السياح من مختلف أنحاء العالم، زرنا هذه الجزيرة وشاهدنا تلك الآثار بأعيننا.

(٢) انظر: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي (٥٣٥/١٢) طبع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، عام ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

(٣) انظر: أضواء على السنغال، نفس المصدر، ص: ١٣.

المطلب الثاني

دوافع الاستعمار، ومبرراته، ووسائله

أولا/ دوافع الاستعمار للمنطقة:

إن المتتبع لتاريخ علاقات الدول النصرانية مع بقية دول العالم يلاحظ أن الحروب الاستعمارية الصليبية التي كانت تجتاح البلاد الإسلامية منذ قرون طويلة كان دافعها الأساسي حقد متأصل في أعماق قلوب كثير من الغربيين على الإسلام والمسلمين، يكمن وراء ذلك خوف رهيب من قوة الإسلام المتزايدة يوما بعد يوم، ولذلك نرى دائما مواقفهم العدوانية العنيفة من المسلمين والدول الإسلامية تلك المواقف التي لن تتغير ولن تتبدل مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧] أضف إلى ذلك اندهاش الغرب من ثروة القارة الإفريقية وخيراتها بعد توغلهم في أدغالها، وأحكمت الطموح الزائدة السيطرة فيهم ولم يعودوا يملكون أنفسهم إلا بتجاهل كل القيم والأخلاق الإنسانية ليقدموا على ارتكاب ما ارتكبوه من عمليات السلب والنهب من خيرات وكرامة هذه القارة، ومن أسوأ ما اقترفوها من الجرائم عبر التاريخ في حق سكان المنطقة هي ظاهرة تجارة الرقيق، حقا هي من أبشع ما مارسه الاستعمار في القارة السمراء، حيث تم الشحن من العبيد إلى أسواق الدول الغربية ما يقدر بـ: ١٤-١٥ مليون نسمة، والذين وصلوا منهم أحياء أقل من ١٠ ملايين؛ وذلك لأن أكثرهم ما كانوا يرضون بتلك العبودية والقهر والاستفزاز، بل يفضلون الموت على تلك الحياة الدنيئة الممقوتة، وبالتالي يثورون أمام هؤلاء المجرمين بغض النظر عما في أيديهم من الحديد والنار؛ بل يرمون أنفسهم في المحيط حين يضطرون إلى ذلك(١).

(١) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المصدر السابق، ص: ٥٣٧ بتصرف.

ومنها جعل المناطق المستعمرة بعد استقلالها مراكز لتصدير المواد الأولية إلى بلادهم، وجعلها أيضا في نفس الوقت أسواقا استهلاكية فحسب، معنى ذلك ستظل القارة فقيرة وعالة على تلك الدول المسيطِرة؛ لأنها تبقي مستهلكة فقط مع ما توجد من المواد الأولية المتوفرة من بترول، وحديد، وفوسفات، وذهب، وثرة حيوانية، وبحرية، بالإضافة إلى الأيادي العاملة المتوفرة، وفوق كل ذلك عدم إعطاء أي حق أو اعتبار لسكان القارة إلى يومنا هذا مع الأسف الشديد...علما بأن حضارتهم اليوم قامت على أرواح ودماء الأفارقة الأبرياء الأوفياء، الذين ضحوا بأنفسهم في الحربين العالميتين، كما يقول الرئيس السنغالي السابق "**سنغور**" (**لقد قامت قوة أمريكا على عرق الإفريقيين ودمائهم**)[1].

ومن تلك المواقف الجبارة للأفارقة موقف السنغاليين بجانب فرنسا ضد الألمانيين في الحربين العالميتين الداميتين، حيث كانوا يقفون دائما في مقدمة الجيش والبيض وراءهم حتى هزموا عدوهم وغلبوا عليهم، وبعد كل ذلك فما ظنك أنه هو الجزاء والمكافأة لهؤلاء الأبطال الأفارقة ؟ قد لا تصدق الجواب وهو كالتالي : جمعوهم في مكان واحد في حي "تياروي" في ضواحي داكار ثم أطلقوا عليهم النار وأردوهم قتيلا في الحين حتى لا يقوموا مرة أخرى لمطالبة الحقوق في المستقبل!!.

يا لها من خيانة وخداع! ولا غرو؛ لا يعطي الإنسان إلا ما عنده، وما عند هؤلاء إلا حقد وحسد للإسلام والمسلمين، وعدوان للإنسانية، خلاف ما يدعون من العبارات الرنانة والشعارات الفضفاضة من الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان...

(١) انظر: (غرب إفريقيا ومأساة الغزو الفكري)، على حسن كمارا، رسالة ماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف، قسم العقيدة والفلسفة، ص: ١٨٠، ط: بدون، نقلا عن (دفاع عن إفريقيا) للأستاذ سعد زغلول نصار، ص: ٥٩٠، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط: ١ ١٩٦٦م.

ثانيا/ مبررات الاستعمار لدى المستعمرين:

هناك آراء متقاربة بين هؤلاء لتبرير ظاهرة الاستعمار، وأخرى متضاربة، فيرى أحدهم أن السيطرة على الدول الفقيرة واجبة؛ لأن الله حكم عليهم بالدونية، انطلاقا من نظرية "داروين"(١) ومن هؤلاء (**سيبلويدا**) **Sepulveda** (١٤٩٠- ١٥٧٣) حيث يرى أن السيطرة الاستعمارية واجبة، وأن الحروب التي شنت على الشعوب الهندية عادلة بسبب جرائمها وممارستها الوحشية، وبالتالي يستحقون الاسترقاق من قبل الطرف الأقوى والأكثر رقيا، كالأمة الإسبانية، وأنه لا يوجد سوى الحرب لفرض الديانة النصرانية على الشعوب لإنقاذ تلك الأرواح ولو بالعنف، وأنه يجب إنقاذ تلك الشعوب من الجهل والتخلف بالسيطرة عليهم، ثم وضع الطرق التي توصلهم إلى التقدم والازدهار(٢).

كما يرى (**سيلفيرى**) **Jules ferry** أن للشعوب العليا حقا على الشعوب الدنيا، بل يرى ذلك واجبا لنشر الحضارة بينها(٣).

ولكن هل هذه المبررات مقبولة عقلا أو شرعا؟ وهل حققوا لتلك الدول المستعمرة أي تقدم حضاري، أو نجاح في مجال من مجالات الحياة؟ أم حولوهم إلى شعوب يغلب فيها الجهل والفقر وانتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة...؟!

---

(١) تشارلزداروين (Charles Robert Darwin) إنجليزي الجنسية، اشتهر بنظرية التطور حول نشأة الإنسان، عاش ما بين عام (١٨٠٨-١٨٨٢م)، بدأ دراسة الطب ثم لم يكمل مسيرته، وانتقل إلى دراسة اللاهوت، وكان شغفه بالرحلات العلمية الاسكتشافية، وتجلت له فكرة تطور الأحياء بعضها من بعض من ظاهرة التشابه في التكوين الجسمي بينها، ومن بين ظواهر أخرى، وكتب في ذلك كتابه المشهور: (أصل الأنواع) الذي أحدث ضجة في الغرب، لاشتماله على أفكار تخالف المعتقدات السائدة. انظر: كواشف الزيوف، مصدر سابق، ص: ٣١٧.

(٢) (الاستعمار وآثار ومبررات التعويض وأشكاله، د. خديم محمد سعيد امباكي، تقرير علمي غير مطبوع، ص:٣.

(٣) الاستعمار وآثار ومبررات التعويض وأشكاله، المصدر السابق، ص: ٥.

لاشك أن واقع هذه الشعوب يفند تلك الأقوال السخيفة، والادعاءات الفارغة، ولم يقدموا للقارة أدنى حضارة، بل أن تلك المعاملات والتصرفات غير الإنسانية في حق سكان المنطقة فترة الاستعمار وما بعده تعبر عن مدى خبث نفوس أولئك الرجال، ودناءة ضمائرهم، مما دفعهم إلى ارتكاب أشد وأنكي معاملات إنسانية يعرفه تاريخ البشرية، مما انعكس اليوم على حياتهم القاسية والصعبة و الخشنة والمليئة بالحروب والأمراض والجوع والموت... وهم السبب الرئيسي والأساسي- بعد إرادة الله سبحانه وقدره – في كل ما يحدث فيها من تلك المصائب والأضرار، والعجب في ذلك أنهم يسهرون في أن تبقى القارة على حالتها هذه المأساوية، بتأجيج نار الفتن في الأوساط السياسية وبين القبائل المختلفة لتظل هذه الدول فقيرة ومسكينة تجري وراء الدول الغنية لتجد لقمة العيش!.

ثالثا/ وسائل الاستعمار الرئيسية:

أ- التجارة: كانت التجارة عاملا مهما للمستعمِر في سياسته التوسعية، حيث يهدف السيطرة على المواد الخام لتصديرها وتصنيعها ثم إعادتها مرة أخرى لدول الاستعمار لتتحول بذلك إلى سوق للبلد المستعمِر كما أشرت، مع منع التدخل لطرف ثالث.

ب- التنصير: قد تتحالف الاستعمار مع المنصرين لمصالح مشتركة، رغم كون رجال الاستعمار علمانيين لا يعترفون بالدين بل يحاربونه، وكان المستعمر يساعد المنصِّر في نشر عقيدته باستخدام القوة والقهر والتخويف وتدمير الهوية، كما يوالي المنصِّر بدوره المستعمر، بتقديم التعليم والملابس والأدوية ونحوها[1].

المطلب الثالث

المقاومة الشعبية ضدّ الاستعمار

قد لاقى المستعمر في القطر السنغالي مقاومة شديدة من الملوك المحليين من جهة ومن الشيوخ (زعماء الطرق الصوفية) من جهة أخرى.

وممن جاهد من الشيوخ ضد الاستعمار: **الشيخ عمر الفوتي** ت: ١٨٦٤م، و"**مابا جاخو باه**" الذي جاهدهم في معارك عديدة حتى استشهد ١٨٦٧م في معركة "سومبوغ"[(١)] التي كانت بينه وبين قوات التحالف الفرنسية والوثنية التابعة لملك "سين" ضده، **والشيخ أحمد** في "فوتا" شرق البلاد الذي قاوم الاستعمار لمدة ٨سنوات حتى استشهد ١٨٧٥ بعد قتال عنيف معهم، **والشيخ محمد الأمين درامي** في شرق البلاد حيث قاد حركة جهادية ضد الاستعمار واستشهد ١٨٨٧م، والشيخ "**أحمد بامبا**" مؤسس الطريقة "المريدية"، إلا أن هذا الأخير وأمثاله كالشيخ **الحاج مالك سي** مثلا جاهدوا بتربية أتباعهم في جهاد النفس والإعراض عن الدنيا وحطامها، مما دفع أتباعهم إلى تجمعهم لدى بيوتهم للتزود بالعلوم والمعرفة، الشيء الذي أذهل المستعمر وخوفه ظانِّين بأنه "**الشيخ أحمد بامبا**" يجهز جيشا استعدادا للهجوم على مصالحهم فقرروا نفيه إلى جزيرة نائية ووحشية في جمهورية "غابون" كما قتل أو سجن أو نفي غيره من الشيوخ في هذه الفترة، وبقي في المنفي مدة ٧ سنوات، (١٨٩٥-١٩٠٢م) ثم رجعوه إلى أرض الوطن، ثم نفي ثانية في السنة التالية، أي: ١٩٠٣ إلى صحراء "موريتانيا" وبقي هناك حتى عام ١٩٠٧م، ثم رجعوه مرة أخرى إلى بلده ليقيم عليه إقامة جبرية في (جُلُوف) وفي عام ١٩١٢ سمحوا له أن ينتقل إلى (جُوربِل) حيث يسكن بعض أهله وأتباعه، ليس للمصالحة معه ولا للشفقة

(١) هو المكان الذي التقى فيه هذا المجاهد الكبير مع الاستعمار واستشهد فيه رحمه الله، ويقع في منطقة" سالوم" جنوب وسط البلاد، وليس ببعيد من مدينة "نيورو"، انظر: المسلمون في السنغال، ص: ٢٠.

عليه، ولكن لأن هناك أقرب من مراكزهم، ولم يزل تحت رقابة المستعمر فيمن يدخل أو يخرج من بيته في هذه المدينة حتى توفي ١٩٢٧م وتم نقل جثمانه إلى مدينه طوبى التي كانت أحب إليه من غيرها رحمه الله رحمة واسعة.

وهكذا كانت حياة الشيوخ في العهد الاستعماري؛ إما المسالمة والخضوع لأوامرهم، وإما القتل، أو النفـي، أو السـجن ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، هـذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص المستعمر في سعيه لقلع الجذور الإيمانية، وطمس الهوية الإسلامية دينيا وثقافيا في النفوس، مع فتح المجال أمام المنصرين لغرس البذور النصرانية، ونشر اللغة والثقافة الفرنسيتين بين أبناء هذا الشعب شأنهم في كل قطر سيطروا عليه، بل صرحوا بذلك حين قالوا بأن القضاء على الشريعة الإسلامية ورمزها في غرب إفريقيا هو الخطوة الأولى في منع انتشار الإسلام بين الشعوب الإفريقية[١].

ومن الملوك المحليين الذين وقفوا أمام المد الاستعماري رغم تفاوت القوات العسكرية بين الطرفين، مع العلم بأنهم ما كانوا يحاربون باسم الإسلام رغم كونهم مسلمين بل كانوا يحاربون للدفاع عن الوطن وعن الحرية، ومن هؤلاء "**لاتجور جوب**"، و"**سامبا لوبى فال**"، و"**عالِ بُورى انجاي**"، و"**برم ياسين بوب**" وغيرهم[٢].

(١) انظر: العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الفكرية في غرب إفريقيا الفرنسية، مصدر سابق، ص: ١٢٤٤.

(٢)انظر: أضواء على السنغال، مصدر سابق، ص: ١٤ فما بعدها.

المطلب الرابع

آثار الاستعمار في السنغال

لاشك أن المستعمر الفرنسي الذي احتل البلاد لمدة ثلاثة قرون (١٦٢٦-١٩٦٠م) خلف فيها آثارا مدمرة، في مجالات مختلفة شأن كل مستعمِر فيما استعمر.

ومن أهمها ما يلي:

١- **في المجال الثقافي**: وتتلخص الأضرار الناجمة في هذا المجال عن الاستعمار في هذه النقاط:

أ- سرقة المواد والآثار الثقافية كالتحف والمخطوطات النادرة، وحرق بعض المكتبات العلمية كما حصل في جامعة "بر" ١٨٦٤م أثناء حملتهم الصليبية الهادفة إلى ضم مملكة "كجور" إلى الحكم الفرنسي[1].

ب- محاربة جوانب من الثقافة والتراث الأصليين ومحاولة إزالتهما من الوجود (كالعقيدة واللهجات والقيم ومواقع أثرية...).

ت- فرض الثقافة الغربية على الشعب بوسائل متعددة، كوضع الحواجز أمام المد الإسلامي واللغة العربية التي كانت في أعلى ثروته وقت وصول الاستعمار إلى البلد، بالتخلص من العلماء والشيوخ بإحدى الوسائل الثلاثة القتل أ السجن أو النفي، وبإنشاء جيل مواليا لهم ومتنكرا لقيمه وهويته.

(١)انظر: (الاستعمار وآثار ومبررات التعويض وأشكاله)، مصدر سابق، ص:٨، والتعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص:٣٠٠.

ث- محاولة إثارة العداوة والبغضاء بين القبائل والطرق الصوفية، وهم نجحوا في هذا الأمر إلى حد كبير؛ لأن كثيرا من أتباع بعض الطرق يعادون بعضهم بعضا، بل وصل الأمر لدى البعض عدم التزاوج فيما بينهم إلا إذا كان الطرفان من طريقة واحدة، وكذلك عدم الصلاة في مسجد غير المسجد التابع للطريقة التي ينتمي إليها، جهلا بحقيقة الإسلام وتعاليم الشيوخ ومؤسسي تلك الطرق الذين بذلوا كل ما في وسعهم لتوحيد صفوف المسلمين، سفاهة وكتابة وتطبيقا كما سبق الكلام عنه.

كما حاولوا إشعال نار الفتن بين القبائل الموجودة في البلد، إلا أنهم فشلوا في هذا فشلا ذريعا؛ لأن الشعب السنغالي رغم تعدد القبائل لم يعرف التعصب ولا تلك الخلافات التي تؤدي إلى التناحر كما سبق أن أشرت إليه.

بالإضافة إلى ما سبق في مبحث المؤسسات التعليمية من العراقيل و القيود الصارمة على طريق فتح مدرسة أو بناء مسجد أو أي نشاط ديني له علاقة بالإسلام في ذلك الوقت.

٢- في المجال الاجتماعي:

أ- حرص الاستعمار على تقديم التسهيلات والمميزات للكنيسة وأتباعها على حساب الإسلام والمسلمين، وذلك بإعطائهم أراضي شاسعة ومتميزة، وإعفائهم من الضرائب والرسوم والعناية بهم ماديا ومعنويا.

ب- فتح مجال العمل والتوظيف أمام حاملي الثقافة الغربية وخريجي المدارس الفرنسية ولو كانوا أقل شهادة وخبرة من حملة الثقافة الإسلامية، ليظلوا دائما أحسن حالا من هؤلاء، ولتبقى زمام السلطة بأيديهم، ليستمر البلد في النهاية إلى مسيره العلماني.

ت- ذل الجهود لطمس الهوية والعادات والأعراف الأصلية لدى هذا الشعب، واستبدالها بثقافاتهم وعاداتهم في جميع أنماط الحياة اليومية، سواء في اللبس أو في الكلام أو في الأكل وحتى المشي، هذا ما يتميز به الاستعمار الفرنسي الذي يتسم بالاستعمار الاستيعابي.

٣- في المجال السياسي:

أ- تقويض جهود المعارضين المقاومين ضد الاستعمار من المجاهدين والمحاربين المحليين، حيث استخدم سياسة "فرق تسد" فكان يساند هذا على محاربة ذاك ثم يتحول ضده بالتحالف مع آخر وهكذا حتى استطاع بهذه السياسة الخطيرة القضاء في النهاية على كل من الحاج عمر تال المجاهد الكبير ت ١٨٦٤م، و"**ما باجاخو باه**" ١٨٦٧م، و"**محمد الأمين درامي**" ت ١٨٨٦م، و"**لاتجور جوب**"ت: ١٨٨٦م، و"**عال بوري انجاي**"ت: ١٩٠٢م وغيرهم، وكل ذلك تم بتدرج وبخطط مدروسة ومحكمة بحيث لا يظهر أحيانا في الواجهة لتكون الحرب محليا [(١)].

ب- اللجوء إلى التصفية الجسدية ضد معارضيهم من الشخصيات الوطنية والدينية أمثال (**محمد الأمين درامي**)، و(**لاتجور جوب**) أو الاعتقال والسجن أمثال "**محمد بامبا**" و"**لمام تياو لاي**" وغيرهم.

وما ذنب هؤلاء إلا أن الشعب علق أمله عليهم للخلاص مما هو فيه من الويلات ليعيش عيشة كريمة، فظن الاستعمار لما رأى تجمع الناس حولهم بأنهم في استعداد لشن الهجوم ضده وضد مصالحه في البلد ودبر لهم المكيدة.

(١) انظر: الاستعمار وآثاره، ومبررات التعويض، مصدر سبق ذكره، ص: ١٢.

ت– تمزيق الأراضي المستعمرة، وجعل حدودها غامضة قابلة للنزاع في المستقبل القريب أو البعيد، لتظل هذه الدول في نزاع وقتال ودمار وتخلف، ما يعيشه اليوم أكثر الدول المستعمرة خير دليل على ذلك، ولم ينج منها إلا من رحم الله.

٤–في المجال الاقتصادي:

أ– تدمير اقتصاد البلاد بنهب خيراتها البشرية، حيث دخلوا في أعماق البلاد وأخذوا الشباب الأقوياء عبيدا وشحنوهم في البواخر بكل شدة وعنف إلى أوروبا وأمريكا، ولم يتركوا للبلاد إلا العجائز والصبيان.

ب– تدمير اقتصاد البلد بنهب خيراتها المادية بفرض أنواع الزراعة التي تريدها الدول المستوردة على الشعب ويتم تحديد الأسعار منهم كالفستق (فول السودان) مثلا، ثم لما استغنت عنها تركها فأصبحت لا قيمة لها، بالإضافة إلى جعل هذه المناطق أسواق استهلاكية فحسب، بحيث يأخذون منها المواد الأولية بثمن بخس إلى أوروبا لتصنيع بضائع منها ثم يرجعونها إليهم مرة ثانية ليشتروها بأغلى ثمن، وهذا الواقع الذي يعيشه السنغال اليوم، وكذلك معظم الدول الإفريقية.

والنتيجة ما نراه اليوم من انتشار الفقر والبطالة في البلد، وفي بقية البلاد الإفريقية؛ لأنهم نهبوا خيرات البلاد وثرواتها، ماديا وبشريا، وبكل وحشية ومازالوا؛ وإنما غيروا الأساليب، أضف إلى ذلك الجهل والأمية والفساد الخلقي وانتشار الأمراض وارتكاب الجرائم وتناول المخدرات ونحوها بين بعض الشباب.

ومن تلك الآثار تبني الحكومة مبدأ "اللائك" (laique)[1] والعلمنة لدستور البلاد رغم كون الأغلبية الساحقة من السكان مسلمين، وإعطاء غيرهم امتيازات وعناية أكثر كما رأينا كل ذلك – كما هو

(١) معناها: عامي، عالمي، علماني؛ أي الأمر عام لا تقيد بأي دين ولا بأحكامه. انظر: المنجد فرنسي عربي، ص:٤٧٩، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: ٣، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

واضح- لمحاربة الإسلام والوقوف أمام مده ونفوذه لصالح النصرانية، ومع كل ذلك فالإسلام في هذا البلد في تقدم وانتشار يوما بعد يوم كما لاحظناه رغم ما يكرسونه من جهود ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

ومن الملاحظ أن زوجات الرؤساء السنغاليين الثلاثة منذ الاستقلال إلى الآن كلهن نصرانيات غربيات، كما أن أزواجهن تعلموا في الجامعات الأوروبية وتثقفوا ثقافة غربية بحتة، وبالتالي يلعبن منذ وصولهن إلى السلطة أدوارا كبيرا في ميادين مختلفة، سياسية واقتصادية وغيرها، وفي أولويات تلك الأنشطة الدعم القوي والمستمر للمنصرين في هذا البلد بوسائل شتى، هن بمثاب دجاجة تلعب دور الديك.

المطلب الأول

العلمانيّة

يتعرض العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها هجمات عنيفة من التيارات والأفكار التي تحمل في طياتها هدم الدين وقلع جذوره من قلوب المسلمين، وذلك بعدة وسائل منها العلمانية التي تهدف في الأساس إلى إبعاد الدين عن الحياة.

أولا/ تعريف العلمانية:

العلمانية (**secularism**) باللغة الإنجليزية، أو(**secularite**) أو (**laique**) باللغة الفرنسية، وترجمتها الصحيحة: اللادينية، أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العقل والعلم الوضعي، ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين، أي توجيه الناس ودعوتهم إلى الاهتمام بالدنيا فقط دون الآخرة، وفصل الدين كليا عن الحياة[1].

---

(١) انظر: دائرة المعارف البريطانية، (Encyclopedia Britannica) مادة (secularism)، و(العلمانية جذورها وأصولها)، د. محمد علي البار، ص:٢٦، دار القلم دمشق، ط:١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، و (العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة)، الشيخ سفر الحوالي، ص: ٢١، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط:١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٦٧٩/٢)، دار الندوة للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ط: ٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

كما عرفها معجم أكسفورد بأنها الرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساسا للأخلاق والتربية والقيم، وإن العلمنة هي تحويل ممتلكات الكنيسة إلى الدولة لخدمة الأمور الزمنية(١).

وعلى هذا، فهي كلمة لا صلة لها بلفظة "العلم" – بكسر العين – ومشتقاته، بل إلى العالم بفتح اللام؛ وهي عبارة عن إنكار وجود الله تعالي، واليوم الآخر وكل الغيبيات كموقف بعض العلمانيين، مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤] وبالتالي فهم يتفقون مع النصارى في فصل الدين عن الحياة كما في العبارة التي ينسبونها إلى المسيح عليه السلام "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله" يعني أمور الحياة للسلطة، وأمور الدين للكنيسة ولرجالها، بخلاف الشريعة الإسلامية الذي تشمل كل جوانب الحياة الدينية والدنيوية بالتساوي والاعتدال، لا تفريط ولا إفراط في أي جانب من الجانبين، ولا ترجيح جانب على حساب الآخر، بل يتصف بالوسطية كما يقول تعالي: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ثانيا/ تاريخ ظهور العلمانية:

وقد ظهرت العلمانية في أوروبا منذ القرن ١٧، ثم انتقلت إلى الشرق في بداية القرن ١٩، وبشكل أساسي في مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس، ثم العراق في نهاية القرن ١٩، أما بقية الدول العربية انتقلت إليها في القرن العشرين(٢).

(١) انظر: معجم أوكسفورد، (The Oxford English Dictionary) مادة (secularism).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة، المصدر السابق، ص: ٦٧٩.

أما أسباب ظهورها وانتشارها في العالم فكثيرة، من أهمها: تحول رجال الدين في القرون الوسطى إلى طواغيت وجبابرة، متلبسين بالدكتاتورية في معاملاتهم مع العوام باسم الدين والكنيسة، بفرض صكوك الغفران، والعشاء الرباني، وموقفهم المتشدد ضد العلم والعلماء، وتشكيل محاكم التفتيش وغير ذلك من أنواع الاستبداد والاستفزاز، ونشأت هذه الفكرة كرد فعل لتلك التصرفات غير مقبولة، ثم انتشر فيما بعد إلى العالم شرقا وغربا بفضل النفوذ الغربي والتغلغل الشيوعي.

ثالثا/ جذور العلمانية في السنغال:

وللعلمانية جذور عميقة ومتأصلة في هذا البلد، كما اتضح في المبحث السابق، يرجع تاريخها إلى الأيام الأولى لاستقلال البلد، حيث كان أول ما قام به "**سنغور**" – أول رئيس الدولة بعد الاستقلال– هو علمنة الدستور، وكذلك التعليم العام، كما أن الرؤساء و غالبية الزعماء السياسيين علمانيون، رغم كونهم حاملي أسماء إسلامية، ومتظاهرين في الانتماء إلى الإسلام إلا أن هناك بون شاسع بين ما يبطنون وما يعلنون، بدليل أنهم رحبوا بمبدأ العلمانية دستورا للدولة رغم كون غالبية السكان مسلمين، بالإضافة إلى محاربة الإسلام واللغة العربية، وكل مظهر من مظاهر الدين بوسائل مختلفة ومتعددة كما سبق.

رابعا/ موقف الشعب السنغالي من العلمانية:

أما موقف الشعب السنغالي من العلمانية فالسنغال دولة مسلمة يقدر نسبة المسلمين فيها ٩٥% من مجموع السكان كما قلنا، ورغم انتشار الجهل بالإسلام وتعاليمه بين المجتمع فإن الأصل فيهم الغيرة على دينهم الإسلامي، والتحلي بأخلاق سامية، حريصين على فعل الخير، والبعد عن كل ما يرونه منافيا للأخلاق والسلوك الإسلامية، فالسنغالي عامل نشط، يعمل في كل مهنة دون مبالاة، صغر أم كبر، كما

أنه لا يرضى بكل ما يمس دينه وعقيدته رغم وجود بعض المخالفات والبدع لدى بعضهم إلا أنهم عموما فيهم خير، ولكن بسبب انتشار الجهل والأمية لدى كثير منهم وخصوصا أهل القرى والأرياف الذين لا يعرفون شيئا عن العلمانية وعن بقية الأفكار والتيارات الهدامة العاصفة من الغرب التي تهدف إلى طمس هوية الدين في النفوس، قد تراه مواليا أو متعاطفا معهم في بعض المواقف، كالانتخابات الرئاسية أو النيابية مثلا، ثم من المعلوم أن هؤلاء يأتونهم بثياب النفاق؛ يظهرون أمامهم ما يناسب الموقف، فإذا انقلبوا يضحكون عليهم.

وعلى كل حال يمكن تصنيف الشعب السنغالي أمام هذا التيار الغربي كالتالي:

١– العوام: – وهم الأغلبية – فلا ناقة لهم ولا جمل في الأمر، بل معظمهم لا يعرفون شيئا عن العلمانية ولا مضمونها حتى يؤيدوا أو يعارضوا، وقد يتعاطفون مع العلمانيين جهلا بحقيقة العلمانية.

٢– المثقفون (ثقافة عربية أو فرنسية) وهم على قسمين:

أ– المؤيدون الموالون للعلمانيين والنظام العلماني، وغالبية هؤلاء هم الذين تأثروا بالثقافة الغربية، وخصوصا في أوساط الشباب لتلقيهم المباشر في المدارس والجامعات الداخلية والخارجية بين يدي الخبراء ودعاة هذا التيار وخدمهم.

ب– المعارضون المناوئون؛ والأغلبية فيهم هم المتأثرون بالثقافة العربية الإسلامية، ممن تعلموا القرآن الكريم في صباهم، أو التحقوا بالمدارس العربية، أو تربوا في بيئة محافظة، أو بين أسر محافظة.

ومن الملاحظ أن العلمانيين ومن عندهم التوجه العلماني هم الذين سيطروا على المناصب الحساسة والمهمة في أية حكومة مدت منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، بتخطيط محكم من قوة خفية معادية للإسلام والمسلمين، بحيث درسوا اللغة الفرنسية في السنغال ثم في الجامعات العالمية المشهورة في مختلف البلاد، فرنسا وكندا وغيرها، فحازوا شهادات عالية، كما درس المسلمون المحافظون في المؤسسات

التعليمية الإسلامية في السنغال ثم في الدول الإسلامية في الخليج والسودان ومصر وغيرها بنفس المستوى الذي وصل إليه الفريق الأول من الناحية الأكاديمية، ومن حيث الخبرة والتجربة؛ ولكن حامل الشهادة العربية ولو كانت دكتوراه فلا يتوفر أمامه فرص العمل إلا في نطاق ضيق؛ كمجال التعليم، بينما حامل الشهادة الفرنسية ولو كانت ثانوية أو دونها تفتح له الأبواب، مستندين إلى أن الدستور ينص على أن الدولة علمانية، واللغة الرسمية فرنسية، والعربية غير معترف بها!.

يؤكد هذا الموقف الاستبدادي ما قاله الرئيس السنغالي "عبد الله واد" للطلبة السنغاليين في جمهورية مصر العربية لما التقي معهم أثناء زيارة له القاهرة، قال لهم – مستهزئا ومستحقرا للغة العربية – أن ترجعوا إلى البلد وتشتغلون بالزراعة خير لكم من أن تفنوا أعماركم في دراساتكم هذه، فليكن في صميم علمكم أني لا أضمن لكم وظيفة!!

إذا كان هذا هو موقف رئيس الدولة الذي هو المسؤول الأول لكل احتياجات المواطنين في البلد فلا تكون النتيجة إلا ما ترون من مأساة وويلات يعانيها خريجو الجامعات الإسلامية، وحاملي الثقافة الإسلامية من احتقار وسخرية واستفزاز من العدو المستعمر ومن معه من أبناء البلد الذين تربوا في كنفهم، وتضلعوا بثقافاتهم، من خريجي جامعاتهم حيث تلقوا إعدادا تاما، ليحلوا محلهم لإكمال المشوار، وقد حصل بالفعل مع الأسف.

فالمثقف بثقافة إسلامية مضطهد في هذا البلد في عقيدته؛ لأنه غير مسموح له بإنشاء حزب على هوية إسلامية، بينما يسمح ذلك تحت أية هوية أخرى اشتراكية أو شيوعية أو ليبرالية إلى غير ذلك من المسميات والشعارات، كما أنه مضطهد في عمله أيضا كما رأيت، وهذا واقع السنغال الذي نعيشه اليوم ونشاهده.

ومن آثار وتحديات العلمانية في السنغال وخصوصا في العاصمة تجد الشوارع تحمل أسماء الغربيين، وخصوصا الفرنسيين منهم، مثل "**سارل ديكول**" و"**وليام بونت**" و"**ساند جيري**" وغيرهم كثير، وكذلك الكتابات في المحلات واللافتات في الشوارع وغيرها كلها فرنسية، ولا تكاد تنكر بأنك في **باريس** أو **روما** أو **مدريد**، ولا ترى أي أثر إسلامي في الشوارع إلا نادرا، في بلد كان لغته الرسمية قبل وبداية الاستعمار عربية، والغالبية فيه إلى اليوم مسلمون! إلا ما تراه من المساجد القليلة العدد والمتباعدة فيما بينها، ولباس الناس فيها"العاصمة" ٨٠% من لبس الأوروبي المخل بالمروءة، المخالف لعادة البلد وتعاليم الإسلام، إنها لكارثة !

أما نظرة العلمانيين أنفسهم لهذا البلد المسلم، أومن لهم توجه علماني فمختلفة ومتضاربة، ومنهم[١] من يرى أن العلمانية لها ثقلها ووزنها في السنغال ولكن لا يمكن أن تكون كما في فرنسا مثلا، لاختلاف العادات والتقاليد والسلوك بين الشعبين، أي لا يمكن تطبيقها بالكامل في السنغال كما تطبق في فرنسا مثلا، وذلك أن الشعب السنغالي شعب متدين ومولع بالثقافة الإسلامية رغم ما حصل من علمنة الدولة كما سبق أن أشرت إليه.

---

(١) انظر: السيد (إبدير تيام)، أحد زعماء الأحزاب المعارضة ووزير التربية الوطنية سابقا، في مجلة "الشاب الإفريقي" (jeun afrique) هي مجلة يومية عالمية حرة، عدد٢٤٨٣-٢٤٨٤.ص: ٤٤-٤٧.

كما يتضايق بعضهم أومن معهم[١] من النشاطات الدينية التي يقوم بعض رجال الدين أو أفراد عاديين بتنظيمها في مناسبات مختلفة، حيث يضربون الخيام في أماكن مخصصة لها وأحيانا في بعض الشوارع، قائلين بأنهم يكثرون الكلام ويزعجون الناس لما يستخدمونه من مكبرات الصوت ونحوها.

وقد يكون لهم شيء من الحق فيما يقولون مراعاة لحق الجار الذي حث النبي ﷺ على احترامه والاهتمام به حيث قال: (**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَرِّثُهُ**)[٢] ولكن أليس المناسبات التي لا علاقة لها بالدين منتشرة في كل أرجاء البلاد؟ بل الهدف منها اللهو واللعب، ونشر الفساد في الأرض، بنصب مكبرات الصوت عالي القوة لاستماع الموسيقي والرقص والاختلاط بين الجنسين طول الليل أو إلى وقت متأخر جدا، وذلك شبه يومي في المدن الكبرى، وخصوصا في العاصمة، أليس هذا هو الأولى بالنقد والمحاربة؟!.

ومن المعروف أن من أهداف العلمانيين تشكيك المسلم في ثوابت الدين والمسلمات الأولية عند الأمة الإسلامية، وخداع السذج منهم بأن يعطل ما فرضه الله عليه، أو يهمله، أن يرتكب المحرمات...[٣] إلا أنهم في الحقيقة لم ينجحوا في هذا الشعب نجاحا يذكر، إلا ما نتج من الجهل بالإسلام وتوجيهاته السامية من بعض أفراد المجتمع مما أدى بهم إلى ارتكاب المخالفات والمنهيات جهلا لا عنادا، مما يمكن تفاديه أو تقليله في أوساط هذا الشعب المسلم، وذلك بتكثيف الجهود الدعوية من الدعاة والمربين والعلماء كل حسب استطاعته ومدى نفوذه في المجتمع، ودعم القائمين بهذا الشأن

---

(١) حماد داسوغو وهو زعيم الحزب المعارض(p.i.t) سابقا، وسيدة (جتو سيسي) وهي صحفية وأمينة العام لنقابة العمال في مجال الأخبار والاتصال في السنغال (syn.p.i.c.s). مجلة الشاب، المصدر السابق، ص: ٤٤-٤٧.

(٢) صحيح البخاري (١٠/٨) ورقمه: ٦٠١٥.

(٣) للتوسع انظر: الإسلام والعلمانية وجها لوجه، الشيخ يوسف االقرضاوي، ص: ٨٤، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط:١٢،١٤١٢هـ-١٩١٢م.

دعما ماديا ومعنويا حتى يجدوا ثقلا وقوة أمام المد التنصيرى والمد التغريبي التي تجتاح البلاد طولا وعرضا بكل عصف.

وعلى كل حال يجب على المسلمين في كل مكان في العالم اليقظة والانتباه إلى خطر هذا التيار المنحرف المنتشر على المعمورة برمتها، الذي همه الأكبر هو محاربة الدين، وفي مقدمتها الإسلام، ويترصد في كل لحظة لحركات المسلمين كما اتضح في مقال نشرته الصحيفة البرطانية (صانداي تلغراف) البريطانية، الصادر في ١٩٧٨/١٢/١٧، في الصفحة ١٧ بقلم "يبرغرين دورستون" حيث أشار إلى "أن الغربيين يقعون في خطأ كبير، حين يظنون أن الخطر الذي يهدد مصالحهم في الشرق الأوسط هو خطر الشيوعيين؛ لأن الخطر الحقيقي الوحيد الذي يهدد مصالح الغربيين وأصدقائهم في المنطقة هو خطر المسلمين المتطرفين، الذين تعاظم نشاطهم بشكل مذهل، رغم كل ما أوقعته بهم النظم الصديقة للغرب في المنطقة من محن وتنكيل"[1].

(١) نقلا من: الإسلام والعلمانية وجها لوجه، المصدر السابق، ص:٢٢٢.

المطلب الثاني

العَولَمَةُ

أولا/ تعريف العولمة: العولمة "globalism" تعني سيادة نظام واحد، تقوده في الغالب قوة واحدة، أو بعبارة أخرى هي مزيد من الترابط والتداخل بين جميع دول العالم في جميع المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية والتكنولوجية وغيرها، بحيث يديره الطرف الأقوى وهي طبعا"أمريكا" لذلك يقال "العولمة أو الأمركة"[1].

ثانيا/ آثارها المؤلمة في المنطقة:

فهي سياسة أمريكية في الأساس، هدفها تدمير الاقتصاد في "الدول النامية" – وهي تعبير مؤدب عن" الدول المتخلفة"– وتنمية اقتصاديات الدول الكبرى في أوروبا وأمريكا، مما أثقل اليوم كواهل الدول الضعيفة ديونا، وتحويلهم إلى مرتع الفقر والأوبئة والأمراض الفتاكة، لغياب بل وعدم التعليم اللازم، وتنمية الاقتصاد في جميع القطاعات، والعناية بالصحة الضرورية لشعوب هذه الدول النامية.

فهي إذا تعني بداهة مزيدا من التخلف للمتخلفين، وتقدما للمتقدمين، وبالتالي زيادة الخضوع والتبعية للمتقدمين الأقوياء، وهذا في الحقيقة ما تسعى إليه أمريكا وأوروبا لأجل تحقيقها في هذه السياسة" العولمة".

(١) راجع: سلسلة كتاب المعرفة، بعنوان: نحن والعولمة من يربي الآخر؟ تصدر عن مجلة المعرفة، ص: ٣٧، ط:١،رجب ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، والخروج من فخ العولمة، د. كمال الدين عبد الغني المرسي، ص:١٣، المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية- ط:١.

فأنى يسلم السنغال من تلك السياسة الظالمة الجائرة والعامة لجميع بلاد العالم، وبالتالي فلهذه الظروف نتائج ملموسة، منها: ظاهرة الهجرة إلى دول الغرب تلك الظاهرة المنتشرة في السنوات الماضية، شرعية وغير شرعية، بحثا عن حياة أفضل لهم ولأهلهم، وما يكتنفها من ملابسات مؤلمة، من خسائر بشرية ومادية بموت المئات من المهاجرين الذين يمتطون ظهور السفن والقوارب لعبور البحر الأبيض المتوسط إلى إسبانيا وأوروبا لتحسين أوضاعهم الاجتماعية القاسية مهما كلفهم ذلك من مخاطر، حيث يموت عدد كبير من أولئك المهاجرين في البحر دون أن يصلوا إلى أوروبا، حتى اشتهر بين السنغاليين تلك العبارة الخطيرة"برشا أو برزخ" تعني إما الوصول إلى "برشلون الإسبانية" أو الوصول إلى "القبر"!.

إلا أن من الملاحظ تلاشي تلك الحماسة المنقطعة النظير واضمحلالها بشكل كبير بين السنغاليين مع الأزمة المالية العالمية في الآونة الأخيرة التي لم تنج منها أوروبا ولا أمريكا.

وهذه ظاهرة مؤلمة للغاية تعانيها السنغال كما يعانيها معظم الدول في العالم الثالث بمختلف القارات، أعني ظاهرة الهجرة، ولم يخف على أحد ما يترتب عليها من نتائج سلبية كما ذكرت، ولو فيها جزء من الإيجابية؛ كإنعاش اقتصاد بلدانهم نوعا ما، أو على الأقل تحسين ظروفهم المعيشية بين مجتمعهم، ولكن كثيرا ما نسمع و نرى أن بعض الشباب فور وصولهم إلى أوروبا أو أمريكا ينسلخون عن كل ماله صلة بالإسلام، من العبادات والأخلاق والسلوك الإسلامية، فكأنه لم يعد مسلما إلا من رحم ربه، باعوا أخراهم بدنياهم! فما وزن الإنسان بلا عقيدة ولا أخلاق ؟! فيا لها من خسارة!.

علما بأن العولمة تغزو بلادنا اقتصاديا وثقافيا وسياسيا ودينيا...فلابد من أخذ الحذر والاحتياط لمواجهة كل تحدياتها بأسلحة مناسبة؛ و في هذا السياق كتب الخبير الأمريكي في شئون العالم الثالث "**رربرت كابلان** R.Kablan" يقول: (وبما أن ٩٥% من الزيادة السكانية تتركز في أفقر مناطق المعمورة،

لذا لم يعد السؤال يدور حول ما إذا كانت ستندلع حروب أم لا، إنما صار يدور حول طبيعة هذه الحروب، وحول من سيحارب؟ إلى أن قال سيكون الإسلام بسبب تأييده المطلق للمقهورين والمظلومين أكثر جاذبية، فهذا الدين المطرد الانتشار على المستوى العالمي هو الديانة الوحيدة المستعدة للمنازلة والنضال)(١).

فهذا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار بما يكنه الأعداء لبلاد الإسلام عموما، مما أرانا منه الزمان كثيرا، والقادم أكثر وأشد إن رضينا بالحالة التي نحن فيها حاليا ولم نجهز أنفسنا تربية وتعليما وتثقيفا لمواجهة أمواج التحديات القادمة ولا محالة.

ومن آثار العولمة في السنغال خاصة – إضافة إلى ما سبق- فإنها سياسة تجعل الأغنياء يزدادون غنى ورفاهية، والفقراء فقرا وعوزا، هذا ما نلاحظه في سياسة الدولة ما أدى إلى احتكار أموال الدولة لأناس معينين، وتبذير فاحش في ممتلكاتها، بتعيين مناصب وزارية وحكومية أخرى ليست بالضرورة ولا حاجة للبلد إليها، ولكن فقط لأن هؤلاء من حلفائهم وأحبائهم ولابد من إيجاد مناصب لهم، وبالتالي يكلفون الدولة فوق طاقتها ما تدفعها إلى تحمل الديون تثقل كواهلها، بالإضافة إلى فتح باب السرقة والتلاعب بأموال البلاد على مصراعيها أمام هؤلاء دون متابعة ولا محاكمة، بل تتناول في وسائل الإعلام أياما ثم يصبح الأمر كأن لم يكن بالأمس، في حين تعاني الدولة مشكلات أساسية في بنيتها التحتية، من قلة مياه الشرب، وانقطاع كهربائي شبه يومي، وانتشار البطالة بين الشباب، وغلاء الأسعار، وخصوصا في المواد الأساسية منها، وقلة الأدوية والأدوات في المستشفيات، كما أن بعض الأحياء في ضواحي العاصمة يعيشون وينامون في الفيضانات التي داهمت بيوتهم منذ سنوات عدة ولم يجدوا حلا لها إلي يومنا

(١) هذه هي العولمة، أ.د. محمد توهيل عبدا سعيد، ص:٧٩-٨٠، نقلا عن:-Robert Die Kommende Anarchie,in:letter Magazinn,Berlin 1996. باللغة الألمانية، مكتبة الفلاح الكويت، ط:١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

هذا، وكل هذه المشاكل وغيرها يعانيها البلد ثم لم نر أي اهتمام أو تحرك جدي من الحكومة، بل ينشغلون بتنظيم المهرجانات واللقاءات والأسفار خارج البلاد تكلفهم أموالا طائلة، ثم يشجعون الشباب على اللهو واللعب وإضاعة الأوقات في ما لا فائدة فيه، ولكن ليجدوا هم فرصة لتنفيذ بعض برامجهم، ولتسلية الشعب – الذي غالبيتهم شباب كما سبق، وفي حاجة إلى إيجاد فرص العمل لهم لتتحسن أوضاعهم الاجتماعية – بتلك الأمور، ليبقوا نائمين في سبات عميق حتى يتمكنوا هم من مواصلة سيرهم وتلاعبهم بحق الشعب.

هذا مما خلفته العولمة للبلد، وزاد الطين بله وجود كثير من زعماء الدين الذين لهم مكانة في المجتمع وكلمتهم لها آذان صاغية بين أو ساط الشعب السنغالي إلا أنهم يفضلون السكوت وملازمة الصمت عن كل ذلك مع أهميته، ورغم إمكانية بل وسهولة اتصالهم بالمسؤولين الكبار في الحكومة، ولكن لا يتطرقون إلى تلك القضايا الحساسة، وغيرها مما يشغل بال كل مثقف ذي وعي ويقظة، كما سكتوا عن الفساد الخلقي والسلوكي في أوساط بعض الشباب من الانحرافات الخطيرة التي نسمعها يوميا في وسائل الإعلام كقضية الشذوذ الجنسي مثلا التي بدأت تتسع شيئا فشيئا في البلد، مع كل ذلك لا تسمع منهم من يتناول الموضوع ويبين موقف الإسلام من تلك التصرفات والسلوك إلا قليلا منهم، الشيء الذي يدعوا إلى الاستغراب مع أنهم هم المسؤولون أمام ربهم عز وجل لإبلاغ دينه وشريعته إلى من بايعوهم على أنهم سيمتثلون أوامرهم ويجتنبون نواهيهم، فلما ذا لا يوجهونهم ويرشدونهم إلى اتباع الحق واجتناب الباطل، بتطبيق الشريعة الإسلامية عمليا؟!

هذا واقعنا الذي نعيشه في السنغال حاليا، وهو في الحقيقة واقع مؤلم ومؤسف نسأل الله تعالى العافية والسلامة.

المطلب الأول

تعريف الغزو الفكري، وتاريخ ظهوره

أولا/ التعريف:

الغزو الفكري؛ عرفه عبد الرحمن الميداني بقوله: (عنوان أطلق على المخططات والأعمال الفكرية، والتثقيفية، والتدريبية، والتربوية، والتوجيهية، وسائر وسائل التأثير النفسي، والخلقي، والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي، التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلا كليا أو جزئيا، وتجزئتهم، وتمزيق وحدتهم، وتقطيع روابطهم الاجتماعية، وإضعاف قوتهم، لاستعمارهم فكريا ونفسيا، ثم استعمارهم سياسيا وعسكريا واقتصاديا، استعمارا مباشرا أو غير مباشر)[1].

ثانيا/ تاريخ ظهوره:

فإن ظاهرة الغزو الفكري ليست وليدة اليوم، بل يرجع تاريخ بدايته منذ فجر الإسلام أو قبله بيد اليهود الحاقدين الظالمين، والتاريخ خير شاهد على ذلك، ولم يخف علينا ما لعبه اليهود من دور في "يثرب" لإشعال نار الفتن بين قبيلتي الأوس والخزرج قبل الهجرة النبوية، وكذلك ما كان من مواقفهم المعروفة مع المعاهدات والاتفاقيات التي جرت بينهم وبين المسلمين في المدينة المنورة بعد وصولهم إليها مهاجرين بأمر ربهم، ممثلة في القبائل اليهودية التي كانت وقتئذ في المدينة وهم بنو قينقاع، وبنو قريظة،

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص:٢٥، دار القلم-دمشق- ط:٨، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

وبنو نضير، ما من عهد بينهم وبين المسلمين إلا وبادروا بنقضه وطرحه عرض الحائط، ما أدى إلى إجلائهم جميعا من المدينة اتقاء من شرهم، وتأمينا للحياة الداخلية في المجتمع الإسلامي(١).

وكل ذلك يدخل في محاولاتهم بتفريق الناس وتشتيت شملهم لفرض السيطرة عليهم ماديا ومعنويا ثم تعبيدهم لاحقا كما يزعمون، انطلاقا من عقيدتهم الفاسدة بأنهم شعب الله المختار، وغيرهم بمثابة حمار، خلقوا على صورة الإنسان ليخدموا اليهود! بناء على هذه العقيدة يقتلون ويغتالون من يريدون بأبشع صور دون رحمة ولا شفقة.

ولما فشل العدو(المستعمر) في القضاء علي الإسلام وقلع جذوره في السنغال، الأمر الذي بدأ فيه منذ أيام الاستعمار باستخدام كل ماله من قوة من الحديد والنار، حتى يئس من الوصول إلى الغرض المنشود بهذا الأسلوب الوحشي، حينئذ لجأ إلى أسلوب آخر لا يقل عن الأول خطرا وشرا، بل يعتبر هذا الأخير أشد وأنكي، وما هو هذا الأسلوب يا ترى؟.

فقد أقدم العدو لتحقيق تلك الأهداف دون ملل ولا ضجر بغزو العقول والأفكار لمحاولة إخراج الناس وإبعادهم عن الدين أو زعزعة عقيدتهم وإحلال الشكوك على الأقل في نفوسهم نحو الدين الإسلامي الحنيف، ليصبحوا مسلمين اسما فحسب! وذلك بوسائل متعددة ومتنوعة؛ لأنهم يدرسون الشعوب ويعرفون جيدا ما يناسبهم من الوسائل لتحقيق أهدافهم، وهذه السياسة والخطة ليست وليدة اليوم، بل منذ بداية الإسلام، حيث كانوا يسلكون نفس المسلك مع المسلمين في المدينة المنورة، أيام الرسول عليه الصلاة والسلام بالدخول في الإسلام نفاقا، ثم الخروج مباشرة بهدف إيجاد التشكيك وقلق واضطراب في قلوب المسلمين، كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن الميداني حين قال: (فقد سجل التاريخ

(١) انظر: مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حبنكة، ص: ١١٣فما بعدها، دار القلم، بيروت، ط:٤، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

أنه اجتمع عبد الله بن ضيف، وعدي بن زيد وهما من يهود بني قينقاع، والحارث بن عوف وهو من بني يهود بني قريظة، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه، ففضح الله مكيدتهم هذه وأنزل فيهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١][١].

ومن المعروف أن الغزو العسكري لبلد آمن يهدف بالدرجة الأولى إلى الاستيلاء والسيطرة على الأرض والتراب...وقد يكون وراءه أهداف أخرى سياسيا أو اقتصاديا.. بينما الغزو الفكري يهدف بالدرجة الأولي إلى أشرف ما في الإنسان وهو العقل والعقيدة، ومع ذلك لا يتنبه له كثير من المسلمين ولا يتحسسون بخطورة الأمر[٢].

(١) مكايد يهودية عبر التاريخ، المصدر السابق، ص:٥٤.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، ص: ١١، دار الوفاء، المنصورة، ش.م.م، ط: ٣، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

المطلب الثاني

وسائل الغزو الفكري في السنغال وأهدافه

أولا/ الوسائل:

قد عرق العدو ما ذا يريد من هذا الشعب وكيف يصل إلى ذلك، فوضع خطة استراتيجية في تكوين جيل من أبناء الشعب يقومون بإكمال المشروع بعد رحيلهم كما يقول الخليل النحوي: (وسنجد أن الاستعمار وهو يجتاح الأرض الإفريقية ويغزو عقول سكانها، كان يسعي إلى نشر ديانته ولغته وتقاليده الحضارية إجمالا، وقد بلغ الاستعمار من أهدافه ما مكنه من تكوين جيل من أبناء المستعمرات يحمل رسالة المستعمر بعد رحيله ويرعي ميراثه بنجاح)[1].

وبالفعل فقد نجح في هذا التخطيط إلى حد بعيد، فهؤلاء اليوم يلعبون نفس الدور الذي كان يلعبه المستعمر فترة وجوده أو أشد مع الأسف، ويتم ذلك عبر وسائل متعددة ومتنوعة أذكر أبرزها، وهي:

١- مجال التعليم: فهو أرض خصبة للغزو الفكري؛ لأن مرحلة التعليم من أهم مراحل الإنسان في حياته، ولذلك لم يفت العدو استخدام هذه الوسيلة في مرحلتين؛ مرحلة التخلية ثم التحلية، أي تخليتهم من العقيدة الإسلامية والثقافة الإسلامية، وكل ما له صلة بالإسلام، ثم تحليتهم بالثقافة الغربية خيرها وشرها.

(١) إفريقيا المسلمة، مصدر سابق، ص: ٩٩-١٠٠.

٢- وسائل الإعلام بشتى أنواعها: فقد أدرك أعداء الإسلام مدى خطورة وسائل الإعلام، ومالها من قوة التأثير في النفوس سلبا أو إيجابا، وخصوصا الأقمار الصناعية المشحونة بجميع أنواع الأفلام الخليعة المخزية التي أفسدت من الشباب والشابات ما لا يمكن إصلاحه إلا بجهد كبير وتوفيق من الله، حيث يجرون وراءها بهدف إشباع غرائزهم ويبقون على الشاشات والإنترنت لساعات طويلة، كما أشغلتهم عن التفكير الإيجابي والبحث عن الحلول للمشاكل القائمة في المجتمعات الإسلامية، مما ينفعهم ويضمن لهم مستقبلا ناجحا زاهيا، وكذلك بالأخص تعتبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) من أخطر تلك الوسائل التي انتشرت مؤخرا بشكل واسع في كثير من بقاع الأرض، واقتحمت البيوت وخرقت الحواجز الأمنية والأسرية؛ إلا أنها سلاح ذو حدين، وما علينا إلا أن نحسن الاستخدام.

٣- المال: وما أدراك ما المال؟ وهو سبب رئيسي في استقامة كثير من الأفراد والمجتمعات أو انحرافهم، كما أن نفس الإنسان مجبولة بحبه والحرص على جمعه وحبسه مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨].

ولما علم العدو ذلك وحالة البلد كما تعلم، اتخذه من أهم الوسائل لمحاربة الإسلام بإفساد الأخلاق والسلوك بين الشباب، ومن أقرب الأمثلة على ذلك ما مرت به البلاد مؤخرا من ضجة حول أفراد ضالين أقدموا بكل جرأة إلى ممارسة شذوذ الجنس التي سأرجع إليها قريبا.

٤- المرأة: مصداقا لقوله ﷺ كما رواه البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد (**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**)[١]، فقد أفسدوا في أوساط الشابات ما لا يعلمه إلا الله،

(١) رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري (٨/٧) ورقمه:٥٠٩٦، وعند مسلم (٢٠٩٧/٤)، ورقمه: ٢٧٤٠.

فهم يركزون جهودهم في الأطفال والنساء والشباب لعلمهم بأنهم هم المستقبل لأي بلد، حيث صيروا كثيرا منهن كاسيات عاريات، لا نصيب لهن من الحياء إلا من رحم الله؛ إنه لأمر مؤسف للغاية!.

هذه من أبرز الوسائل التي حضرني من ملاحظاتي بفضل التعايش والاحتكاك مع هذا الشعب العريق.

ثانيا/ الأهداف:

أما الأهداف التي تكمن من وراء الغزو الفكري فتتلخص في أمرين أساسيين، وهما:

١- يرمي الغزو الفكري إلى تعطيل مفعول الجوهرين الأساسيين في الإنسان وجعلهما أثرا بعد عين، لإدراكهم أهميتهما في الإنسان، بل بهما تقوم حياته ووجوده وهما: (العقل والعقيدة).

٢- الهدف الثاني هو إخراج المسلم من دينه الحنيف وإدخاله في النصرانية أو يبقي بلا دين.

أما مدى نجاح ذلك المشروع الاستعماري، المفوض لأفراد من أبناء البلد المجهزين للقيام به نيابة عن المستعمِر، فسيتضح في النقاط التالية التي تتمثل في آثار الغزو الفكري في السنغال.

المطلب الثالث

نموذج من آثار الغزو الفكري في السنغال

لقد ترك الغزو الفكري الذي شنه العدو على الشعب السنغالي بصماته الواضحة، يمكن ملاحظتها في المجالات التالية: العقدي والثقافي والاجتماعي والسلوكي...

وسأعطي القارئ الكريم فكرة وتصورا واضحا حول هذا التأثير، وموقف بعض أفراد المجتمع منه، أكتفي في ذلك بتقديم حدثين مهمين مر بهما البلد في الآونة الأخيرة، وما اكتنفهما من ملابسات ورود الأفعال، ثم تحليل تلك المواقف من الشعب السنغالي.

١- **ظهور شذوذ الجنس**: (homosexual) لدى بعض الشباب، الشيء الذي شهده البلد قبل أشهر، وغني أن نقول إنها محرمة في الإسلام؛ ولكن حتى الإنسان السليم بغض النظر عن انتمائه الديني يرفضها في ضميره وإنسانيته قبل كل شيء، وهو- طبعا- مرفوض جملة وتفصيلا لدى الرأي العام في المجتمع السنغالي؛ لأنه يتنافى مع الدين الإسلامي – دين الأغلبية الساحقة في السنغال – ومع الأخلاق والسلوك السوي، ومع القيم الأصيل في هذا المجتمع.

ومع ذلك فإن العدو يشجع عليها ضعفاء النفوس إلى ممارستها باستخدام وسيلة"المال" ليفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، وليجعلوا الناس بهائم أو أضل...

وقبل بضعة أشهر ظهر بعض الشباب ممن غرهم إبليس، وبث في نفوسهم وعقولهم سموم الغواية والضلال بممارسة هذه الفِعلة الشنيعة، فكان موقف الشعب السنغالي موقف الرجل المؤمن الغيور بدينه، فقاموا بضرب أحدهم حتى الموت، ولما دفن في المقبرة لم يرض أهل الحي بذلك فنبشوه إلى مكان آخر.

كما طالبوا من الحكومة بضغط شديد على إيقاف الباقين، والحكم عليهم، فنظموا إثر ذلك مظاهرات حاشدة تعبيرا عن رفضهم التام مثل هذه التصرفات غير أخلاقي وغير إنساني في مثل هذا البلد الذي غالبيته مسلمون، وشارك في تلك المظاهرة شخصيات كبار منهم بعض أئمة المساجد في العاصمة داكار وغيرهم، خوفا من انتشار هذا السلوك الممقوت الدخيل مؤخرا بين المجتمع السنغالي، ومنع تسربه إلى الجيل الناشئ، وبالفعل تم إلقاء القبض على ٩ منهم، وحكم عليهم بالسجن لفترة من الزمن، ولكن تم الإفراج عنهم بعد أيام فقط من الإيقاف بسبب ضغوط داخلية وخارجية مكثفة من بعض الدول الغربية، ومن بعض المنظمات العالمية، مثل "منظمة حقوق الإنسان"– على حد قولهم– التي لعبت دورا كبيرا لإطلاق سراحهم، بل ومنحهم حرية كاملة لممارسة مهنهم هذه دون أية مضايقة، فأرسلت طلبا باسم أمينها العام إلى الأمم المتحدة ليفتح الباب أمام هؤلاء الشرذمة من البشر، فوافق الأمين العام للأمم المتحدة" **بانكي موني**" على ذلك بعد إجراء التصويت في المجلس، حيث صوتت ٦٦دولة على الموافقة من بين ١٩٢ دولة في العالم[١].

ولما طالب بعض الدول الإفريقية لفتح الباب على مصراعيه أمام هؤلاء الشواذ، فقد صوت بالموافقة ٥ دول من بين ٥٣ دولة التي يتكون منها اتحاد الأمم الإفريقي، تلك الدول الخمسة هي: **غابون، غينيا بيساوو، إفريقية الوسطي، رأس الأخضر، جزر مور سس**[٢].

فقد اتضح مما سبق أمران:

أ- حرص أعداء الله – عليهم من الله ما يستحقون– على نشر الفساد في الأرض وتدمير الأخلاق والسلوك الإنسانية.

(١) انظر: صحيفة البلد للأخبار، صحيفة يومية تصدر في السنغال، العدد: ٥٨ الجمعة ٢٠٠٩/٣/٤م. (rewmi quotidian d,imformation general) n: 58, 4/3/2009

(٢) صحيفة البلد، نفس المصدر.

ب– وعي السنغاليين وتيقظهم من المكائد العدو وغيرتهم على دينهم الإسلامي رغم قلة الإمكانية للدفاع عنه؛ لأن القوة المسيطرة في البلد على يد العلمانيين، ونظام الحكم علماني رغم كونهم الأقلية مع الأسف الشديد.

٢– ظهور الماسونية:

وهي **لغة**: البناؤون الأحرار، **واصطلاحا**: منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد.

أما تاريخ ظهورها فقد أسسها "**هيرودس أكريبا**" المتوفى ٤٤م، وهو من ملوك الرومان بمساعدة معاونيه من اليهود، كما أن أهم عقائدهم الكفر بالله والرسل والملائكة وجميع الغيبيات، ومحاربة الأديان، والعمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها، ونشر الإباحة بين الشعوب وبث النزاع والصراع بين الأمم وغير ذلك[١].

وهي من أخطر التيارات على البشرية عموما كما اتضح ذلك في أقوالهم وبروتوكولاتهم التي أورد منها كثيرا عبد الرحمن الميداني في كتابه "مكايد اليهود عبر التاريخ" ومما أورده فيه:

- (ويجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا أن لا نألو جهدا في القضاء على مظاهرها).

- (أننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود).

(١) الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص: ٥١٠ فما بعدها.

- (نحن الماسون لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان؛ لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا، ولابد من موتها أو موتنا، ولن يرتاح الماسون إلا بعد أن يقفلوا جميع المعابد)[1].

وهذا غني عن البيان والتوضيح بأن الماسونية عدو الأديان والإنسانية غير اليهودي على السواء، وهم جاهدون ليلا ونهارا لإذلال الشعوب وإهلاكهم بكل وسيلة ممكنة انطلاقا من نظرية "ميكافيلي" [2] المعروفة (الغاية تبرر الوسيلة).

لو نظرنا تاريخ هذه الحركة الهدامة والفكر الصهيوني في السنغال لوجدنا أن لها جذورا تاريخية عريقة في هذا البلد؛ لأنها وصلت إليها لأول مرة عام ١٨٧٢م في مدينة "سان لويس" شمال البلاد، وذلك بعد ميلاد السيد "**بليس جاج**"[3] ببضع سنوات، الشخص الذي يعتبر من أوائل معتنقي هذه الفكرة من أبناء البلد، وأول نائب إفريقي أسود في مجلس النواب الفرنسية[4]، المدفون قبالة مقبرة داكار بعدما رفض المسلمون دفنه فيها، كما رفض النصارى أيضا دفنه في مقبرتهم.

ولهذه الحركة نشاط كبير وخفي في السنغال، وهناك تسع جمعيات تعمل في فرنسا بهدف نشر وخدمة هذه الحركة، وخمسة منها تعمل في السنغال بصفة خاصة وهي:

(١) انظر: مكايد اليهود عبر التاريخ، مصدر سابق، ص: ٢٣٧.

(٢) هو نيقولا ميكافيلي، إيطالي، ولد في "فلورونسا" وعاش ما بين عام (١٤٦٩-١٥٢٧م) كان أبوه محاميا متوسط الحال، حصل على وظيفة صغيرة في حكومة فلورونسا سنة ١٤٩٨م كما تنفل في وظائف بعثات دبلوماسية ذات أهمية ثم تفرغ أخيرا للكتابة والتأليف، ومن أشهر كتاباته: كتاب "الأمير" و"المطارحات" و" فن الحرب" انظر: كواشف الزيوف لعبد الرحمن حبنكة، ص:٣٧٩، دار القلم دمشق، ط:٣، ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

(٣) بليس جاج: سنغالي الجنسية، عاش ما بين عام ١٨٧٢-١٩٣٤م، وهو أول نائب إفريقي أسود عين كعضو في البرلمان الفرنسية عام ١٩١٤م، كما كانت العادة في تلك الفترة باختيار بعض النواب من الدول الإفريقية المستعمرة كأعضاء في ذلك البرلمان، ناضل هذا الرجل فترة وجوده لدى البرلمان الفرنسي حتى أقنعهم في منح الجنسية الفرنسية لجميع سكان البلديات السنغالية الأربعة في ذلك الوقت وهي داكار، وسان لويس، وغوري، وروفسك.

(٤) انظر: مجلة الآفاق الجديدة (novel horizon) مجلة أسبوعية تصدر كل جمعة في السنغال، العدد: ٦٦١،بتاريخ ٢/٢٧ – ٣/٥ /٢٠٠٩، ص: ١٠-١١.

١- Federation francaise du doit humain (f.e.d.h)

٢- (g.l.f)

٣- (g.l.f.f)

٤- (g.l.t.so)

٥- (g.o.d.f)

وهذه الحركات تعمل بجدية، وبشكل خفي جدا حتى لا يكاد كثير من أبناء المجتمع يتنبه لهم، ويعملون في مجالات الإغاثة بواسطة "نوادي ليونس"، و "روتا ري" وغيرها، وبتركيز شديد في أوساط الكوادر والنساء، ونشطون في بناء العيادات والمستوصفات ونحوها، وهم متعاطفون فيما بينهم، كما يزكي بعضهم بعضا عند الحاجة مثل الرغبة في الترقي إلى المناصب العليا في السلطة مثلا، وفي البنوك، وفي مجال الاستثمار، وفي الإعلام، وفي الثقافة... ويستولون في الوقت الحاضر مناصب مهمة ومرموقة في الحكومة السنغالية.

ويعتبر السنغال من أهم مراكزهم في منطقة غرب إفريقيا، كما يشرفون على مناشط مختلفة في البلد[١].

وهذا يدل على وجودهم في أرض السنغال، واهتمامهم بإيصال رسالتهم إلى شعبه، فما يجب على هذا الشعب نحو هذه الحركة وما موقفهم منها؟ هذا ما سأجيبه في المطلب التالي:

(١) انظر: أضواء على السنغال، مصدر سابق، ص:٧١، ومجلة الآفاق، المصدر السابق، ص: ١١-١٢، بتصرف.

المطلب الرابع

موقف الشعب السنغالي من التيارات والحركات الهدامة

الشعب السنغالي بالأغلبية الساحقة يرفضون مثل هذه الحركات والمنظمات المعادية أو المحاربة للإسلام.

ومما يؤكد ذلك موقف كثير من سكان العاصمة من تمثال الرئيس **عبد الله واد** المثير للجدل، الذي نصبه فوق جبل مطل[1] على مطار داكار؛ وهو عبارة عن رجل قوي البنية، يضم زوجته العارية بيده اليمني، ويرفع بيده اليسرى طفلا صغيرا[2] رمزا للنهضة الإفريقية كما يقولون، وهل النهضة تكون بنصب التماثيل وتشجيع الناس على اللهو واللعب؟ أم بالعمل والجدية والتفاني لخدمة الوطن، وتربية الأجيال عليها؟

وأنفق في بنائه ١٢ مليار فرنك كما يقولون، وجاء هذا إثر إعلان هذا الرئيس قبل فترة بانتمائه إلى الماسونية سابقا إلا أنه تراجع عنها – على حد قوله– مما لا يصدقه الشعب ولا يقبله، لعلمهم بأن الخروج من هذه الحركة بعد الدخول فيها غير مقبول؛ لأنه متناقض مع شروط الالتحاق بها كما هو معروف، بالإضافة إلى ما يعرفونه أن من معتقدات ومميزات الحركة الماسونية نصب التماثيل بأنواعها وأشكالها المختلفة.

---

(١) يسمي هذا الجبل (ماميل) (mamelle) معناه باللغة الفرنسية: الثدي، وهو أحد الجبلين المتقابلين في منطقة مطار داكار الدولي، يصل ارتفاعه إلى ٥٠ متر تقريبا، وهو جبل بركاني مما أثار الخوف في أوساط الناس من انفجاره في يوم من الأيام، وثانيهما يحمل برج المطار، وسميا بذلك لتشابههما بثدي المرأة.

(٢) انظر: الصورة في ملحق رقم (١٣).

هذا و قد أحدث ذلك ضجة كبيرة في طول البلاد وعرضها لما تناولتها الصحف والإذاعات باهتمام كبير مما يؤكد رفض سواد الأعظم من المجتمع السنغالي تلك الحركة ونحوها من الحركات والأفكار المعادية للإسلام، كما قام بعض زعماء الأحزاب والسياسيين وكبار المسؤولين بتنظيم مظاهرة حاشدة قبل تدشين هذا التمثال بيوم أي بتاريخ: ٢٠١٠/٤/٣م ضد هذا الشيء الذي يعتبرونه فسادا عريضا وتبذيرا لأموال الدولة بغض النظر عن جوازه وعدمه، إذا نظرنا إلى ما وصلت إليه البلاد من معاناة ومشكلات فكيف تنفق تلك الأموال الطائلة في مثل هذا؟!.

وبالمقابل يستحسنه البعض ويؤيده؛ لأنه ينظره كمكسب تجارى، ومصدر اقتصادي، ومقصد سياحي لصالح الدولة، ولأنه تراث إفريقي سنغالي، لأنه ليس مجرد التمثال فحسب، ولكن الجبل الذي يحمله منحوت وبداخله صالات وغرف للأفراح، والسياحة، والرقص...ما سيعود بأموال كثيرة لأصحابها بالدرجة الأولى، وللدولة بالدرجة الثانية.

وعلى هذا يمكن تصنيف الشعب السنغالي نحو هذا التمثال إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم يعارضون؛ لأنه يتنافي مع الإسلام سواء عبد أم لم يعبد.

٢- قسم يؤيدون؛ لما يمكن كسبه منه من السياح والزوار والمستأجرين.

٣- قسم يفصلون في الأمر؛ يرون أنه إذ ا لم يعبد فلا شيء فيه، أما إذا عبد فهو صنم وحرام.

ولاشك أن فيه تبذيرا لأموال الدولة؛ لأن هناك احتياجات أشد وأهم من قطاعات مختلفة، كمشكلة الكهرباء التي أصبحت تمثل أكبر مشكلة يعانيها الشعب السنغالي لفترات طويلة، حيث لا يمر يوم كامل بدون انقطاع التيار الكهربائي في مكان ما، ومن المعروف أن أغلب الأعمال في قطاعات

مختلفة يعتمد على الكهرباء، بالإضافة إلى احتياج الناس إليها في البيوت والمستشفيات وغيرها، فكم يقدر من خسائر مادية وربما بشرية تنتج عن هذه المشكلة لاعتماد بعض المستشفيات عليه اعتمادا كليا؟.

كما أن هناك عجزا كبيرا لدى الدولة في توفير الاحتياجات اللازمة والضرورية للشعب من الطعام والدواء والغاز والبنزين...فكيف تنفق تلك الأموال الطائلة مع كل ما سبق في تمثال تنسب إلى رئيس الدولة أو نسبة مئوية عالية من فوائده يرجع إلى حسابه كما صرح بذلك، وهو المسئول الأول للشعب في مراقبة الأحوال والأوضاع؟!.

المطلب الأول

بداية التنصير في السنغال

يرجع تاريخ بداية التنصير في السنغال إلى القرن الخامس عشر للميلاد، وفي عام ١٤٤٤م بالتحديد، حين وصل الكشافون من البرتغاليين إلى جزيرة "غوري" السابق ذكرها، وهناك أصدر البابا "مارتين الخامس" أوامره بدعم الكشافين والتعاون معهم في تنصير السنغاليين، وانتهج نفس المنهج البابا "نيكولا الخامس" و"الكسندر السادس" فباشر البرتغاليون العمل في المراكز التجارية التي كانت آنذاك في مدينة "رفسك" و"جوال" و"برتدال" و"غوري"، كما أقيمت أول كنيسة في "غوري" عام ١٤٨٤م[١].

وبعد ذلك تتابعت الإرساليات التنصيرية جماعيا وفرديا في مختلف أنحاء البلاد، وأنشأ كثير من الكنائس كما في "سانلويس" وداكار و"كاولاخ" وغيرها.

ومن المعروف أن رجال الاستعمار كانوا علمانيين من الذين ينكرون الدين ولا يرون له أي دور في الحياة العامة، ولكن لمصالح مشتركة بينهم وبين المنصرين تكاتفوا وتعاطفوا بعضهم البعض ليحقق كل منهم هدفه، وكان الطابع الصليبي واضحا في الحملات الاستعمارية رغم محاولات تمويهه، وكانت جيوش الاستعمار تمهد الطريق باستخدام القوة أحيانا أمام الإرساليات التنصيرية، كما يقوم المنصِّر بدوره بتعليم الأطفال وتثقيفهم ثقافة غربية[٢].

كما عرفنا أن زوجات رؤساء هذه الدولة منذ الاستقلال إلى الآن نصرانيات فرنسيات، ولو كان الرئيس الثاني والثالث (**عبد ديوف وعبد الله واد**) مسلمين، وهؤلاء النسوة في مرتبة دجاجة تلعب دور الديك —كما يقال – في شؤون البلاد عموما، وفيما يخدم عقيدتهم خصوصا، لذلك لم يخف على أحد دورهن في دعم تلك المنظمات التنصيرية وتعاطفهن معهم في جميع مواقفهم وأنشطتهم المتعددة والمتنوعة.

(١) أضواء على السنغال، مصدر سابق، ص: ٦٧-٦٨.

(٢) إفريقيا المسلمة، مصدر سابق، ص: ١٠١،بتصرف.

المطلب الثاني

أهم مجالات الأنشطة لدى المنصِّرين في السنغال

أهم مجالات الحركة التنصيرية في السنغال تتركز فيما يلي:

١- **التعليم**: لقد تنبه المنصِّرون في وقت مبكر إلى كون وسيلة التعليم من أهم وسائل نشر عقيدتهم المحرفة، كما تنبهوا لأهمية مرحلة الطفولة في حياة الإنسان، ولذلك ركزوا كثيرا من جهودهم في تربية الأطفال الصغار وتكوينهم في أنسب الأوقات من أعمارهم التي هي هذه المرحلة استعدادا لإدخالهم في النصرانية وجعلهم دعاة إليها، ففتحوا مدارس ومعاهد أهلية، ومؤسسات تعليمية وتكوينية بشكل واسع في جميع مناطق البلد، أو في معظمها، مصداقا لقول أحدهم "**جون موت**" (إن الأثر المفسد للإسلام يبدأ باكرا جدا... ومن أجل ذلك يجب حمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغ سن الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية)[٣].

وهذه المدارس والمؤسسات في السنغال تتمتع بعناية من الحكومة أكثر من غيرها، كما تستلم من المساعدات الحكومية المخصصة لمدارس السنغال الأهلية بالحظ الأوفر، قد يصل إلى ٨٠% أو أكثر من مجموع تلك المساعدات المذكورة، كما لاحظ وزير التربية الوطنية "السيد إبديرتيام" الذي كان يطمع

في إصلاح التعليم العربي والإسلامي في المدارس السنغالية وتحسينها مما أدي إلى استقالته عام ١٩٨٨م على حد قول النحوي[٤].

---

(٣) إفريقيا المسلمة، خليل النحوي، نفس المصدر، ص: ١٠٢، نقلا عن v.monteil: idem.p.246

(٤) انظر: إفريقيا المسلمة، مصدر سابق، ص: ١٠٤.

فلقد اشتهرت مدارسهم بجودة التعليم وحسن التنظيم مما يدفع كثيرا من المسلمين إلى رمي أفلاذ أكبادهم فيها مع الأسف الشديد، جهلا منهم بخطورة هذا الفعل، لأن مرحلة الطفولة من أخصب مراحل الحياة كما سبق الإشارة إليه، ولا يدرون أن من بين المدارس الإسلامية المنتشرة مالا تقل مستوي عن هذه المدارس المدمرة لعقيدة الطفل ومستقبله الإسلامية.

٢- الصحة: فهم يركزون أيضا في إنشاء المستشفيات والعيادات والمراكز الطبية في المدن والقرى، كما يقومون بتنظيم قوافل طبية في القرى والأماكن النائية فينة بعد أخرى، يتخللها - بالطبع- جهود دعوية بحكمة ودقة، وأهم مستشفيي في مدينة "تياس" تابع لهم وهو "**سين جان د جاه**" بل يعتبر من أهم المستشفيات في السنغال، من حيث الخدمة وتوفر الأجهزة اللازمة والضرورية، وفيه كامل التجهيزات الطبية، وكل الأقسام الطبية.

ومن الملاحظ أن هذا المستشفى لا يرحب بالمسلمين للعمل فيه، رغم وجود بعضهم، إلا أن ذلك من باب المجاملة لا غير؛ ومما يؤكد ذلك موقفهم من امرأة مسلمة متحجبة كانت تعمل لديهم ولكنهم وضعوا أمامها خيارين: أن تترك الحجاب، أو تترك العمل من المستشفى! وبتوفيق من الله آثرت ترك العمل، مع أن المسلمين في المستشفى لم يحركوا ساكنا وهم على علم تام بالقضية[٥].

٣- الإغاثة: من المعروف أن المنصرين دائما يستغلون الكوارث الطبيعية، والفقر والأمراض ونحوها، لجلب الناس، لأنهم في تلك الحالات ضعاف النفوس في الغالب، وفي أمس الحاجة إلى من بجانبهم لتخف وطأة المصيبة ولهب الجحيم الذي حل بهم.

(٥) أجريت المقابلة مع هذه الفتاة في مدينة "تياس" لتزودني معلومات حول هذا المستشفى الذي كانت موظفة فيه لفترة طويلة، بتاريخ ١٥/شوال/ ١٤٣١هـ.

وفي المقابل مع الأسف فإن هؤلاء المساكين غالبا لا يرون ولا يسمعون أحدا من إخوانهم المسلمين ليقدموا لهم شيئا من المعونات والحاجات الضرورية، بل حتى من يطمئنهم ويشاطرهم في مصائبهم ولو بالقول والتعاطف، ولذلك ينتهز العدو هذه الفرصة لتحطيم نفسية هؤلاء المساكين في تلك الحالات الصعبة، والمواقف الحرجة، كما يحكي لي أحد سكان قرية من القرى المجاورة لمدينة "تياس" حيث قال لي: أن فريقا من المنصرين جاءوا إليهم بمساعدات مادية مهمة – وكانوا في حاجة ماسة إليها– ثم قالوا لهم أين من تدعون بأنهم إخوانكم – يعني المسلمين– لا ترونهم هنا كلا! بل نحن إخوانكم في الحقيقة.

لاشك أن هذه خطوة خطيرة للغاية، وهي واحدة من بين عشرات الحالات المشابهة لها، ما يجعل دائرة التنصير تتسع في بلاد المسلمين وهم عن أعدائهم غافلون، ولما يجب عليهم نحوهم مهملون كما يقول عبد الرحمن حبنكة في كتابه" أجنحة المكر الثلاثة [(٦)].

٤– بناء الكنائس: فهم حريصون على بناء الكنائس في المناطق التي لهم فيها وجود ولو بعدد قليل من مجموع سكانها، لذلك ترى بعض الكنائس لا تفتح إلا نادرا، وربما لا يردها إلا قلة، ولكنهم يظهرون الناس بأن لهم وجود في تلك المناطق، كما يحرصون بمرافقة أولادهم إليها لتثبيت قلوبهم وتعويدهم علي ذلك، بخلاف كثير من المسلمين حين يذهبون إلى المساجد، قلما تجد من يمسك بيد ابنه وهو يذهب إلي المسجد، مع ما لهذا من تأثير قوي في نفس الطفل، حيث يتمرن في هذه العبادة المهمة.

وفي السنغال عشرات من منظمات غير حكومية وبعضها عالمية، تعمل في مجالات مختلفة، ولكنها تصب في قالب واحد، وهو محاربة الإسلام، بمحاولة تنصير أبناء البلد إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وإلا

(٦) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة، ص:٦٧، دار القلم دمشق، ط: ٨، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

فإبعاد هم عن دينهم الحنيف دين الإسلام، وتجريدهم من كل ما له به صلة، من سلوك وأخلاق وعبادة الله وحده، أما الوثني فيحرصون على أن يبقي في وثنيته إن لم يمكن تنصيره، المهم لا يدخل في الإسلام، هذا الدين الذي يهدد وجودهم ويقتحم بيوتهم المحكمة رغم أنوفهم، فيسلم أبناؤهم يوميا على أيادي أئمة المساجد.

والمنصرون يعملون في الساحة بواسطة تلك المنظمات المختلفة والمتعدد، ومنها:

١- "**كارتاس**"، وتعتبر أكبر منظمة إغاثية مسيحية في السنغال.

٢- "**ويسيو منديال**" (**vision mondial**) وهي منظمة عالمية، لها نشاطات قوية في طول البلاد وعرضها، وخصوصا في إقليم "لوغا"، وتعمل في مجال الصحة، و الزراعة، وتربية المواشي، عن طريق القروض، تقدمها لأهالي بعض القرى في مختلف مناطق البلاد.

ومما عايشته أنا شخصيا من جرائم هذه المنظمة بالذات في حق الشعب السنغالي، ما حكى لي أحد موظفيهم كنت أسكن معه في بيت واحد أيام دراستي في مرحلتي الإعدادي والثانوي في مدينة "لوغا" فأخبرني بأن راتب الموظف النصراني عندهم على ثلاثة أضعاف مما يتقاضاه الموظف المسلم رغم كونهما في عمل واحد، وفي مستوي واحد، ثم لم يكتفوا بذلك ولكن يقولون لهم هكذا؛ من تنصر منكم يأخذ نفس الراتب الذي يأخذه هذا النصراني من الآن!

كما أنهم يأخذون بعض أبناء الفقراء إلى فرنسا بعد تقديم بعض المبالغ المالية لوالديه، قائلين لهما بأنهم يحبونه ويريدون أن يتربى ويتعلم عندهم وبعد ذلك يرجع إليهم، فيفرح هؤلاء المساكين المغفلين بالموافقة جهلا بهدفهم ونيتهم الخبيثة في ذلك، لاشك أن هذا الولد في سن ٦ أو٧ إذا بقي لدى هؤلاء إلي سن البلوغ فلا أقول يتأثر بما لديهم من عقيدة وعادات وثقافات، ولكن أقول قلما تجد من أمثال

أولئك من يستطيع أن يعيش بعد ذلك مع أهل قريته وبين إخوانه، بل سيصبح غربيا في جسد إفريقي؛ لأنه لا يرى إلا بما ترعرع وشب فيها، هذا إن وفقه الله للعودة إلي بلده، أما الأغلبية منهم يفضل البقاء هناك ليصبح فرنسيا أسود اللون، وربما لا يرجع إلى السنغال إلا لزيارة خفيفة من باب السياحة والتنزه.

وهذا قليل من كثير مما يقوم به تلك المنظمات في هذا البلد كل حسب سياسته وأهدافه، وغالبية المجتمع – مع الأسف الشديد– في غفلة عن أمرهم.

٣– "**بلا إنترناسيونال**" (**plen international**) وغالبية نشاطهم في إقليم "تياس"، وهم لا يختلفون عمن سبق الكلام عنهم آنفا، إلا في البرامج والأنشطة؛ لأنهم يركزون كثيرا في جانب الزراعة والتجارة وتجهيز الحمامات في القرى ونحوها.

المطلب الثالث

تقييم جهود المنصرين في السنغال

إذا أمعنا النظر في جهود المنصرين في السنغال ومدى نجاحهم أو فشلهم فيها، نجد رغم كل ما ذكرت وغيرها من الوسائل الحساسة والجهود المتواصلة أنهم لم يفلحوا إلا بواحد من ثلاث:

أ- صغير يتيم بائس ليس له من يرعاه فالتقطوه.

ب- رجل جاهل مستخف بجميع الأديان من شدة الفقر والحرمان حتى ضاقت عليه سبل الحياة كلها ولم يحالفه توفيق من ربه فجذبوه إليهم بالطعام والمال.

ت- رجل نفعي بحت، يشغله الوصول إلى منصب ما من مناصب الدولة بأي ثمن كان ولو على حساب الدين، ويا لها من خسارة!

وهؤلاء - بفضل من الله عز وجل وتأييده لدينه- شرذمة قليلة، لا تكاد تسمع أو ترى منهم أحدا، بل الإسلام هو الدين السائد في هذا البلد بشكل ملحوظ وهو في ازدياد مستمر مصداقا لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦] فإذا من ناحية تنصير المسلمين في هذه المناطق فهم فشلوا فشلا ذريعا؛ لأنك لا تكاد ترى أو تسمع بتنصر مسلم مهما أغدقوا عليه من مال إلا من أشرت إليهم قبل قليل، والعكس صحيح.

أما من ناحية إبعاد المسلم عن دينه فقد نجحوا فيه إلى حد كبير، بفضل توحيد جهودهم مع الاستعمار كما سبق أن قلت، ونشاهد تأثر الشباب والشابات بثقافة هؤلاء وعاداتهم، بل وعقيدتهم، بحيث ترى استعدادهم العجيب بعيد الميلاد للمسيح عليه السلام مع نهاية كل سنة، ولا تكاد تميز بين المسلم والنصراني في ذلك، وقد ترى مسلما يعلق في رقبته الصليب، وقد لا يكون وراءه عقيدة ولكن الجهل وشدة المحاكاة وتقليد الأعمى، وهذه الظاهرة في رأيي لم تحظ بالتوعية اللازمة من الدعاة والعلماء، وكذلك موقف أولياء الأمور من الآباء والأمهات، وإلا ستختفي أو تقل وتتلاشى تدريجيا.

المطلب الأول

التعريف بالصوفية وتاريخ نشأتها

جدير بالإشارة إلى التعريف بالتصوف والصوفية، وتاريخ نشأتها باختصار قبل التطرق إلى النقاط التي أريد تناولها في هذا المبحث.

التعريف:

أولا/ الصوفية في اللغة:

اختلف العلماء في أصل اشتقاق لفظة "الصوفية" اختلافا كبيرا، فقيل من "الصوف" وقيل من "الصف" وقيل من "الصفاء" وغيرها، ولعل القول الأول هو الأصح؛ لأننا نقول عند النسبة إليه "الصوفي" وحسب القاعدة النحوية؛ لا تستقيم النسبة إلى غيرها من بقية التعريفات(١).

ثانيا/ الصوفية في الاصطلاح:

فسنجد أيضا اختلافا نوعا ما في تحديده؛ وذلك يرجع – فيما أرى- إلى اختلاف الناس من أهل التصوف وغيرهم في مفهوم (الصوفية والصوفي) لدى كل منهم.

ومن تلك التعريفات ما جاء به أحدهم في الأبيات التالية حيث يقول:

والحاصل الصوفي عالم عمل بعلمه حقيقة ولم يمل

(١) انظر: مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ، ص:٥٥٨، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان، ط: ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

فصار صافيا من الأكدار ممتلئ القلب من الأفكار

منقطعا لربه من البشر مسويا دينار عين بالمدر

كالأرض يرمي فوقها كل قبيح ولا ترى من بطنها إلا مليح

يطأها الكريم واللئيم والبر والعاصي وتستديم[١]

ومنها ما أورده شيخ الإسلام بن تيمية في المجموع حيث قال: (ثم "التصوف" عندهم له حقائق وأحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم: الصوفي من صفي من الكدر، وامتلأ من الفكر، واستوي عنده الذهب والحجر. التصوف كتمان المعاني وترك الدعاوي[٢].

أما تاريخ ظهور هذا المصطلح "الصوفي والصوفية" فيرجع إلى القرن الثاني الهجري على الأصح من أقوال العلماء، إلا أنه لم يشتهر إلا بعد القرن الثاني الهجري، ومنشأه البصرة، وذلك لما اتسعت رقعة الإسلام بالفتوحات الإسلامية وكثر الدخلاء فيه، حينئذ يرى بعض الأشخاص أن من الواجب عليهم الانسحاب من الحياة العامة المليئة بالترف والمرح من أجل ممارسة نوع من الزهد والاعتزال، معني ذلك الرجوع إلى تعاليم الإسلام وتوجيهاته، حيث يدعو إلى الزهد وتزكية النفوس وترويضها على عبادة الله ﷻ، والتبتل إليه، وتخليص الروح من رواسب الحياة...كما يقول ابن خلدون وغيره حيث أورد في كتابه " تاريخ ابن خلدون" قائلا: (هذا العلم من العلوم الشّرعيّة الحادثة في الملّة وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن

(١) انظر: المجموعة الثالثة من ديوان شيخ الخديم التي تتكون من ثلاث مجموعات، المعنون ب (تواليف الشيخ الخديم رضي الله عنه في التوحيد والفقه والتصوف والنحو) ص: ٤٣، طبع ١٣٩٥هـ، بمطبعة شيخ الخديم، طوبى امباكي– السنغال.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، مصد سابق، (١١/ ١٦) وكذلك الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص: ٢٤٩.

الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف. فلمّا فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة)[1].

تبين في ما سبق أن منطلق التصوف ومضمونه هو الإسلام بذاته، بغض النظر عن بدعية المصطلح وما أخذه فيما بعد من طابع جديد ومنهج آخر بعيدا عن الإسلام؛ من اقتراف البدع والشرك بالله لدى البعض.

(١) انظر: (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، المعروف ب" تاريخ ابن خلدون"، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، وهو أبو زيد الحضرمي الإشبيلي، المتوفى ٨٠٨هـ، ص: ٦١١، تحقيق خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ط:٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ، وانظر أيضا: (موقف الإمام بن تيمية من التصوف والصوفية) د. أحمد البناني، ص:٨٥، بتصرف، دار العلم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ط:١.

المطلب الثاني

الطرق الصوفية في السنغال؛ إيجابياتها وسلبياتها

مقصودنا في دراسة هذه النقطة هو الإشارة إلى الطرق الصوفية الموجودة في السنغال ودورها الإيجابي والسلبي في نشر الثقافة الإسلامية في السنغال قديما وحديثا، بصفة تعطي القارئ تصورا مجملا حول الطرق الصوفية في السنغال دون الخوض في كل التفاصيل؛ لأن ذلك شبه مستحيل في مثل هذا المقام، بل وكفاني عن ذلك من سبقني من الكتاب والعلماء ممن كتبوا في الموضوع[1].

كما أحب أن أنبه القارئ الكريم على أن من بين هذه الطرق التي سأتناولها ما هي منضبطة بتعاليم الإسلام إلى حد ما، ومنها ما هي بعيدة عنها، بل ربما تخرج من الإسلام ببعض معتقداتها، ولكني جمعت بينهما في هذا المبحث لاندراجهم تحت الإطار العام للتصوف، أو على الأقل لادعائهم ذلك.

يكاد يجمع معظم السنغاليين ضمنيا على وجوب الانتماء إلى طريقة من الطرق الصوفية الموجودة في البلد التي أهمها: القادرية، والتجانية، والمريدية، واللاهينية.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أمرين وهما:

(١) انظر: (تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة)، بحث لنيل درجة الماجستير في العقيدة، د. محمد أحمد لوح، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ط: ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، و(التصوف والطرق الصوفية في السنغال)، د.خديم امباكي محمد سعيد، سلسلة بحوث ودراسات ١٤ نشرت في معهد الدراسات الإفريقية، المملكة المغربية- الرباط. و(التصوف الإسلامي بالسنغال؛ المريدية نموذجا)، الأستاذ انيانغ الحاج فضيل، بحث لنيل الإجازة في الشريعة الإسلامية، جامعة القرويين، كلية الشريعة، فاس، المملكة المغربية عام ١٩٧-١٩٩٨م، غير مطبوع.

الأمر الأول: اتباع الأثر الصوفي المشهور" من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه"[1]. وأريد أن أشير هنا إلى أن مفهوم (الشيخ) لدى السنغاليين قديما هو ذلك الرجل المثقف الملتزم العادل الورع الذي يقوم بالأذان والإمامة في المسجد، ويكتب أو يقرأ لعلاج بعض المصابين بالأمراض المختلفة، والقيام بالصلاة على الجنائز وتسمية المواليد ونحوها بصرف النظر عن انتمائه القبلية أو الأسرية؛ إلا أن أكثرهم في ذلك الوقت من قبيلتي "تكلور" و"ماندينغ"[2].

أما اليوم فقد اتخذ هذا المصطلح طابعا آخر، ألا وهو الاقتصار على أسر معينة ومعروفة بين المجتمع السنغالي، بحيث يطلق لفظ" الشيخ" على كل فرد من أفرادها صغيرا كان أم كبيرا، وإذا كانت امرأة فيقال لها" سُغنَ" التي تحمل نفس المعني، وهكذا بغض النظر عن كونه صالحا أو طالحا، بل يكفيه مجرد الانتماء إلى الأسرة.

الأمر الثاني: أن تلك العادة (مبايعة أحد الشيوخ الصوفية) عريقة وضاربة في أعماق الجذور لدى هذا المجتمع، فورثوها كابرا عن كابر، فلا يكون الخروج منها إذا إلا بالمجاهدة.

وتلك الطرق في الساحة السنغالية مع كثرتها وتنوعها إلا أنها لا تختلف في المبادئ والأسس التي تتمثل في الانقياد والانصياع في أمر الشيخ ونهيه في المنشط والمكره، والتفاني في الخضوع والإجلال والخدمة له، مع احترام كل من له به صلة من الأولاد والأزواج وغيرهم، وإنما الاختلاف بينها يكون في بعض التفاصيل الفرعية؛ كالأوراد كما، ونوعا، وطريقة إيرادها، أو وقتها مثلا.

يضم السنغال عدة الطرق الصوفية، وهي تتلخص فيما يلي:

(١) هذا قول أشهر من المثل لدى الشعب السنغالي.

(٢) انظر: الإسلام في السنغال، مصدر سابق، ص: ١٩٥ فما بعدها.

أولا/ القادرية:

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها **الشيخ عبد القادر الجيلاني** وهو من أشهر رجال الصوفية، ويعرف بالقطب الجيلاني، وهو أحد الأقطاب الأربعة: الرفاعي، والبدوي، والجيلاني، والدسوقي، ولد بجيلان سنة ٤٧١هـ- ١٠٧٧م، وترعرع بها ثم انتقل إلى بغداد سنة ٤٨٨هـ- ١٠٩٥م وهناك تتلمذ على كبار الشيوخ وتفقه على أبي سعيد المخرمي، وأجاد الفقه والأدب واشتغل بالوعظ والتعليم، قبل أن يميل للتصوف والخلوة ومجاهدة النفس، الذي تلقاه على يد الشيخ أبي الخير محمد بن مسلم الدباس المتوفي ١١٣١هـ، وكان متصفا بالتسامح وحب الناس والزهد والورع، ومن بين وصاياه لأتباعه: "اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تخالفوا واصبروا ولا تجزعوا ولا تمرقوا وانتظروا ولا تيأسوا واجتمعوا على الذكر ولا تتفرقوا وتطهروا عن الذنوب ولا تتلطخوا وعن باب مولاكم لا تبرحوا"

وكان رجلا صالحا، عابدا يحث الناس على الزهد، إلا أن بعض أتباعه غلوا في شخصيته وابتدعوا في طريقته...كما تقول المصادر، وله كتب في التصوف منها: (فتوح الغيب) و(الفيوضات الربانية)، توفي ببغداد سنة ٥٦١هـ- ١١٦٦م، وله بها ضريح ومزار[١].

ذهب بعض المؤرخين إلى أن "القادرية" وصلت إلى المملكة المغربية بيد إبراهيم وعبد العزيز من أولاد الشيخ الجيلاني، ثم من هناك انتشرت في منطقة حوض نهر نيجر بواسطة محمد بن عبد الكريم

(١) انظر: الموسوعة الإسلامية، مصدر سابق، ص: (٢١١-٢١٢)، والتصوف والصوفية في السنغال، المرجع السابق، ص:٣٣فمابعدها، والتصوف الإسلامي بالسنغال (المريدية نموذجا)، المصدر السابق، ص: ٢٤.

المغيلي (٩٠٩– ١٥٠٥م) ثم من هناك إلى "مالي" حيث زاوية "تومبكو"[١] ثم إلى زاوية "موريتانيا" بفضل العلاقة التجارية والثقافية النشطة في المنطقة في ذلك الوقت، وقد تلقي هذه الطائفة ترحيبا في "موريتانيا" على وجه الخصوص لدى الأسرة "الكنتية"[٢] الموجودة هناك، التي أدت دورا كبيرا فيما بعد لنشر هذه الطريقة في غرب إفريقيا بما فيها السنغال، لعامل الجوار وتداخل الثقافات وغير ذلك من العوامل المؤثرة[٣].

وهي أقدم طريقة في السنغال، ومركزها الأساسي في مدينة "انجاسان" الواقعة بالقرب من مدينة "تياس" ومؤسس هذه الزاوية هو "أبو محمد الكنتي"، ولهم أتباع في مدينة "كسمانس" و "كولدا" الواقعتان جنوب السنغال، وفي دولة "جامبيا" المجاورة وفي العاصمة "داكار" بالإضافة إلى بعض الموريتانيين المقيمين في السنغال، إلا أنهم أقل عددا من "التجانية" و"المريدية"، وأكثر من "الاهينية" فيما يبدو، كما لوحظ تقلص واضمحلال في هذه الطريقة في السنغال بمقارنة بقية الطرق فيه، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كون زعمائهم أجانب؛ لأنهم موريتانيين ليس لهم احتكاك بالأتباع كما لبقية زعماء الطرق في البلد.

أما الحفلات والمناسبات الدينية فلديهم نصيب منها، يمارسونها كغيرهم من بقية الطرق في البلاد، إلا أنهم يتميزون بإيقاع الأغاني تتضمن في الغالب مدح النبي ﷺ أو مدح مشايخهم بضرب الطبول مع التمايل والطرب.

(١) زاوية لدى الصوفية: يقصد بها في الأساس مجلس خاص بهم، ثم صارت تطلق على بعض المساجد أو بعض المراكز معينة يجتمعون فيها لممارسة عباداتهم وطقوسهم. أما (تومبوكتو) فهي مدينة تاريخية تقع في جمهورية مالي حاليا، وفيها مكتبة إسلامية حافلة بمخطوطات مهمة، ونوادر من كتب إسلامية قيمة، انظر: تاريخ السودان للسعدي، ص: ٢٣١–٢٣٢.

(٢) وهي قبيلة موريتانية معروفة، وبينهم وبين العلماء السنغاليين من الجيل الأول علاقات طيبة وقوية، وما زالت كذلك إلى الآن بواقع المشاهدة.

(٣) التصوف والصوفية في السنغال، مصدر سابق، ص:٣٦–٣٧بتصرف.

التجانية:

أولا/ التعريف:

هي طريقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ، لقاء حسيا في هذه الدنيا، وأن النبي ﷺقد خصهم بصلاة (الفاتح لما أغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة، وغير ذلك من معتقدات باطلة [1].

ثانيا/ أصولها:

تأسست هذه الطريقة على يد أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد التجاني، الذي عاش ما بين ١١٥٠-١٢٣٠هـ (١٧٣٧- ١٨١٥م) ولد في قرية عين ماضي التي وفد إليها جده محمد، فاستوطن بها وتزوج من قبيلة فيها تدعى تجاني أو تجانا فكانت أخوالا لأولاده وإليها نسبوا[2].

نشأ أبو العباس بهذه القرية وحفظ بها القرآن الكريم، ثم رحل في طلب العلم إلى بلاد كثيرة ومختلفة؛ من فاس وتونس وتلمسان والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها، وفي أثناء هذا التنقل المتكرر تأثر بمن التقى بهم من مشايخ الطرق الصوفية وأثر ذلك في توجهاته وأفكاره، إلى أن وصل إلى قرية أبي سمعون ١١٩٦هـ حيث أنشأ طريقته بعدما زعم أنه قد جاءه الفتح من الله تعالى، وأنه لقي النبي ﷺ يقظة لا مناما، وأنه أذن له في تربية الخلق على العموم والإطلاق، وأنه أعطاه طريقته التجانية مشافهة، وأمره بترك كل ما أخذه عن مشايخ

[1] انظر: الموسوعة الميسرة (٢٨١/١) الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٣، ١٤٢٤هـ.

[2] انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣٢٤/٢) دار المؤيد للنشر والتوزيع، ط:٥.

الطرق الصوفية اكتفاء بما أخذه عنهﷺ، كما عين له الورد الذى يلقنه مريديه، وهو الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، وكمل له الورد بسورة الإخلاص على رأس المئة؛ ولذا سميت الطريقة الأحمدية والمحمدية، كما سميت بالتجانية نسبة إلى القبيلة التي صاهرها جده محمد كما سبق آنفا[1].

كما يثبت التجاني لنفسه ما لم يثبت لأي من الصحابة الكرام- وهم خير هذه الأمة- وهو رؤية النبي ﷺ بعد وفاته، ولم يقل أحد منهم ذلك، لا من الخلفاء الراشدين ولا من غيرهم من سائر الصحابة، كما يزعم بكونه شريفا لا انتمائه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ ولم يثبت ذلك بوثيقة مكتوبة ولا بأخبار الأعيان والآحاد وإنما بزعمه أنه رأى النبي ﷺ يقظة ومشافهة وسأله عن نسبه، فأجابه بقوله: أنت ولدى حقا، (وكررها ثلاثا) ثم قال له: نسبك إلى الحسن صحيح[2].

ثالثا/ عقائدها:

هذه بعض أفكارهم وعقائدهم دون استقصاء، نقلتها من كتبهم المعتمدة ومن كتب العلماء، مما يسهل الحكم عليهم بعد ذلك:

١- يقولون في حق الله تعالى ﷻ بالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود [3].

---

[1] انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، المصدر السابق، ص:٣٢٥.

[2] جواهر المعاني لعلي حرازم من الباب الأول، ومن كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للشيخ عمر الفوتي، من الفصل الثامن والعشرين، وهما معا من النسخة الإلكترونية.

[3] **وحدة الوجود**: هي مذهب فلسفي لا ديني؛ يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، أما مجموع المظاهر المادية تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

ولا يخفى على أحد ما يتضمنه هذا القول أو الاعتقاد من سوء الأدب مع الله ﷻ من ناحية، والدعوة إلى إلغاء الأحكام الشرعية تحت مظلة وحدة الأديان وتسوية الكفر والإيمان، والمؤمنين والكفار من ناحية أخرى، وبهذا الصدد يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ما نصه:

(وقالوا: الوجود واحد، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع، فإن الموجودات تشترك في مسمى الوجود، كما تشترك الأناسي في مسمى الانسان، والحيوانات في مسمى الحيوان.

ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركا كليا إلا في الذهن، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس، ووجود السماوات ليس هو بعينه وجود الانسان، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته.

وحقيقة قولهم، قول فرعون الذي عطل الصانع، فإنه لم يكن منكرا هذا الموجود والمشهود، لكن زعم أنه موجود بنفسه، لا صانع له، وهؤلاء وافقوه في ذلك، لكن زعموا بأنه هو الله، فكانوا أضل منه وإن كان قوله هذا هو أظهر فسادا منهم، ولهذا جعلوا عباد الاصنام ما عبدوا إلا الله) [١].

هذا الاعتقاد يجرهم أيضا إلى موالاة أعداء الله من اليهود وعبدة الأوثان وغيرهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند بيان مراتب الصوفية: (وأما المرتبة الثالثة: أن لا يشهد طاعة ولا معصية، فإنه

فهذه العقيدة الفلسفية الباطلة ما زالت مبثوثة في فكر كثير من الطرق الصوفية. انظر: الموسوعة الميسرة، ص: ٧٨٣، أما **الحلول والاتحاد**: فهو نزول شيء في شيء واختلاطه معه، بحيث يصبح شيئا واحدا، أي يقولون بأن الله تعالى يحل في الكائنات من البشر وغيرهم، معني ذلك كل شيء فيه الله عز وجل، تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

[١] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام بن تيمية، ص:١٠٦، دار البيان، دمشق١٤٠٥هـ-١٩٩٥م.

يرى أن الوجود واحد، وعندهم أن هذا غاية التحقيق والولاية لله، وهو في الحقيقة غاية الالحاد في اسماء الله وآياته، وغاية العداوة لله، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة ٥١] [١].

٢- ويقولون في حق الرسول ﷺ بإمكانية رؤيته يقظة وحسيا في الدنيا بعد وفاته ﷺ، وقولهم بأنه يحضر مجالس ذكرهم المسمى بالوظيفة التي تقام بعد صلاة الفجر أو مساء الجمعة، وهي عبارة عن ذكر جماعي يلتفون فيها حول قطعة قماش أبيض يطول حوالي ثلاثة أمتار، ويوقعونها بإيقاع معين، وهم يعتقدون بأن النبي ﷺ يحضره هو وأحمد التجاني.

٣- يدعي زعيمهم أحمد التجاني بأنه قد التقى بالنبي ﷺ، لقاء حسيا ماديا، وأنه قد كلمه مشافهة، وأنه تعلم منه صلاة (الفاتح لما أغلق).

صيغة هذه الصلاة هي: (اللهم صل على محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم).

ولهم في هذه الصلاة اعتقادات كثيرة منها ما يلي:

- أن الرسول ﷺ قد أخبره بأن المرة الواحدة منها تعدل قراءة القرآن الكريم ست مرات.
- أن الرسول ﷺ قد أخبره مرة ثانية بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن قراءة القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنه كان من الأذكار[٢].

---

(١) الفرقان، المصدر السابق، ص:١١٨.

(٢) انظر: جواهر المعني (١/١٣٦).

- أن الفضل لا يحصل بها إلا بشرط أن يكون صاحبها مأذونا بتلاوتها، وهذا يعني تسلسل نسب الإذن حتى يصل إلى شيخهم أحمد التجاني الذي تلقاه عن النبي ﷺ كما يزعم.

٤- يلاحظ عليهم شدة تهويلهم لأمور صغيرة وتعظيم أمور عظيمة تبعا للهواء مما أدى إلى إهمال أمور مهمة وتفشل وتقاعس في جوانب عديدة من العبادات، وذلك لما يشاع بينهم بكثرة الأجور والثواب في بعض الأفعال البسيطة.

٥- يقولون بأن لهم خصوصيات ترفعهم عن مقام الناس الآخرين غيرهم يوم القيامة ومن ذلك ما يلي:

- أن تخفف عنهم سكرات الموت.
- أن يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه.
- أن لهم برزخا يستظلون به وحدهم.
- أنهم يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوها في الزمرة الأولى مع المصطفى ﷺ وأصحابه المقربين.
- وأنه ﷺ ضمن لهم الجنة.

٦- أن شيخهم قدماه على عاتق كل ولي إلى يوم القيامة.

٧- كما يصف صاحب الجواهر شيخه بمعرفة الغيب حيث قال: (ومن كماله رضي الله عنه نفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب وفي غيرها من إظهار مضمرات وأخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها من

المصالح والآفات، وغير ذلك من الأمور الواقعات، فيعرف أحوال قلوب الأصحاب وتحول حالهم، وإبدال أعراضهم وانتقال أغراضهم، وحالة إقبالهم وإعراضهم، وسائر عللهم وأمراضهم، ويعرف ما هم عليه ظاهرا وباطنا، وما زاد وما نقص، ويبين ذلك في بعض الأحيان وتارة يستره رفقا بهم من الاختبار والامتحان...)

٨- زعمه أن من كان تجانيا يدخل الجنة بغير حساب مهما فعل من الذنوب.

٩- زعمه أن من كان على طريقه ثم تركه إلى طريقة أخرى تسوء حاله، ويخشى عليه سوء العاقبة والموت على الكفر.

١٠- زعمه بأن الأنبياء والمرسلين والأولياء لا يمكثون في قبورهم بعد دفنهم فيها إلا زمنا محدودا يتفاوت بتفاوت مراتبهم ودرجاتهم ثم يخرجون من قبورهم بأجسادهم إلا ان الناس لا يرونهم كما أنهم لا يرون الملائكة وهم أحياء.

١١- زعمه أن على المريد أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي المغسل لا اختيار له، فلا يقول كيف ولم وأين ونحوها[1].

وهذا قليل من كثير فيما يتعلق بمعتقداتهم الباطلة، وخيالاتهم الهزيلة، مما يبين بدعة هؤلاء وضلالهم، وبعدهم عن الإسلام وتعاليمه، ومصادمتهم جليا مع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة؛ لأنهم ذهبوا إلى تخصيص أدعية بذاتها غير واردة في الشرع، كما ألزموا الناس بعبادات معينة في أوقات مخصوصة لا سند لها من الدين، فضلا عن أن لهم معتقدات تخرج من يعتقدها عن الملة؛ كالقول بالحلول والاتحاد، مما جعل بعض العلماء يخرجهم من الملة كما ورد

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، مصدر سابق، من ص:٣٢٧ فما بعدها، وموقع العالم المتصوف المجهول، بتاريخ٢٩/١٠/١٤٣٢هـ، والموسوعة الميسرة، نفس المصدر، من ص: ٢٨٢فما بعدها.

في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السؤال السابع من فتوى رقم ٥٥٥٣ ما نصه:

س ٧: ما هي عقيدتكم في طريقة التجانية ورؤية المصطفى ﷺ يقظة؟

ج٧: الفرقة التجانية من أشد الفرق كفرا وضلالا وابتداعا في الدين لما لم يشرعه الله. وسبق أن سئلت اللجنة الدائمة وكتبت بحثا في كثير من بدعهم وضلالاتهم الدالة على ذلك [١].

كما حكى القاضي عياض الاجماع على كفر من ادعى مجالسة الله، والعروج إليه ومكالمته، أو حلوله في أحد من الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة [٢].

مع العلم بأن التجانية ليسوا على مرتبة واحدة، وليس كل ما سبق من المعتقدات والأفكار تنطبق على كل من يقال أنه تجاني، بل هناك من لا يقول ولا يؤمن بالحلول والاتحاد ولا بوحدة الوجود، إلا أنه قد يقترف بعض البدع أو الشرك ولذلك فالحكم يختلف باختلاف الأشخاص وليس عاما، كما أن التكفير له شروط وضوابط كما هو معروف من إقامة الحجة وانتفاء الموانع ونحوها.

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، مصدر سابق، ص: ٣٢٤.

(٢) كتاب الشفاء (٢/٢٤٥) نسخة إلكترونية.

التجانية في السنغال:

وصلت التجانية فيما يبدو إلى السنغال على يد الحاج عمر بن سعيد الفوتي السنغالي صاحب الكتاب (الرماح) عاش ما بين (١٧٩٦- ١٨٦٤م) وتوفي في إحدى المعارك التي طالت بينه وبين الاستعمار الفرنسي.

أخذ الورد التجاني من محمد الغالي خليفة الطريقة في المشرق، وكان مقيما في مكة المكرمة أيام سفر الحاج عمر إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، وهناك التقى معه وعينه خليفة للطريقة التجانية في غرب إفريقية وذلك في عام ١٨١٦م وقيل ١٨٢٧م (١).

وكان الحاج عمر رغم ما عنده من المعتقدات الصوفية الخطيرة كما هو واضح في كتابه المذكور كان حريصا على محاربة أمرين وهما الوثنية والاستعمار، حيث دخل على يده في الاسلام من الوثنيين عدد كبير، كما حارب الاستعمار الفرنسي حين أقدم إلى البلاد بهدف محو الإسلام وإحلال مكانه النصرانية أو الإلحاد على السواء، لما في نفوسهم من حقد أصيل على الإسلام والمسلمين، والبلد حين ذاك بلد إسلامية ذات جذور عتيقة، بل كانت اللغة الرسمية آنذاك اللغة العربية مما دفع المستعمر إلى اتخاذ مترجمين يفهمون العربية، والرسائل التي كانت تتداول بينهم وبين زعماء الدين في هذه القترة لخير دليل على ذلك وهي مليئة في المصلحة الوطنية (الأرشيف الوطني) بداكار.

(١) انظر: الأدب السنغالي العربي، مصدر سابق، ص: ٤٦-٤٧.

أما انتشار التجانية في السنغال بهذه الصورة فيرجع إلى السيد الحاج مالك سي(١٨٥٥-١٩٢٢م) هو ابن عثمان فاواد ولي، ولد في "غايا" مدينة تقع في شمال السنغال، كانت من مملكة "والو".

أخذ الطريقة من خاله "ألفا ميورو" الذي تلقاها أيضا من الشيخ عمر بن سعيد تال، ثم انتقل بعد ذلك إلى مناطق كثيرة داخل السنغال لطلب العلم ونشره والدعوة إلى الله عز وجل، منها "سالم" جنوب البلاد، و"كجور" وسط البلاد، و"سان لويس" التي استقر فيها في النهاية لتولى مهام التدريس بالعلوم الشرعية بعد ما رجع من موريتانيا حيث لقي هناك الشيخ " محمد علي" أحد العلماء الموريتانيين، كما تعلم قبل ذلك على يد بعض العلماء السنغاليين، ومنهم خالاه "أحمد سه"، و "ألفا ميورو"[١] وغيرهما.

كما زار بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج عام ١٨٨٩م، كما أنشأ زاويته في مدينة " تواون" عام ١٩٠٢م، ثم سان لويس، ثم داكار، وكان يأمر أتباعه بالوظيفة مرتين في اليوم لما رأى فيهم حب الدنيا والاهتمام بها، بينما الأصل فيها مرة واحدة عندهم [٢].

كان هذا الأخير يتميز بالحرص على التربية والتعليم والمحافظة على السنة والدعوة إليها، وهذا جلي في قصائده نثرا ونظما، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

صدقت على ما قلت في عود ديننا	غريبا كما في البدء يا خير راحم

[١] لفظ "ألفا" بمعنى الفاهم، هو لقب كان يطلق على من حفظ القرآن الكريم وحظي بفنون من العلوم.

[٢] انظر: تاريخ الإسلام في السنغال، مصدر سابق، ص: ٤٨١.

إلاهي فاجعل أهلنا أهل غربة	وأهل ا تباع سنة في التراحم
نعض عليها بالنواجذ مثلما	به قال في الايصاء نضرة هاشم

وقال أيضا:

وليس نفع على حب بلا عمل   وتابعن سنة المختار تغتنم

و قال أيضا لما تأخر أحد أتباعه عن الصلاة لأجل خدمته في البستان:

وتارك صلاة لخدمة شيخه   كعابد الأصنام دون مراء

وهذه إشارة فحسب وإلا فهو يعتبر من كبار الشعراء في البلد كما أن له ديوان.

تربي بين يديه علماء أجلاء، لهم دور كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية، كما أنه لاقي هو كغيره ممن سلكوا نهجه مضايقات عدة من طرف المستعمر رغم ذلك أوصل رسالته بالحكمة.

بينما كان الأول عالما ومجاهدا لمحاربة الوثنية والشرك من جهة، وضد الاستعمار من جهة أخرى كما سبق الكلام عنه في محله، مما يشهد له التاريخ من كتاب وعلماء هذا البلد وغيرهم.

مع العلم بأن الطرق الصوفية عموما لا تخلو من بدع وربما مع شركيات إلا أنه في الجيل المتأخر أشد وأنكي من الرعيل الأول، الشيء الذي نلاحظه من التجانية وغيرها من بقية الطرق الصوفية الموجودة في البلد.

وبهذا نعرف أن التجانية في السنغال من تيجانية التربية، عندهم أكثر الاعتقادات المذكورة سابقا كما هو الحال في معظم الطرق الصوفية، إلا أنهم لا يقولون بوحدة الوجود أو الحلول والاتحاد إلا فرع واحد منهم فيما أعلم، وهم أهل نياسين أتباع الشيخ إبراهيم نياس الكولخي السنغالي[1]؛ لأن التجانية في السنغال على فروع عدة، مشتركة في أصول الطريقة ومختلفة في ممارسة بعض العبادات وخصوصا الأذكار، وسأذكر أهم تلك الفروع والمقر الرئيسي لكل واحد منها قريبا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عقيدة وحدة الوجود توجد لدى معظم الطرق الصوفية داخل السنغال وخارجه، إلا أن القوم فيها على أقسام ثلاثة كما أشار إليها د. أحمد محمد لوح في كتابه (تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي)، نقلا عن الشيخ على بن محمد الدخيل في كتابه (التجانية) وهي كالتالي:

- قسم يؤمنون بها ويدافعون عنها، وهم أكثر مشايخ التجانية المتقدمين.
- قسم ينكرونها ويكفرون قائلها، وهم بعض المتأخرين منهم.

[1] هو الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس الصوفي التجاني، ولد ١٣٢٠هـ ١٩٠٠م في قرية طيبة نياسين السنغالية، وتلقي الطريقة التجانية عن والده، ونشرها على نطاق واسع في غرب إفريقيا وفي نيجريا على الوجه الخصوص، وكذلك في أمريكا وأوروبا بواسطة تلميذه الشيخ حسن سيسي، توفي الشيخ إبراهيم سنة ١٩٧٥م، وله عدد من المؤلفات والرسائل منها: (كاشف الإلباس) و(السر الأكبر) انظر: تقديس الأشخاص، مصدر سابق، ص: ٦٧.

- قسم ثالث وهم العوام، فكل ما قيل لهم آمنوا به[1].

معنى ذلك يوجد في المجتمع السنغالي من يؤمن بتلك العقيدة، ولكنهم في الحقيقة قلة قليلة، كما أن أغلب هؤلاء من العوام.

وللطريقة التجانية في السنغال فروع كثيرة منها:

أهل "تشانابا": وهم فرع من التجانية، ومركزهم الرئيسي في مدينة "تشانابا" التي تقع في شرق داكار على بُعْدِ ١٠٠ كلم تقريبا، وهم يدعون المهدية لزعيمهم "أحمد شيخو"، وتحت هذه النحلة من التجانية زعامات مستقلة مثل الشيخ "عباس سل" في "لوغا" والشيخ "ماجورسيسي" في مدينة "سان لويس" شمال السنغال كانوا مقدمين [2] في السابق ثم انشقوا عن الخلافة العامة.

ومنهم "**الغوناسيون**" ومركزهم الرئيسي في مدينة "غوناس" في إقليم "كولدا" جنوب البلاد[3].

وأهل "نياسين" الذين يتمركزون بصفة خاصة في مدينة "كاولاخ" جنوب وسط السنغال بزعامة الشيخ "إبراهيم نياس" الذي كان أكثر التجانيين المتأخرين تحقيقا لعقيدة وحدة الوجود في منطقة غرب إفريقيا، كما استقطب أتباعا كثيرا ورباهم على هذه العقيدة في

(١) انظر: تقديس الأشخاص، مصدر سابق، ص: ٥٥٠.
(٢) **مُقدَّم**: مصطلح صوفي، يقصدون به الأقدمون والمقربون من أتباع الطريقة.
(٣) أضواء على السنغال، مصدر سابق، ص: ٢٥-٢٦.

بلاد كثيرة، حيث كان له من الأتباع في حياته أكثر من ١٠ ملايين في نيجريا وحدها، فضلا عن أتباعه في موريتانيا، وتشاد، وغانا، والسنغال، والسودان، وأمريكا، وأوروبا.

و كان لا يرى وجودا إلا الله، لا أثر ولا كون ولا صفة ولا اسم ولا فعل...وفي هذا المقام يقول:(...أنا الله لا إله إلا أنا وحدي)[١].

لا يخفى ما في هذا القول من خطورة، لما تضمنه من نفي توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية الذي هو سبب مجيء الأنبياء والرسل إلى البشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبمجموع هذه الفروع المتشعبة من الطريقة التجانية في السنغال نجد أنهم الأغلبية من بين الطرق الصوفية الموجودة في البلد.

وبهذا يتضح كما سبق أن قلت أن الحكم على هذه الطريقة في البلد يرجع إلى الشخص نفسه وعقيدته التي اعتنق بها، لأن منها ما تخرج من الملة كالقول بوحدة الوجود أو الحلول والاتحاد، ومنها ما يجعل صاحبها مبتدعا أو مشركا ولا يخرجه من الملة فتأمل.

ثالثا/ المُريديَّة:

هذه الطريقة[١] محلية إقليمية، تأسست في القرن ١٩م على يد الشيخ "**أحمد بامبا**" الذي سبق أن اعتنق بالطريقة "القادرية"، ثم "التجانية"، ثم تفرد في النهاية بطريقته الخاصة.

---

[١] للتوسع انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، ص: ٥٥٥. نقلا عن (السر الأكبر) ص:٤٢٥-٤٢٧.تحقيق ميغري.

ومقرهم الرئيسي مدينة "طوبي امباكي" السابق ذكره، وهي الأكثر نشاطا في السنغال وخارجه، وأسرع نموا أيضا؛ وذلك لأن كثيرا ما نسمع ونرى بعض أفراد الطوائف الأخرى يولون وجوههم إلى هذه الطريقة منخرطين فيها، دون العكس تماما، لا تكاد تسمع من يخرج من أفراد هذه الطائفة إلى غيرها من الطوائف الأخرى، رغم تأخرها وجودا وميلادا من بين تلك الطرق.

وللطريقة تجمعات عدة في جميع أنحاء البلاد وفي أوروبا وأمريكا وآسيا كغيرها من بقية الطرق، وهي عبارة عن جماعات يتعاهدون بالتكاتف والتعاطف فيما بينهم، ودفع مساهمات معينة أسبوعيا أو شهريا أو سنويا حسب الاتفاق فيما بينهم، ويساعدون بهذا المبلغ من تعرض للنوازل والأحداث من الأعضاء، مع إعطاء شيخهم في نهاية كل سنة شيئا من هذا الصندوق مبلغا يسمى "هدية" يتم تحديده بموافقة جميع أو معظم الأعضاء حسب الإمكان، ولبقية الطرق هذا النشاط الاجتماعي المهم أيضا ولكن ليسوا كهؤلاء في الاهتمام والدقة والانتشار، والإنجازات، وخاصة تلك الأنشطة التي تنظم في أوروبا وأمريكا على مدار السنة بحضور أحد شيوخهم هناك، كما أن تلك المناسبة أصبحت رسمية لدى بعض الدول الأوروبية كإيطاليا مثلا، يحضرها كبار المسؤولين من البلد، ويمارسونها بكل حرية؛ بل وجدوا احتراما وتقديرا كبيرين من السلطات الإيطالية والأمريكية خصوصا، وهذه الأمور بواقع مشاهدتنا وواقع الحياة في السنغال.

كان مؤسس الطريقة المريدية مجددا للسنة النبوية، كما يقول في إحدى قصائده:

---

(١) **الطريقة المريدية**، هي إحدى الطرق الصوفية السنغالية، نسبة إلى لفظ "مريد الله"؛ لأن المؤسس كما تقول المصادر ومن بينها بعض مؤلفاته هو، أنه مجدد للسنة النبوية، وداعيا إليها، وبالتالي لا ينبغي أن تنسب إليه ولا إلى غيره، بل فهي لكل من يريد الله عز وجل، تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ أحمد بامبا السنغالي الطوبوي، وذلك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، سبق تعريفه في الفصل الأول من المبحث الأول من هذا البحث.

لِلْمُصْطَفَى نَوَيْتُ مَا يُجَدِّدُ   سُنَّتَهُ الْغَرَّاءَ وَإِنِّي أَحْمَدُ[1].

كما كان قدوة في سمو الأخلاق والسلوك، وفريدا من نوعه في العبادة وتحمل المشقات والمصائب، وصخرة صماء أمام الاستعمار، عجزوا عجز المساكين عن ثني عنانه إلى مرادهم ورغباتهم رغم كل ما بذلوه من جهود بشي وسائل، مما أدى في النهاية إلى نفيه مرتين خارج البلاد – كما سبق– لعلهم يظفرون به، حين يبعد عن وطنه وأهله وأتباعه، ولكن دون جدوى.

وكان يحث أتباعه علي طلب العلم والصبر على تحصيله، والاستعانة بالله، والاقتداء بالصالحين، والإخلاص لله، والعمل والزهد في الدنيا، وتزكية النفس وتربية الروح، ما تنعكس على بعض أبياته حين قال:

وإن تعلمت فبالله استعن   ولازم الإخلاص من حيث تعن
ولازم الدرس له مع الورع   يولج من بالفقر بابه قرع
والدرس والعمل لازم كل حين   ولا تزل مقتديا بالصالحين
وخالف النفس التي تبغي الشبع   وكثرة النوم وتعصي المتبع
وفارق الَّذي يعوق أبدا   عن خير معبود بحق عبدا[2]

ويلاحظ أن لهذه الطريقة ميزة بين الطرق الصوفية في البلد، وهي قوة التماسك فيما بينهم، وتوحيد كلمتهم؛ ما لم يصل إليه غيرهم، حيث أن الكلمة واحدة، تجمعهم جميعا، خارج البلاد وداخلها، وهذه

---

(١) وهي مطلع قصيدة توجد في ديوانه المسمى ب (فلك المشحون)، ص: ٤٨، طبع عام ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م بمطبعة شيخ الخديم، طوبى امباكي – السنغال.

(٢) انظر: المجموعة الأولى من ديوان شيخ الخديم المعنون ب (تواليف الشيخ الخديم رضي الله عنه في التوحيد والفقه والتصوف والنحو)، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٢٨.

الكلمة لدى شيخ الطائفة وحده لا غير، وهذا المنصب وراثي كما في جميع الطرق في البلد، يتوارثه أفراد الأسرة من الأجداد ثم الآباء ثم الأحفاد، وفي كل يسيرون حسب الترتيب في السن، الأكبر فالأكبر، لعل هذه الوحدة التي لا تجدها عند غيرهم هي سر قوتهم في المجتمع السنغالي.

كما أن لهم مشاركة فعالة في مجالات مختلفة: دينيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

ومما يؤخذ عليهم وعلى بقية الطرق جميعا بلا استثناء اختلاف كبير بين سلف تلك الطرق وخلفهم؛ ويمكن القول بأن سلف هذه الطريقة كانوا في أخلاق سامية وفي عبادات وطاعات نادرة بسبب احتكاكهم المباشر مع شيخهم الذي اعترف له من عرفوه من القاصي والداني بالجدية والإخلاص والحرص على متابعة السنة النبوية الشريفة، وذلك جلي في كتاباتهم وأقوالهم وأفعالهم.

أما الخلف – فهداهم الله– تجد أن كثيرا منهم لا علاقة لهم بتعاليم شيخه وتوجيهاته، بل بعيدون عنها كل البعد، مع أنه قال في بعض وصاياه: (أقمت الحجة عليكم؛ لأني شافهتكم بالكلام، وعملت أمامكم وأنتم ناظرون، وتركت كتاباتي بين أيديكم)، ولكن هؤلاء لا يريدون أن ينظروا إلى تلك الوصايا ولا الاستماع إلى من يحدثهم عنها، بل يرحبون بمن يجوب معهم في آفاق الخوارق والكرامات لشيخهم هذا، أو تلك الروايات المصطنعة والملفقة العارية من الدليل الصحيح التي تبشر بدخول الجنة وعلو المرتبة بدون أدنى عمل أو تعب بل بمجرد الحب أو الخدمة!.

ولا يعرفون أن تلك الأمور لم تكن هدفا للشيخ أبدا، بل هدفه تحقيق العبودية والتوحيد لله – عز وجل–، ثم جاءت هذه الكرامات كمبشرات ومحفزات من ربه جل وعلا، فلا ينبغي إذا التركيز عليها والإهمال بالأساس والأهم.

أضف إلى ذلك ما نجده في هذه الطريقة وهو طائفة أو جماعة منتسبة إليها، وما لهم علاقة بأي ركن من أركان الإسلام الخمسة إلا النطق بكلمتي الشهادة، معتقدين بأن القيام في خدمة الشيخ والتفاني له في الحب والمتابعة يكفي عن كل ذلك، وهؤلاء يسمون باسم "باي فال" نسبة إلى شيخهم "**الشيخ إبراهيم فال**" الذي كان من كبار أتباع الشيخ المؤسس، كما يضرب به المثل في الانصياع وحسن المتابعة و الصدق والإخلاص لشيخه، علما بأن مؤسس الطريقة قد كتب إلى هذا الشيخ المذكور رسالة تضمنت توجيهات ونصائح ومنها أن يأمر أتباعه بالصلاة، استنادا إلى قوله تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢]

ولكن هؤلاء لا يريدون أن يسمعوا مثل هذا، ولم يخف على أحد جدية شيخهم وصدقه في محبة شيخه (الشيخ أحمد بامبا) وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، ولكن هؤلاء جهلوا حتى حقيقة هذا الرجل وسيرته، بدليل أنه كان متعلما، بل ألف أكثر من كتاب، ولكنهم يرونه جاهلا أميا ولا يهمه التعلم ولا القراءة، ومن الحجج عليهم ما عرفناه – ولا يختلف فيه اثنان– من التزام ابنه "سرين مورتال فال" (مرتضى فال) بن إبراهيم فال بتقيده بتعاليم الإسلام والعمل بها، وذلك لأنه تربى تحت كنف الشيخ "أحمد بامبا" شيخ شيخهم، الذي ما كان يحرص على شيء مثلما يحرص على بناء المسجد وإقامة الصلاة كما يقول في إحدى وصاياه (لا يهمني شيء في الدنيا كما يهمني بناء ذلك الجامع) يشير إلى ذلك المسجد الجامع في طوبى الذي سبق ذكره(١).

(١) انظر: من وحي الستين، مصدر سابق، ص:١٣.

كما أن الانتماء إلى هذه الطائفة المنتسبة إلى "المريدية" ليس له شروط أو ضوابط معروفة، غير المبايعة لدى شيخ من شيوخهم بأنك من أتباعه ولو لم يعرفك ولا يراك بعد ذلك في حياتك، وما أكثر هذا!.

ولذلك ترى من المجرمين الذين ما من باب الحرام إلا وطرقوه من يدعي الانتماء إلى هذه الطائفة حتى يرتاح من اللوم مما يرتكبه من المحرمات والمخالفات، من ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج وارتكاب الجرائم، لما اشتهر بين العوام من أن "باي فال" لا ذنب له، يكفيه أن له شيخا!!.

مع العلم بأن هناك بعضا من أفراد هذه الطائفة من الزعماء والأتباع من يلتزم بالأحكام الشرعية من الصلاة والزكاة والصوم...

كما أن كثيرا من أتباع الطريقة المريدية غير "باي فال" هم أيضا في إهمال عجيب عن تطبيق الأحكام الشرعية في حياتهم اليومية، بل يدعون بالاهتمام بتنفيذ أوامر الشيخ فقط دون الالتفات إلى غيرها من الأمور ومهما كانت، إلا أن في "باي فال" أكثر وأشد، ولا يعرف هذا المسكين أن من أولويات تنفيذ أوامر الشيخ الذي ينتسبون إليه هو تطبيق الشريعة الإسلامية على أحسن وجه كما هو واضح ففي كتاباته ونصائحه.

رابعا/ اللاَّهِينِيَّةُ:[١]

نسبة إلى لفظ (الله) أسسه السيد "**لِبَاسِ تِيَاوْ لَايْ**" المشهور بـ:"**لِمَامُو لَايْ**" أو "إمام المهدي " كلمة محرفة من "إمام الله" يعني هو إمام الله في الأرض –كما يزعمون–.

ولد عام ١٨٤٣م في "يوف" الواقعة في ضواحي العاصمة "داكار"، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولما بلغ ٤٠ سنة من عمره أي في عام ١٨٨٣ ادعي بالنبوة ونزول الوحي عليه، وبأنه مأمور بأن يدعو الناس إلى الله ﷻ، متخذا قول الله تعالي: ﴿ **يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الأحقاف: ٣١] شعارا له ولدعوته، وبأنه جاء لإنقاذ الإنس والجن بدعوتهم إلى الله، مناديا أجيبوا داعي الله...يا معشر الإنس والجن إني رسول الله إليكم"

و يقوم سنويا أتباع هذه الطريقة بذكرى تلك الدعوة في حي "يوف" بمناسبة كبيرة تجمع ألوفا من البشر، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، يذكرون الله بصيغة معينة وبصوت واحد، متمايلين يمينا وشمالا، لابسين كلهم ثيابا بيضاء.

وكان يقول ما معناه "بأن من يقصد النبي ﷺ في المدينة المنورة لأي شيء فها أنا، فذاك أبيض وهذا أسود، وذاك في الشرق وهذا في الغرب ولكن هو هو"، ولذلك فإن أتباعه لا يعتبرون أنفسهم أهل طريقة، ويدعون للمؤسس ولابنه عيسى روح الله النبوة[٢]، كما يؤمنون بمهديته (عودته إلى الدنيا). وقد دعا مؤسس هذه الطريقة أتباعه إلى تعليمات ووصايا من أهمها ما يلي:

---

(١) **اللاهينية**: هي طريقة أو طائفة من الطوائف المحلية السنغالية، تأسست عام ١٨٨٣م على يد الشخص المدعو باسم (لباس تياو لاي) أو يقال (مام لمام لاي)، وقد ادعي بالنبوة لما بلغ الأربعين، كما يعتقد فيه أتباعه بالمهدية، ولهم وصايا وتعليمات خاصة بهم.

(٢) انظر .LES CAHIERS de L,anternance LES RELIGIONS AU SENEGAL) December 2005,p:48-49 وأضواء على السنغال، مصدر سابق، ص: ٢٧–٢٨.

- تزويج البنات يوم السابع من ولادتهن عند التسمية، إذا شبت وتميزت تنظر في أمره إن أعجبته استمر النكاح وإلا حل العقد.
- إجراء الختان على البنين بعد أسبوع من يوم العقيق.
- ومنها إلغاء الألقاب فيما بينهم، والاكتفاء بـ:"لَايْ لَايْ" محرف من لفظ الله، يعني أنهم جميعا عباد الله.
- اجتماع الرجال والنساء في الصلاة والذكر ونحوها، ولكن بجعل ستار بينهما.
- وكان يحث على الوضوء قبل الصلاة.
- تأخير الصلاة إلى آخر وقتها، مما أدى إلى ذهاب بعض مجاوري مساجدهم إلى مساجد أخرى للصلاة فيها.
- والذكر عند تشييع الميت.
- وكان يأمر بلباس ساتر لكل من الجنسين.
- وكان يأمر بمحاربة الفساد الخلقي.
- وكان يأمر بجهاد النفس والعمل دون بطالة.
- وكان يحث الناس على إخراج الزكاة.
- وتكفين الميت بـ:١٥مترا (١).

وعددهم قليل بالمقارنة مع بقية الطرق، ويتمركزون في ضواحي داكار مثل "يوف"و"كامبرين"و"ووكام"و"انغور"(١).

(١) Assane Sylla, bulletin de l,i.f.a.n. ser b, no 3,1971, p: 592-593

ولم ينج هؤلاء ولا غيرهم من الطرق المذكورة من ممارسة بعض البدع وربما الشركيات من بعض أفرادهم، شأن كثير من الناس بمختلف الفئات والجنسيات والمناطق في العالم، جهلا منهم لا تمردا ولا عدوانا، فيجب تكثيف الجهود في التوعية بالنصح والإرشاد بحكمة بالغة، دون التسرع في التفسيق أو التكفير دون توفر شروطه، شأن بعض الكتاب من المتأخرين، حيث يكتبون عن قوم لم ينزلوا ديارهم ولم يقابلوهم في حياتهم، وإنما يكتفون بكتابات من سبقهم أيا كانوا، وقد ينقل ذلك الكاتب معلوماته من جاهل مغرور، أو عدو، أو عامل مأجور، علما بأن كثيرا من الكتابات عن تاريخ إفريقيا بصفة عامة كانت بيد أعداء الإسلام من الاستعمار والمنصرين والكشافين ونحوهم، وما ذا ينتظر من شهادة العدو نحو عدوه؟!.

يا ليت لو حالفت نفوس أولئك الكتاب تحمل التكاليف والمشقات المادية والجسدية المضنية لينزلوا بأنفسهم في أدغال إفريقيا بسهولها وجبالها، حتى يستقوا تلك المعلومات من معين صاف لا يكدره شكوك ولا ريب، أما الجهل التام بواقع أي قوم، مع الإقدام للكتابة عنهم بهذا النمط، فمصيره تخبط وحيرة، والبعد عن الإنصاف والموضوعية فيما يحكم هو أو يكتب بلا شك، مع أنها مطلوبة وضرورية بل هي من أساسيات الكتابة كما هو معروف.

بالإضافة إلى ذلك أنه ليس كل من تلبس بكفر فهو كافر لزاما، بل لابد من إقامة الحجة عليه مع انتفاء الموانع، من جهل وإكراه وشبهات ونحوها كما هو معلوم.

---

(١) تلك أحياء في ضواحي العاصمة داكار على ساحل المحيط الأطلسي.

المطلب الثالث

المراحل التاريخية للصوفية في السنغال

والطرق الصوفية في السنغال مرت بمراحل تاريخية مختلفة، يمكن تقسيمها إلى ثلاث فترات على النحو التالي:

١- **فترة ما قبل الاستعمار**؛ وكانت تحارب الوثنية والشرك في البلاد.

٢- **فترة الاستعمار**؛ كان لشيوخ الطرق الصوفية في هذه الفترة دور كبير في نشر الإسلام واللغة العربية، والدفاع عن الثقافة الإسلامية، ومقاومة الاستعمار بكل ما لهم من قوة كما سبق الكلام حول هذا.

٣- **فترة أواخر الاستعمار وما بعدها**؛ أي مع بداية عهد الأبناء والأحفاد لأولئك القادة الذين أسسوا الطرق إلى يومنا هذا، حيث أصبح الشيوخ- إلا من رحمه الله – حلفاء أوفياء لزعماء الأحزاب (العلمانيين) وركائز رجال السياسة.

وهم يتوجهون إلى الشيوخ أثناء الانتخابات الرئاسية بهدف كسب أصوات الناخبين الذين هم أتباع هؤلاء، وهم في استعداد تام لإدلاء الصوت في صالح من رآه شيخه مؤهلا من هؤلاء المترشحين بصرف النظر عن كونه صالحا أو طالحا، وخلال انتخابات البرلمانية بين "**سنغور**" المسيحي و"**الأمين غِي**" المسلم تحالف الخليفة العام للطريقة التجانية آنذاك "**السيد أبوبكر سي**" مع "**سنغور**" زعيم الحزب (الكتلة الديمقراطية السنغالية) وكذلك الخليفة العام للطريقة "المريدية" الشيخ "**محمد الفاضل**" نفس الشيء، وقل مثل ذلك فيمن بعدهم من الخلفاء ورؤساء الأحزاب مثل "**عبد ضيوف**" الرئيس الثاني للسنغال مع

الشيخ "**عبد الأحد**" الخليفة الثالث "للمريدية" و"**عبد الله واد**" الرئيس الحالي مع الخليفة "المريدية" الراحل "**محمد الأمين البكي**" الذي توفي في شهر رجب ١٤٣١هـ.

كما يتم تبادل الزيارات بين الشيوخ وزعامات الأحزاب بشكل مستمر مما يؤكد مدى متانة تلك العلاقة، و عمق جذورها عبر التاريخ.

أما الدوافع والأسباب لتلك العلاقات في نظر الباحث فكالتَّالي:

١- من عادة غالبية مسلمي السنغال وتقاليدهم أن كل واحد منهم يبايع شيخا يختاره هو لنفسه أو يختاره له ولي أمره كدليل ومرشد ديني، يبايعه باتباع أوامره واجتناب نواهيه في المنشط والمكره دون التردد، وهذه المبايعة تلزمه بالنظر إلى من يميل إليه شيخه من زعماء الأحزاب في فترة الانتخابات البرلمانية أو الرئاسية ليميل معه، لأنه لا اختيار له بعد المبايعة، الخيار ما اختاره شيخه كما سبق!.

كما أن بعض الشيوخ أو المنتسبين إليهم يحرصون على جمع أكبر عدد ممكن من الأتباع تفاخرا بهم وتكاثرا وتسابقا إلى حطام الدنيا ودناءتها، وبالتالي يضطر رؤساء الأحزاب إلى الرجوع إليهم أيام الانتخابات؛ لغرض كسب أصوات الناخبين بالتعاون معهم مقابل مبالغ مالية طائلة لا تُعلن على حساب هؤلاء الأتباع المساكين.

ومما سبق يتضح مدى ثقل وزن الطرق الصوفية في السنغال في أوساط الشعب من جهة، ولدى زعماء السياسيين من جهة أخرى، كما أن هناك فرقا كبيرا بين السلف والخلف من الصوفيين في البلد، سواء من ناحية ممارسة العبادات والنسك، أو من ناحية المعاملات فيما بينهم وبين غيرهم من الوجهاء والناس العاديين، حيث أن معظم الخلف في هذا الزمان - هداهم الله- ما يهمهم إلا جمع المال

واتباع الهوى والانهماك في حطام الدنيا، بعكس سلفهم تماما؛ حيث أفنوا حياتهم في عبادة الله عز وجل والحرص على متابعة السنة والبعد عن البدع، زاهدين في الدنيا، راضين بالقليل، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، ولا يخافون في الله لومة لائم، مدافعين عن الإسلام بكل ثمين ونفيس أمام العدو المستعمر رغم قلة الإمكانية لمواجهتهم، وتباعد القوتين من الجانبين، ولكنهم كانوا متزودين بروح الإيمان وقوة اليقين مما حقق لهم النجاح والانتصار ما نشاهد آثاره اليوم.

وعلى هذا يجب التفريق بين الشيوخ الصالحين والمدعين الدجالين، ويدخل في هذا الإطار أولئك السحرة والكهنة والمشعوذين حيث يطلق عليهم بعض العوام اسم "الشيخ" كما يطلقونه على العلماء والصالحين علي السواء، ومن هنا تتضح أهمية تحديد المصطلح حتى لا يختلط الحابل بالنابل، وكثيرا ما نسمع من الإعلاميين أن الشيخ الفلاني في المكان الفلاني أو بدون ذكر الاسم والمكان فعل فِعلة شنيعة وهو ليس شيخا وإنما من أولئك المجرمين الذين لا يستحقون إلا ضربة السيف في العنق، ولكنهم لا يميزون بين زيد وعمرو، هذا إن أَحْسَنَّا الظَّنَّ بهم.

ولهؤلاء السحر والدجالين- مع الأسف الشديد- قدر ومكانة في المجتمع السنغالي، وإقبال كبير عليهم في الظروف ونوائب الزمان، حيث يتوجهون إليهم ناسين أو متناسين رب العالمين، القادر والقوي العزيز، وهذه الظاهرة لدى النسوة أكثر؛ لأسباب كثيرة، منها – في رأي الباحث-:

- انتشار الجهل وخفة الإيمان وضعفه الشيء الذي في أوساط النساء أكثر من أوساط الرجال.
- ومن طبيعتهن – غالبا- الرغبة في البقاء مع أزواجهن مدى الحياة دون أن يتزوجوا عليهن أبدا، مما يدفعهن إلى أولئك الدجالين لعلهن يجدن لديهم حلا لتلك المشكلة، أو تحقيقا لتلك الأغراض، جهلا عن مسألة القضاء والقدر.

- ومن المعروف أن العاطفة لديهن أكثر من لدى الرجال، ما تدفعهن إلى التعامل مع بعض القضايا بالعاطفية أكثر من العقلانية.

هذا مع اعتراف الجميع بما يفسده هؤلاء في المجتمع ما لا يعلمه إلا الله، بتفريق بين المتزوجين أو المتحابين، أو إكراه الإنسان على ما لا يريده أصلا، أو التحايل بأخذ مال الشخص دون إرادته، وقد يأمرون بعض زبائنهم الذين يردون إليهم بارتكاب جريمة كبرى لتتحقق آمالهم المطروحة لديه؛ كقتل نفس، أو شرب خمر، أو ارتكاب فاحشة، وما إلى ذلك من المحرمات، مما يدل على خبث أولئك الأشرار الكذابين، واستخفافهم بأمور الدين، مما جعلهم يستحقون القتل؛ تطهيرا لأرض الله؛ لأنهم يفسدون فيها بعد إصلاحها.

المطلب الأول

تاريخ وصول الشيعة إلى السنغال، وأماكن وجودهم فيه

السنغال أرض خصبة للدعوة إلى الله كما هو كذلك للدعوة إلى غيره، بفضل عامل الانفتاح والديمقراطية التي أورثنا إياها المستعمر الفرنسي، بالإضافة إلى انتشار الجهل بالدين وتعاليمه لدى معظم السكان بمختلف الفئات والأجناس، وخصوصا لدى النساء، الشيء الذي يمهد الطريق أمام أي دعوة، حقا كانت أم باطلة.

ولعل هذا ما جعل الشيعة يفكرون في نشر عقائدهم بين المجتمع السنغالي ومحاولة تثبيت جذورها فيه منذ ١٩٦٩م عند مجيء عبد المنعم الزين زعيم الشيعة الاثني عشرية وقائدهم الأعلى في السنغال، وذلك قبل الثورة الإيرانية (١٩٧٩م) كما صرح بذلك أثناء مقابلته مع قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ٢٢/١/٢٠١٠م حيث قال: (...لا تنس أن وجودي في السنغال قبل قيام الثورة الإيرانية بأكثر من عشر سنوات)، وهو لبناني الأصل، قدم السنغال منذ ذلك التاريخ بهدف نشر عقيدة الشيعية ألاثني عشرية، حسب بيانه في كتابه المعنون ب "مذهب أهل البيت" حيث قال فيه : (ومما ادخرته ليوم الجزاء ما من به الله تعالي على أوائل عملي من إقناع بعض الشباب من أبناء السنغال بطريقة أهل البيت عليهم السلام، فأعلنوا ولاءهم للنبي وآله)[1].

وكأنهم بهذه العبارة لم يكونوا على ولائه من قبل!! تصديقا لما يعتقده الشيعة في أهل السنة وغيرهم من المسلمين بأنهم في كفر وضلال ما لم يعتنقوا مذهب الشيعة، بل ربما كفرهم أشد من اليهود والنصارى عندهم!.

(١) عبد المنعم الزين، مذهب أهل البيت، ص: ٢٠، نقلا عن المقال المذكور؛ لأني لم أعثر بعد على الكتاب.

ولشيخهم هذا جهود وإنجازات كبيرة في صالح الدعوة إلى التشيع، مما لا يستهان بها، كالإشراف على المؤسسات والمدارس والمساجد والمراكز التابعة لهم، وما يجرى فيها من برامج ومناشط دعوية متنوعة في كل وقت وحين، وأحرى في رمضان، كالمسئول الأول في تسيير هذه الأمور، ولهم اليوم مساجد ومدارس وحوزات منتشرة في بعض المناطق السنغالية، وخصوصا في "داكار" و"كاولاخ" و"كاسمانس" و"انجاسان" و"كر مادارو" قرب مدينة "تياس" و"كولدا" و"دار جولوف"، إلا أنهم يبالغون في الأعداد كعادتهم، ادعاء بكثرتهم وانتشارهم في البلد، تبريرا لأحقيتهم في الوجود فيه، كما أن هذا الوجود الشيعي في تلك المناطق لا يفسر سيطرتهم عليها، أو كونهم الأغلبية فيها كلا وحاشا!

بل لأهل السنة في كل المناطق المذكورة وغيرها في الأراضي السنغالية وجود أكبر وأثبت، ودعاة يؤدين واجبهم حسب الإمكان، والواقع أن الشيعة قلة في كل المناطق المذكورة لأسباب أذكرها بعد قليل.

وهذا من الوقائع التي يعيشها اليوم السنغال، ولا يختلف فيها اثنان إلا مكابر ومعاند.

المطلب الثاني

وسائل الشيعة لنشر عقائدهم في السنغال

وللشيعة وسائل متعددة لنشر عقائدهم المنحرفة وأفكارهم الفاسدة منها ما يلي:

١- **الابتعاث**: فقد أدرك الشيعيون أهمية هذه الوسيلة وخطورتها في نشر أفكارهم وعقائدهم في أي مجتمع، فبادروا بمنح عدد من الطلاب السنغاليين حاملي الشهادات الثانوية وعندهم الرغبة في مواصلة دراستهم — منح دراسية في إيران أو لبنان؛ لأنهم رغم حرصهم على التحصيل العلمي، لتحقيق أهدافهم السامية ما سنحت لهم فرص أخرى؛ لأن المنح الدراسية من الدول العربية محدودة جدا لا تخطى هذا الحجم الهائل من المتخرجين في الثاتويات سنويا، وهم أيضا لا يجدون في بلدهم ولا في الدول المجاورة جامعات عربية تستوعبهم جميعا، مما يدفعهم إلى ذلك البديل الخطير، رغم إدراك بعضهم تلك الخطورة الكمينة وراء ذلك، ولكن فما الحل؟.

ومن المعروف أنهم يتلقون فور وصولهم إلى إيران تكوينا دقيقا من طرف متخصصين ليرجعوا إلى بلادهم دعاة للمذهب الشيعي ومدافعين عنه، ولطلاب مدرسة "حوزة الرسول الأكرم" - التي سيأتي الكلام عنها قريبا- النصيب الأوفر من تلك المنح حيث توزع عليهم بعد أربع سنوات يقضونها على أيدي الأساتذة لبنانيين وسنغاليين تخرجوا في لبنان أو في إيران، كما توفر لهم الحوزة السكن الداخلي، ومكتبة مليئة بالكتب، كما أن دراستهم مجانية.

ومن أولئك من يرجع سالما - بفضل الله وتوفيقه- لاكتشافه أباطيل تلك العقائد التي ترتكز على بغض أصحاب النبي ﷺ وسبهم، وهم حملة الوحي ومبلغي الرسالة إلى الأمة، الفائزين بمغفرة الله ورضوانه بنصوص قرآنية حيث يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ

اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧] وفي قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] وفي آيات أخرى كثيرة، ومنهم من يرجع مع الأسف متأثرا بتلك العقائد المنحرفة، بل ويدعو إليها بعد العودة إلى الوطن، مدافعا عنها، وقد يعرف هذا بطلان مذهبهم وفسادها إلا أنه يظل فيه ويدعوا إليه بدافع مادي فحسب، وهذا من مشاهداتنا اليومية.

ومما يؤكد هذا ما أشار إليه رئيس مجمع أهل البيت العالمي في أحد اللقاءات التي أجريت معه عندما سئل : "هل لديكم اتصال مع المبلغين في سائر البلدان؟" فأجاب قائلا: "نعم كما تعلمون فإنه بعد انتصار الثورة الإسلامية ازدادت أعداد طلاب العلوم الدينية الوافدين إلى إيران، ولدينا لحد الآن ١٢ألف خريج، لذا فمن الضروري تنسيق التعامل معهم لتوفير أرضية عمل تبليغية مناسبة لهم، ونحن لدينا تواصل مع ٢٥٠٠ مبلغ محلي في بلدان متعددة"[١].

٢- **وسائل الاتصال الحديثة**: كالشبكة العنكبوتية العالمية "الإنترنت" بإنشاء مواقع كثيرة يتم التواصل عبرها مع العالم الخارجي؛ لإيصال رسالتهم، ومن المعروف أن الشعب السنغالي مولع بمواكبة متطلبات العصر الحديث من التقنيات ووسائل الإعلام عموما والإنترنت خصوصا، ولذلك يعتبر وسيلة مهمة من وسائلهم في هذه المنطقة وغيرها.

٣- **مؤسسات تعليمية ومراكز دعوية ومساجد** أذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) التشيع في إفريقيا، تقرير ميداني قام به مجموعة من الباحثين بإشراف ياسر بن ماطر المطرفي، ص:٤١، مؤسسة الإسلام اليوم الرياض، ط: ١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠.

أ- "**حوزة الرسول الأكرم**" التي تقع في العاصمة "داكار" بحي "POIN-E" وهي مركز وبداخله مدرسة تابعة للحوزات القمية الإيرانية، وهي من أهم مراكزهم في البلد، يستلم خريجو هذه المدرسة منحا دراسية لمواصلة دراستهم في إيران، وقد وصل أول دفعة منها إلى إيران عام ٢٠٠٧م.

ب- "**كلية فاطمة الزهراء**" وهي مدرسة شيعية تبدأ من روضة الأطفال إلى الثانوية، تقع بجانب أكبر موقف للنقل الجماعي في داكار"بومبي" ينتمي إليها مئات طالب وطالبة، أكثرهم من الجاليات اللبنانية ومنهم سنغاليون، يدرسون فيها عقائد شيعية بالإضافة إلى اللغة الفرنسية، وملحق بمسجد كبير يصلي فيه في الغالب أصحاب المحلات التجارية التي حوله وهم من أهل السنة ولكنهم عوام لا يميزون بين هذا وذاك(١).

ت- **مؤسسة المزدهر الدولية**: تقع في "يوف" قرب مطاردا كار الدولي، بناها أحد السنغاليين من أصل الموريتاني اسمه"محمد علي شريف حيدر" انتقل مع والده إلى قرية تسمي "دار الهجرة" قرب مدينة "غوناس".

قام هذا الرجل بتنظيم مؤتمر شيعي دولي في معرض داكار الدولي حضره عدد من كبار علماء الشيعة من أوروبا وأمريكا وإفريقيا قبل فترة، وله مناشط كثيرة.

ومن أنشطة هذه المؤسسة ما يلي:

أ- بناء المدارس، والمساجد الشيعية، وحفر الآبار، وكفالة الدعاة، وإيجاد مشاريع تنموية ترجع ربحها إلى مصالح أنشطتهم الدعوية وغيرها(٢).

---

(١) انظر: التشيع في إفريقيا، المصدر السابق، ص:٤٣، و المقال المعنون بعنوان: "حول الشيعة في السنغال"، أبو محمد أحد الدعاة السنغاليين وهو نسخة إلكترونية لم ينشر، ص:٧ فما بعدها.

(٢) انظر: المقال الذكور آنفا، ص:١٠.

ب- المؤسسة الإسلامية الاجتماعية: تتمثل في مبني يقع في وسط العاصمة داكار في شارع (أحمد حسن ندوي)، يتكون من أربع طوابق، يوجد بداخله مسجد كبير ومكاتب إدارية وصالة للمحاضرات، ومنزل شيخهم عبد المنعم، كما يوجد فيه قسم خاص للنساء الداعيات بهدف تشييع السنغاليات، وهناك عيادة طبية ملتصقة بالمبني مقابل الشارع، تستقبل المرضي برسوم رمزية أي ٢٠٠٠فرنك ما يساوي ١٠ريال تقريبا للفحص، ثم العلاج يكون مجانا، كما أخبرني أحد المسئولين هناك أجريت المقابلة معه في مكتبه في المؤسسة الذكورة[١] وبني المبني بتمويل الجاليات اللبنانية من تجار الشيعة، وتم فتحها ١٩٨١م[٢].

ب- استغلال السفارة الإيرانية بدكار لتحقيق مشاريعهم المختلفة من فتح المدارس وبناء المساجد والمراكز العلمية وشحن حاويات الكتب من إيران إلى السنغال وغيرها.

ج- توزيع الكتيبات العربية والمترجمة بالفرنسية مثل: "ثم اهتديت" و"الشيعة هم أهل السنة" و"مع الصادقين" "ليالي بشاور" و"لما ذا اخترت مذهب الشيعة" وغيرها، كما كان لهم مجلة باسم "المزدهر".

د- أنشطة اجتماعية؛ كالعلاج للمرضي، وتوزيع المواد الغذائية والملابس على المحتاجين.

هـ- تمويل دعاتهم ببناء مساجد ومدارس في مناطقهم وقراهم وغير ذلك من الوسائل التي تعينهم على التأثير في القوم تأثيرا مباشرا[٣].

وهذه العوامل المذكورة هي الأهم فيما يستخدمها الشيعة لنشر مذهبهم في السنغال، ومحاولة ترسيخه في قلوب الشعب؛ الشيء الذي لا يتأتي بالسهولة لأسباب أذكر بعضها في المطلب التالي.

---

(١) أجريت المقابلة مع محمد نيانغ، أحد المسئولين في المؤسسة، بتاريخ ٢٠/٩/٢٠١٠م، في مكتبه في مقر المؤسسة.

(٢) انظر: صورة لهذه المؤسسة في الملحق رقم(١٥).

(٣) انظر: موقع فيصل نور، الشيعة في السنغال، بتاريخ ١٤/١١/١٤٣١هـ.

المطلب الثالث

الدَّعوة إلى التَّشيُّع، وموقف الشَّعب منها

الشيعة في السنغال ترتكز أساسا على الجالية اللبنانية التي تقدر مابين ١٥ إلى ٤٠ ألف نسمة إذا جمعنا التقديرات والإحصائيات الواردة حول هذا الموضوع، وغالبيهم شيعة والبقية نصارى، وهم يمتهنون في الغالب بالتجارة، بل لهم من المراكز التجارية الكبرى في المدن السنغالية الشيء الكثير، وفيهم انتشر التشيع بشكل واضح وجلي، أما لدى غيرهم من السنغاليين لا تكاد ترى من يتشيَّع من السنيين رغم الجهود الجبارة التي يبذلها دعاة هذا المذهب الباطل بوسائل متنوعة ومتعددة، تكتنفها إغراءات مادية كما هو معروف عندهم.

وذلك أن غالبية الشعب السنغالي متصوفون، تربوا وترعرعوا في حظيرة الصوفية، وبالتالي لا يمكن خطفهم هكذا بسهولة؛ لأنهم تحت أمر شيوخهم ليلا ونهارا كما عرفنا، وأيضا لا يتحملون من أحد أيا كان يسب الصحابة أو يذمهم، لأنهم في الحقيقة من أشد الناس حبا للنبي ﷺ وأصحابه رغم انتشار البدع والخرافات بين أوساط الشعب، ومن أقرب دليل على ذلك كثرة أسمائهم في المجتمع السنغالي، وخصوصا ممن بشر منهم بالجنة، عليهم جميعا رضوان الله تعالى.

وعلى هذا يقول أحدهم "إننا نريد للإخوة الشيعة أن يركزوا جهودهم علي اليهود ونحن معهم، لا أن يفككوا وحدة مجتمع يعتمد على المذهب المالكي منذ ألف عام"[١]

(١) التشيع في إفريقيا، المصدر السابق، ص:٨٣.

وربما لا يدري هذا أن نظرة الشيعة إلى اليهود والنصارى خير من نظرتهم إلى أهل السنة، بل ويرون أن في قتل كل منهم أجر وثواب، ولكن الثواب في قتل السني أكبر وأعظم! إلا أنهم يتسترون بالتقية التي من أصول عقيدتهم حتى لا يتنبه لهم أحد، (هذه صفة الرافضة، فشعارهم الذل، ودثارهم النفاق والتقية، ورأس مالهم الكذب، والأيمان الفاجرة، إن لم يقعوا في الغلو والزندقة يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويكذبون علي جعفر الصادق بأنه قال: "التقية ديني ودين آبائي")[(١)].

وما ذلك إلا افتراء؛ بل كان دينهم التقوى لا تقية؛ لأنهم من أصدق الناس قولا، وأكثرهم تقوى، وأعظم قدرا.

ومن تلك المواقف ما أجابه أحد زعماء الصوفية في الطريقة المريدية "شيخنا البكي" وهو من أحفاد مؤسس الطريقة المذكورة في سؤال له عن موقف الطريقة المذكورة من النشاط الشيعي في البلد فقيل له: (قرأنا عن وجود محاولات لنشر المذهب الشيعي في السنغال واستغلال انتشار النزعة الصوفية التي تقترب من الشيعة في بعض الجوانب لهذا الغرض، فما الدور الذي تلعبه الطريقة "المريدية" لمواجهة هذه المحاولة؟) فأجاب قائلا: (﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] وقد تمكنت السنغال التي كانت العاصمة الفرنسية لغرب إفريقيا من الحفاظ على إسلامها، وعندما خرج الاستعمار كان ٩٥٪من السكان مسلمين، وحدث هذا بفضل الطرق الصوفية، والآن تأتي ظاهرة التشيع ويستعمل الشيعة نفس المنهج الذي استخدمه الاستعمار وفشل؛ ألا وهو الإغراءات المادية، وهنا يأتي دورنا في تأصيل التصوف، والعمل من خلال العمل الإسلامي على توجيه الشباب للتمييز بين الصحيح والسقيم،

(١) انظر: (المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال)، ص: ٧٣، وهو مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، اختصره الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، (٦٧٣-٧٤٨هـ)، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤١٨هـ.

وبتوفيق من الله سنقف أمام جميع التيارات المنحرفة، سواء تلك التي تسمي بأسماء إسلامية أو غير إسلامية، وستظل كلمة الله هي العليا)[1].

ومما سبق يتضح وجود يقظة ووعي تام لدي بعض أفراد الشعب من خطر الشيعة في الساحة، مع الاعتراف بجهل السواد الأعظم منهم عن الخطر الذي يكمن وراء هؤلاء، ولذلك تري من يميل منهم إلى محبتهم، وتعليق صور علمائهم كالإمام القميني وغيره في بيوتهم، والتنويه بجهودهم في التعاون مع بعض الدول الإسلامية، وموقفهم الإيجابي تجاه القضية الفلسطينية دون بقية الدول الإسلامية، وثباتهم أمام تهديدات الأمريكية وغيرها.

ولكن هؤلاء قلة، وليس هناك تأثير أو تأثر في أوساط الشعب السنغالي مما يستحق الذكر إلى الآن، ولا ما يدعو إلى الخوف لمستقبل الشيعة في هذه البلاد لمن يتأمل وهو يعرف تماما طبيعة السنغاليين وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومع ذلك لا ينبغي الغفلة وعدم اليقظة لدي السنيين، بل يجب الحذر والانتباه وأخذ أسباب النصر وهو العمل والإخلاص بعد التوكل على الله سبحانه.

(١) التشيع في إفريقيا، مصدر سابق، ص:٩٠-٩١.

المطلب الرابع

مصادر الدَّعم المادي والمعنوي للشيعة في السنغال

ومن المعلوم أن سياسة الزعماء الإيرانيين تدعم وتساند بقوة في كل وقت بنشر العقائد الشيعية في جميع أرجاء العالم حسب علاقتها مع تلك الدول التي فيها وجود شيعي.

أما العلاقة السنغالية الإيرانية فقد مرت قبل فترة بمراحل حرجة حتى دعي كل من البلدين سفارته في البلد الآخر، وذلك لظن الحكومة السنغالية العلمانية بأن إيران تدعم الحركة الإسلامية في البلد، ولما علمت أن إيران لا تنوي ذلك بل هدفها نشر العقائد الشيعية تصالحت معها، حيث يتم تبادل الزيارات بين البلدين منذ وقت طويل كما زار الرئيس السنغالي عبد الله واد إيران فبل بضعة أشهر، وكما تم الاتفاق بين البلدين علي تنفيذ مشروعات ذات مصالح مشتركة بين البلدين في مجالات مختلفة.

ومن تلك الاتفاقيات موافقة إيران على بناء معمل للنفط والمواد البترو –كيماوية في السنغال حسبما جاء في موقع:"b.b.c" في ٦/٨/٢٠٠٨م ومعمل لتركيب السيارات التابع لشركة إيران "خودرو" الرسمية في السنغال، وهذا الأخير بدأ أعماله في الآونة الأخيرة بالفعل[١].

وبفضل هذه العلاقة المتميزة تم فتح قسم فارسي في جامعة داكار "جامعة شيخ أنت جوب" الذي يتم عن طريقه شحن الكتب الشيعية إلى السنغال، بالتنسيق مع السفارة الإيرانية في البلد، بهدف نشر وتثبيت العقائد الشيعية فيه كما قلنا آنفا، وفي هذا القسم تدرس المذهب الشيعي باللغة الفارسية، كما أنه مدعوم بمكتبة عامرة بكتب فارسية، أضف إلى ذلك جهود المؤسسات والمساجد والمراكز التابعة لهم

(١) التشيع في إفريقيا، مصدر سابق، ص: ٣٤٧فما بعدها.

في بعض المناطق السنغالية في نشر عقائدهم، بالإضافة إلى مساهمات الجاليات اللبنانية الذين لهم أموال طائلة، بل هم من أغني الأغنياء في البلد؛ لأن أكبر المراكز التجارية في البلد تابعة لهم، شأنهم في كثير من البلدان الإفريقية.

وعلى هذا نفهم أن للشيعة في السنغال عاملين أساسيين ومهمين في نشر عقيدتهم، هما:

١- **العامل المعنوي**؛ ويتمثل في جهود الحكومة الإيرانية عن طريق السفارة الإيرانية بداكار، ما يساندها حسن العلاقة بين البلدين؛ بل كونها متميزة.

٢- **العامل المادي**؛ ويتمثل في الدعم الذي يأتيهم عن طريق الحكومة الإيرانية، وعن طريق الجاليات اللبنانية الأغنياء، بالإضافة إلى ما يكتسبونه من المراكز والمؤسسات التعليمية وغيرها.

إلا أننا لاحظنا في هذه الأيام الأخيرة نوعا من التدهور في العلاقة بين البلدين، بسبب شحنة الأسلحة الإيرانية التي ضبطت في نيجريا وكانت متوجهة إلى جنوب السنغال حيث مركز المتمردين المطالبين بالانفصال عن السنغال منذ فترة طويلة، وتلك السفينة من إيران حسبما تناولتها الصحف المحلية، وحكومة السنغال بدورها طالبت على لسان وزيره الخارجي من إيران بتقديم تفاصيل كافية حول الموضوع، وإلا سوف تتخذ الإجراءات اللازمة نحوه، وكذلك استدعي سفيره في طهران؛ إلا أن الأمر انتهي أخيرا بمصالحة مالية قدره ١٠٠ مليار فرنك"عملة البلد" لصالح السنغال.

وهذا يعطينا إشارة واضحة إلى سياسة إيران في نشر مذهبها الباطل حول العالم، إما بتقديم المال لكبار المسؤولين في تلك البلاد ليفتحوا لهم الأبواب ويرفعوا عنهم الحواجز، وإما بقوة وإحداث بلبلة وفوضى في الأماكن التي يهدفون إليها.

هذا وقد تضاربت التحليلات بين السنغاليين حول موفق الحكومة تجاه هذه القضية الخطيرة، حيث يرى البعض باحتياج البلد إلى إيران في تنفيذ مشاريع كثيرة في السنغال، بعضها شرع فيها بالفعل وبعضها تحت الدراسة، بينما يرى آخرون بفشل الزعماء في قيادة البلد نحو الأفضل، والنظر إلي مطالب المواطنين والمصالح العامة ورأى الجمهور، وإلا فلا يقدمون لمثل تلك العلاقات والتصرفات التي تهدد أمن البلد واستقراره عاجلا أو آجلا.

وبعضهم يحسنون الظن بالمسؤولين في موقفهم هذا تجاه القضية، بأنهم في حاجة إلى تلك الأموال لإنقاذ البلد الذي يعيش حاليا أسوأ مرحلة في تاريخه من غلاء الأسعار للمواد الأساسية، وانقطاع الكهرباء المستمر في بعض المناطق لأكثر من ٢٤ ساعة أحيانا، وأصبح هذا الأمر شبه يومي ما يزيد الحالة الاقتصادية سوءا؛ لأن أكثر القطاعات في البلد تعتمد في أعمالها علي الكهرباء، ما أدى إلى شلل شبه تام في بعضها، أما الطرق المناسبة والجيدة لا تكاد تراه إلا في وسط العاصمة.

وعلى كل حال الفساد في هذا البلد عريض وكبير للغاية، مع العلم بأن كاهلته مثقلة بالديون، ثم لا يهمهم إلا تشجيع الشباب والأطفال باللهو واللعب تخديرا لهم حتى لا يتنبهوا لما يجرى في الحقيقة، وتسلية لما يعانونه من البطالة والفقر، وهم أودعوا مليارات الدولة المختلسة في البنوك الأوروبية والأمريكية.

المطلب الخامس

موقف دعاة أهل السنة من المد الشيعي في السنغال

هناك اضطراب عقدي في أول الأمر لدى أوساط الشعب السنغالي، وخصوصا لدى الشباب، مما أدى إلى اعتناق بعضهم المذهب الشيعي بسبب الإغراءات المادية، وبالإضافة إلى الجهل بحقيقة هؤلاء، ولكن ذلك لم يمكث طويلا بفضل الله تعالي وتوفيقه، ثم بالجهود التي بذلها العلماء والدعاة السنيين لسد هذا الخطر القادم، ويمكن تلخيص تلك الجهود فيما يلي:

١- فتح مدارس إسلامية يدرس فيها علي منهج أهل السنة والجماعة، وبعضها من الروضة إلى الثانوية.

٢- تنظيم دورات شرعية هادفة لتطوير الدعاة وتنمية مهاراتهم وخبراتهم الدعوية.

٣- إقامة مناظرات علمية معهم في بعض القنوات التلفزيونية، والمحطات الإذاعية، مما يفضحهم ويفحمهم أمام الجمهور؛ وفي يوم الاثنين ١٤/٤/٢٠٠٨م اجتمع شباب من أهل السنة مع ستة عشرة شابا من طلاب "حوزة الرسول الأكرم" - السابق ذكرها – من العصر إلى الساعة العاشرة ليلا في مناظرة ساخنة؛ ولم تنته الجلسة حتى أصبحوا في حيرة وشك في عقيدتهم، مما دفع بعضهم فيما بعض إلى الحق والصواب بعد قراءتهم على الكتب والكتيبات

التي وزعت عليهم مع نهاية الجلسة، مثل كتاب "أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق" و"كشف الجاني" و"ماذا تعرف عن الشيعة" وقرص"جرائم الرافضة عبر التاريخ" وهي عبارة عن فلم وثائقي يعبر مضمون

العنوان الشيعي لأهل السنة والجماعة، ترجمه أحد الزملاء الداعية باللهجة "الوولفية" السائدة في البلد، وقد وزع منها آلاف النسخ بين المجتمع، ولها نتيجة طيبة وملموسة[١].

٤- المنابر؛ ولأهل السنة والجماعة مساجد كثيرة في مختلف أرجاء البلاد، وهم يدركون تماما أهمية المسجد في إيصال الرسالة؛ ولذلك لم يهملوا هذا الجانب.

٥- الجانب الاجتماعي والإنساني؛ متمثلا في بناء دور الأيتام، وتنظيم إفطار الصائم، وتقديم كسوة العيد، والأضاحي للفقراء، وغير ذلك من أنواع الخير والتواصل الاجتماعي.

ولاشك أن هذا الموقف المشرف واجب ديني وإنساني، ولكن يتطلب إلى دعم مادي ومعنوي كبير، وخاصة إذا علمنا ما للطرف الثاني من إمكانيات عالية كما سبق.

(١) انظر: موقع فيصل نور، بتاريخ ١٣/١١/١٤٣١هـ.

المطلب الأول

تاريخ وصول الكتاتيب إلى السنغال

عندما يتقدم الباحث للكتابة عن الكتاتيب في السنغال فإنه لم يقتحم بابا غريبا عنه، ولم يتسرع لعرض تصوراته أو مجرد طرح وجهات النظر لديه، نتيجة اجتهادات باردة؛ بل إنه يتناول قضية عاشها سنوات عديدة، وذاق طعمها بالفعل، كما أدرك أهميتها في حياة الفرد والمجتمع؛ لأنه من خريجيها.

أولا/ تعريف الكتاتيب: هي جمع كُتاب؛ وهو المدرسة القرآنية، والمؤسسة التي تعنى بتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم وتربيتهم تربية إسلامية أصيلة، وتأهيلهم للاندماج بنجاح في حياة المجتمع الذي يعيشون فيه. ويطلق عليه بمصطلح السنغاليين اسم"دَارَه".

أقول في هذا المقام ما قاله د. **خديم امبكي** بأنه لم يعثر على مصادر تناولت هذا التعليم قبل القرن الرابع عشر للميلادي، لكن تبين من دراسة الوثائق المعتمدة أن الرعيل الأول من المعلمين كانوا من الشمال الإفريقي، أي من البيض، وحل محلهم تدريجيا مواطنون ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي، هذا ما لاحظته أنا أيضا من المراجع التي صادفتها أثناء البحث(١).

ومع ذلك لا يمكن استبعاد وجود أفراد تعلموا القرآن قبل هذا التاريخ، إذا علمنا أن وصول الكتاتيب إلى السنغال مرتبط بوصول الإسلام في المنطقة كما قرر عدد ممن أجريت معهم المقابلة من فوارس هذا الميدان(٢) وهو مقبول بعد التحقق؛ لأن من المسلم وجوب تعلم الإنسان دينه وكتابه بعد دخوله في الإسلام، ولا يعقل أن يبقي الشعب السنغالي المسلم دون تعلم كتاب الله بعد وصول

(١) مؤسسات التعليم الإسلامي والمساجد في السنغال، مصدر سابق، ص: ١٤بتصرف بسيط.

(٢) سرين خادم جاي، نائب الأمين العام لرابطة المدارس القرآنية في السنغال، ورئيس فرع في مدينة داكار، تمت مقابلته في مدرسته بتاريخ (٢٦/٣/٢٠١٠م)، وسرين مصطفى جوب ندر الأمين العام للرابطة المذكورة في مدينة طوبى امباكي بتاريخ (٥/٤/٢٠١٠م).

الإسلام إليهم لمدة تلك القرون العديدة، مع ما نعرفه من هذا الشعب العريق الغيور على دينه الإسلامي، وحبهم القرآن الكريم، وذلك طبقا لما صرح به الرحالة المغربي ابن بطوطة الذي زار المنطقة في القرن السادس الهجري، حيث يقول: "إن تعليم القرآن الكريم كان منتشرا، وإن القبائل كانت تنافس في تحفيظ القرآن لأبنائها، وأن الزنوج كانوا مولعين بتعلم القرآن، وأنهم كانوا يضعون السلاسل على أرجل الأولاد الذين ينفرون من تعلم القرآن، ولا يزيلون هذه القيود إلا بعد حفظهم للقرآن الكريم"[1].

وهذه العادة تفسر مدى حرصهم على تحفيظ الأولاد كتاب الله ﷻ، ومازالت موجودة إلى اليوم في بعض الكتاتيب، وإن تضاءلت وتراجعت إلى حد بعيد، لأسباب كثيرة منها: منع الحكومة من ذلك، ووضع عقوبة صارمة على كل من خالف ذلك في السنوات الأخيرة، أضف إلى ذلك أن تلك العادة لا يستحسنها ولا يرحب بها كثير من أولياء أمور الأولاد في وقتنا الحاضر، بخلاف ما كان قبل ١٥ سنة من الآن تقريبا.

وحق لهم ذلك؛ فتلك محض جاهلية موروثة كابرا عن كابر، وهي بعيدة كل البعد عن الكرامة الإنسانية التي وهب الله عز وجل إياها الإنسان، يكفيها سخفا ما فيها من تقييد الحرية للطفل، وتحطيم نفسيته ومعنوياته.

أما تحديد الشخص الذي بادر في نشأة الكتاتيب في السنغال فليس بسهل تبعا لصعوبة تحديد تاريخ بدايتها بالضبط كما رأيت.

---

(١) تحفة النظار، مصدر سابق، ص: ٥٣٥-٥٣٦.

ولكن نذكر هنا بعضا من رواد التعليم الإسلامي في السنغال من الرعيل الأول لا من باب الحصر، **القاضي عمر فال**، والإمام **عبد القادر كَن**، **وسليمان بال** أول إلمام (إمام) في "فوتا" كما يقول د. عمر صمب، **والشيخ عمر الفوتي** المتوفى (١٨٦٤م) **وقاضي مجختي كَلَ** المتوفى : ١٩٠٢م **ومختار دومبي جوب، وأحمد بامبا سَل، والحاج امباكي بوصو**، المتوقي (١٩٤٨م) **وسرين محمد دم الجربلي، ومحمد بن حبيب الله البكي** (١٨٨٣م) **والحاج مالك سي** المتوفى (١٩٢٢م)، **والشيخ أحمد بامبا** (١٨٥٣-١٩٢٧م)... وغيرهم[١].

هؤلاء وأمثالهم هم الذين جاهدوا وقاموا بنشر الكتاتيب القرآنية التي تعتبر أولى مؤسسات تعليمية في السنغال، والتي لها دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية بين أبناء البلد ومازال.

المطلب الثاني

أنوع المدارس القرآنية في السنغال

وفي السنغال تعد المدارس القرآنية بالألوف، بل لا يمكن حصرها على الإطلاق؛ لأنه لا توجد وزارة أو جهة معينة تعنى بشؤونها، وهي منتشرة في طول البلاد وعرضها، كما تزداد يوما بعد يوم، وتتشكل بأشكال مختلفة، تتلخص فيما يلي:

١- نظام داخلي تقليدي؛ ولهذا النوع صورتان:

أ- تتوفر فيه للتلميذ خدمة التعليم، والسكن، والمعيشة، بدون مقابل، حيث يتولى كل التكاليف أحد الأثرياء من أبناء البلد، وهذا النوع قليل بمقارنة غيره.

(١) مؤسسات التعليم الإسلامي والمساجد في السنغال، مصدر سبق ذكره، ص: ١٤.

ب- توفر المدرسة للتلميذ التعليم، والسكن، والمعيشة، مقابل قيامه بأنشطة اقتصادية لمعلميه في ساعات معينة، يحددها الشيخ المعلم.

٢- نظام داخلي حديث: وفي هذا القسم يتمتع التلميذ بالرعاية، والتعليم، والسكن، مقابل رسوم شهرية يتكفل ولي أمره دفعها، ويتراوح قدرها ما بين: (١٥٠٠٠) إلى: (٣٠٠٠٠) فرنك "عملة البلد" حوالي: (١٠٠ ريال) إلى: (٢٠٠ ريال).

٣- نظام مزدوج: قد تجد مدرسة واحدة تجمع أكثر من نظام من الأنظمة المذكورة، كل تلميذ يطبق عليه نظام واحد من تلك الأنظمة.

ويرسل الطفل غالبا في سن السابعة من عمره إلى الكتاتيب، وربما لا يرجع إليه والده بعد ذلك ليتفقد أمره، أو ليعرف أهو حي أم مات!! حتى يحفظ الطفل ويتقن وينسخه عن ظهر الغيب،[(١)]، وهذا بالنسبة للقسم الأول بشقيه! حيث يعاني التلميذ في هذه المرحلة أشد أنواع التعذيب بأساليب مختلفة؛ من الضرب لمبرر وغير مبرر، وقد يكون السوط من حديد، وقد يؤمر بالوقوف إجباريا لساعات طويلة دون السماح له بالجلوس، عقوبة عليه في حالة عدم حفظه ما يلزم، وقد يكون بالتجويع مما قد يؤدي إلى أمراض في جسده قد تعرضه للموت... وكل ذلك كانوا يفعلونه على أساس عقيدة فاسدة وهي: على قدر تعب التلميذ في الكتاتيب أثناء تحفيظه تكون بركة علمه، وبالتالي سوف يعيش مكرما ومعززا في مستقبله، كما أنهم يهدفون من وراء تلك المعاملة القاسية ترويض نفوس الأطفال على تحمل أعباء الحياة ومجابهة المشاكل في مستقبل حياتهم كما يقولون.

(١) هذه عادة عريقة وأصيلة في البلد، حيث يكتب الولد مصحفا بخط يده بعد ما تم حفظه، نظرا لقلة المصاحف في قديم الزمان، بالإضافة إلى ما يكتسبه الولد بزيادة الحفظ والإتقان في ذلك.

إلا أن مـن الملاحـظ انكمـاش تلك الظـاهرة وتقلصـها بشـكل كبـير في السـنوات الأخيرة، بالأسباب التي ذكرتها آنفا.

أما الأدوات التي يستخدمون في التعلم والتعليم فغالبا ما تكون مع المبتدئ بالألواح الخشبية المنحوتة مـن أنـواع الأشـجار المعروفـة لـديهم مثـل "دِمبُـوأ" و "سُـومبُو" و "خَـي" و"وِيـن" ونحوهـا، ويكتـب عليهـا للتلميذ الحروف الأبجدية ليميزها، وإذا أتقنها يكتب له الفاتحة، ثم قصار السور بالتهجي أولا، ثم بالحفظ والتسميع، ويكتب له سطرا أو سطرين أو أكثر حسب قدرته وذكائه حيث يتحسسه المعلم مع استمرار الوقت معه، والكتابة تكون بالدواة المصنوعة من السواد العالقة من القدر بعد الطبخ، أما القلم فيتخذ غالبا من الخوص، وكل ما امتلأت اللوحة تغسل بالماء ويبدأ من جديد وهكذا، وإذا تجاوز التلميذ بعض الأجزاء يبدأ بالمراجعة في المصحف مقطعا ومفرقا في الغالب، حفاظا على ضياعه وتسهيلا على التلميذ في نظرهم.

وبعد حفظ التلميذ القرآن كاملا حفظا تاما يبدأ بتعلم مبادئ العلوم الشرعية: من التوحيد والفقه والحديث ومصطلحه وكذلك النحو والصرف والأدب و التصوف والعروض والمنطق والبيان من الكتب المتوفرة(١).

أما في القسم الثاني والثالث النظام السائد فيهما فلا بد من تحديد أيام وأوقات معروفة يقوم أولياء أمور الطفل فيها بزيارة وتفقد أحوال أبنائهم، إلا من شذ وخالف النظام المعهود.

كما أن الأغلب في هؤلاء استخدام المصاحف المجزأة في التعلم والتعليم.

---

(١) انظر: التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٩٦-٢٩٧ ومؤسسات التعليم الإسلامي والمساجد في السنغال، مصدر سابق، ص:٩ فما بعدها.

وفي بعض هذه المدارس يضيفون برنامج دراسة اللغة الفرنسية بجانب التحفيظ، تمشيا مع متطلبات الزمان، واستجابة لرغبة بعض أولياء أمور الأطفال، وبعضها تخصص هذا المنهج للحفاظ فقط، أومن على وشك، وبعضها لا يوجد فيها أصلا هذا النوع من التعليم وهو الأكثر.

نماذج من المدارس القرآنية في السنغال:

١- **مدرسة "بِر"** وهي من أقدم المدارس القرآنية، وأكثرها نجاحا في تثقيف أبناء المسلمين وتعليمهم كتاب الله كما سبق، تأسست على يد القاضي عمر فال فوتي الأصل، المتوقي ١٦٣٧م، ولد وترعرع في مسقط رأسه "فوتا"، وهناك تعلم على العلماء فنونا من العلوم، ورغم كثرة المحاضر[(١)] ووفرة النابغين فيها لم ير إلا أن يرحل ويمتطي صهوة عزيمته إلى الصحراء، ومن هناك ازداد علما وتوسعا في مجالات مختلفة من الشناقطة[(٢)] وغيرهم قبل أن يثني عنانه إلى أرضه وأهله عالما ومعلما ومربيا[(٣)].

ولهذه المدرسة تاريخ مجيد وحافل بالنجاح؛ لأنه قد تخرج أشهر العلماء في البلد فيها أمثال **القاضي مجخت كَلَ**، **والإمام عبد القادر كَن**، وغيرهم، وقد مرت بأحداث مؤلمة لا تزال في الذاكرة، وهي فعلة الاستعمار الشنيعة المتمثلة في إضرام النار في مكتبة هذه الجامعة بكل جرأة وبكل غطرسة وعدوان في عام ١٨٦٤-١٨٦٥م مما أدى إلى ضياع كمية كبيرة من مخطوطات نادرة، وكتب قيمة، وبحوث ومراجع نفيسة كما سبق أن أشرت إليه[(٤)].

أما اليوم فهي على نوعين:

---

(١) جمع محضر: وهو مجلس العلم؛ يحضره الطلاب والعلماء.

(٢) جمع شنقيط، هي اسم مدينة في موريتانيا، وينسب إليها بصيغة شنقيطي، ثم أصبح يطلق على البلاد كلها فيقال بلاد شنقيط أو الشناقطة، كما كان يطلق على القبائل الموريتانية نفسها. انظر: (موريتانيا في الذاكرة العربية)، حماه الله ولد سالم، ، ص: ١٢، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط: ١، ٢٠٠٥م.

(٣) سيرة مؤسس مدرسة بر؛ نسخة إلكترونية غير مطبوعة، ص:١، فما بعدها كتبه أحد أحفاده.

(٤) انظر: التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص: ٣٠٠.

- النوع الأول يمثل الأصل؛ وهو اليوم عبارة عن مدرسة قرآنية على النظام التقليدي الداخلي.

- والنوع الثاني يتمثل في كلية على مستوي جامعي، وسيأتي الكلام عنها في المباحث القادمة.

٢- مدرسة "كوكي"؛ وهي من أهمها، حيث خرجت عددا كبيرا من العلماء والتجار والمهنيين وغيرهم، ومازالت تؤدي دورا متميزا في تثقيف أبناء المسلمين من المواطنين والمقيمين إلى اليوم، أما مؤسسها فقد أسسها: (**التفسير مختار اندومبي جوب**) في القرن الثامن عشر، وأصبحت اليوم مؤسسة تعليمية كبيرة تضم مستويات التعليم من الابتدائية إلى الثانوية، يلتحق بها التلاميذ بعد حفظهم كتاب الله.

٣- مدرسة (فاس طورى)، تقع في إقليم (لوغا)، وهي من أهم للمدارس القرآنية في السنغال.

٤- مدرسة (جامَل)، تقع في منطقة (سالوم)، يسكنها أسرة سيسي، ومن أشهر المدارس القرآنية في البلد، درس فيها كثير من الشيوخ وزعماء الدين.

٥- مدرسة (ديوربل) أسسها سرين **مور امبي سيسى**، تخرج فيها عدد كبير من العلماء منذ زمن طويل.

٦- مدرسة (طوبي امباكي) مدينة تم تأسيسها ١٨٨٦م على يد الشيخ أحمد بامبا "مؤسس الطريقة المريدية" لتكون مركزا للتعلم والتعليم، وهي تقع شرق داكار العاصمة على بعد ١٩٠كلم تقريبا.

٧- مدرسة (لوغا) والشيخ عبد الله صل، وهي في هذه المدينة التي تقع شمال وسط البلاد.

٨- مدرسة "تواوون" أسسها السيد الحاج ملك سي"رائد الطريقة التجانية في السنغال" وتوجد في هذه المدينة التي تقع في وسط غرب البلاد، وهي مدينة تاريخية كانت من عواصم مملكة كجور.

٩- مدرسة (سان لويس) "ندر" عاصمة السنغال أيام الاستعمار، كانت تأوي علماء بارعين في مجالات مختلفة في ذلك الوقت، لأغراض متفاوتة، كطلب العلم أو محاولة دفع ريب المستعمر أو إرضائه... وهي تقع في شمال البلاد، ومن مدارسها مدرسة **محمد سيك** المعروف ب"دود سيك بن مقداد".

١٠- مدرسة (كاولاخ) ومن روادها **الشيخ عبد الله نياس**، وهي في هذه المدينة الواقعة وسط جنوب البلاد.

١١- مدرسة (سوكون) والحاج أحمد دم، على مشارف حدود جامبيا مع السنغال، وليس ببعيد من مدينة "كاولاخ" كانت بها مدرسة للعلوم الدينية، وفي مقدمتها القرآن الكريم.

١٢- مدرسة (كُولدا) والحاج **محمد الأمين بن الزبير** في هذه المدينة الواقعة جنوب البلاد.

١٣- مدرسة (تياس) ومن روادها "ذو النون لِهْ" وهي تقع شرق "داكار" العاصمة على بعد ٧٠كلم تقريبا.

١٤- مدرسة (كدي) الواقعة شمال شرق البلاد، تخرج فيها الحاج عمر تال قبل أن يلتحق بجامعة بير وغيره من العلماء البارعين.

١٥- مدرسة (تِيَامِين جُولوف)، وهي قرية في إقليم "لوغا"، كانت مركزا للتعلم والتعليم في القرنين ١٧-١٨م، تلقي فيها عدد كبير من مشاهير علماء البلد أمثال مهرم (امباكي) جد أسرة امباكي المشهورة في السنغال، وجد عبد الله نياس والد الشيخ إبراهيم نياس وغيرهم.

هذه المدارس نماذج فقط وإلا تحتاج إلى صفحات عديدة، كفاني سردها وتفاصيلها من سبقني من العلماء والكُتاب[1]، ولكن يجد ر الذكر بأن هذه المدارس وغيرها هي النواة الأولي للمؤسسات التعليمية المنتشرة في شتي أنحاء البلاد حاليا التي سوف يتناولها الباحث في المبحث التالي، كما أن أغلب تلك المدارس ما زالت تؤدي دورها الإيجابي إلى اليوم.

المطلب الثالث

أثر الكتاتيب في نشر الثقافة الإسلامية في السنغال

قبل فترة من الزمن كان الإقبال على المدارس القرآنية ضئيلا جدا، بل كنت ترى وتسمع الاستخفاف والتهميش والسخرية في حق تلك المدارس من أعداء الإسلام والسذج من الجهلة، وفي المقابل كنت ترى إقبالا شديدا على المدارس الفرنسية، أما الآن فقد انقلبت الموازين رأسا على عقب، حيث يزداد عدد الكتاتيب يوما بعد يوم تبعا لرغبة السكان من جهة، وتزايد عدد السكان في البلد بشكل سريع من جهة أخرى، وقلما تجد مجموعة من قرى متجاورة خالية من معلم القرآن، كما لوحظ ازدياد كبير في عدد الحفاظ والمتقنين في طول البلاد وعرضها، رغم الجهود المعادية التي يبذلها محاربوا الإسلام والثقافة الإسلامية وفي مقدمتها الكتاتيب، بأساليب متعددة ومختلفة، كتدخلهم في النظم الداخلية لها، ومحاولة إيجاد التعديل في مناهجهم، وغير ذلك من المحاولات التي ستظل فاشلة بإذن الله تعالي.

(١) انظر: التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص:٣٠١، ومؤسسات التعليم الإسلامي والمساجد في السنغال، مصدر سابق، ص:١٣.

ومن أخطر تلك الوسائل التي يبذلها العدو لمحاربة الكتاتيب والثقافة الإسلامية في السنغال وسائل الإعلام بمختلف أنواعها.

ولا يخفى على المتأمل مدى حرص العدو علي استخدامها لهذا الغرض، لما لها من تأثير كبير في القلوب والأفكار، ومن ذلك ما يقوم به بعض المذيعين في الإذاعات والتلفاز من حين لآخر بنشر أخبار مصطنعة تتضمن اتهامات وأكاذيب على معلمي القرآن في الكتاتيب بهدف تثبيط أولياء أمور التلاميذ في إرسالهم إلى الكتاتيب، وبتقليل شأن المعلمين في نفوس المجتمع كخطوة لمحاربة الكتاتيب التي أدهشتهم وخوفتهم في سرعة تمددها وانتشارها، وما تحققه من إنجازات مذهلة في جميع المناطق السنغالية.

بالإضافة إلى تحول كبير في أوساط حاملي الثقافة الفرنسية، حيث إن كثيرا من أولياء الأطفال يرسلونهم إلى المدارس القرآنية في الإجازات الصيفية أو الأسبوعية ليحفظوا من القرآن الكريم ما استطاعوا، أو يدخلونهم فيها على أن يستمروا حتى الحفظ كاملا بعدما يئسوا من تحقيق أهدافهم في المدارس الحكومية الفرنسية؛ لأن عددا كبيرا منهم يتخرجون سنويا في الثانويات أو الجامعات بدون أن يجدوا وظيفة، لا نتشار البطالة في البلد بشكل واسع، فيندم هذا الإنسان على ما فات، بخلاف متعلمي القرآن والتعاليم الإسلامية تجده متفائلا بقدر كبير مهما كانت ظروفه لما يتحلى به من التربية الإسلامية التي هي المرشحة الوحيدة لحل المشكلات التي تعترض الإنسان في حياته في مختلف المجالات والميادين.

ومما سبق نرى أن المدارس القرآنية في السنغال رغم المضايقات والعوائق فهي تسير بفضل الله تعالي على الخير والبركة، وتؤدي رسالتها بكل نجاح.

أما المدة التي يقضيها التلميذ ليحفظ القرآن كاملا فتتراوح ما بين ثلاث وخمس سنوات في الغالب، ويتربون فيها تربية إسلامية سليمة، ويتأثرون بتعاليم الدين الإسلامي مما يجعلهم أفرادا متميزين

عن غيرهم في السلوك والأخلاق، ويترعرعون في حب الإسلام والثقافة الإسلامية، ولا يؤثر فيهم العدو في غزوه الفكري قد رما يؤثره في غيرهم ممن التحقوا بالمدارس الفرنسية.

المطلب الرابع

معوقات التعليم الإسلامي في السنغال وبعض الحلول لها

١- المعوقات في أيام الاستعمار:

بالغ المستعمر الفرنسي منذ وصوله إلى البلد في عرقلة التعليم الإسلامي، ووضع حد دون انتشار الثقافة الإسلامية في المنطقة، وذلك لما رأى الإعراض التام عن الفرنسية وثقافتها من الشعب السنغالي، بل ومقاومتها بشدة، اتخذت التدابير اللازمة للحد دون هذا المد المدهش!.

وأصدر بذلك قانونا في ٢٢يونيو١٨٥٧م تلزم فقرته الخامسة معلمي القرآن الكريم بإرسال تلاميذهم إلى المدارس الفرنسية العلمانية، أضف إلى ذلك فرض بعض القيود عليهم منها:

أ- يجب الحصول على ترخيص لإنشاء أية مدرسة قرآنية.

ب- لابد أن يخضع صاحب الطلب لامتحان وتحقيق، يتم عن طريق بعض الضالعين في اللغة العربية من حلفاء الاستعمار.

ت- يجب الالتزام بإحصاء عدد الطلاب وحالتهم الاجتماعية.

ث- يمنع شيوخ المدارس القرآنية من قبول أي طالب يتراوح عمره ما بين ٦-١٦ للالتحاق بها إلا بعد حصول الطالب على الشهادة الفرنسية.

ج- إغلاق المدارس غير الملتزمة بتلك الشروط، وإنزال العقوبة الرادعة بصاحب المدرسة[1].

لاشك أن تلك السياسة الاستعمارية الجائرة الظالمة وإن نجحت آنذاك في تقليل عدد المدارس في المدن الكبرى في السنغال، فإنها قد فشلت إلى حد بعيد لتحقيق ذلك في القرى النائية التي ما كانت تحترم تلك القوانين، حيث كانوا يدرسون الأطفال حسب المنهج المتبع عندهم، ويخفون التلاميذ كلما شعروا بقرب العدو.

وبهذه السياسة نجحوا في تخريج عدد كبير من حفظة القرآن الكريم، ومثقفين ثقافة إسلامية، قدموا للبلاد فيما بعد وللإسلام ما يستحق أن يكتب بماء الذهب، بينما فشل العدو في تلك التخطيطات والسياسات الجائرة أيما فشل.

هذا ما يؤكده الرجل الفرنسي "بول مارتى"[2] في دراسته عن الإسلام في السنغال، وتطور المدارس القرآنية فيه بالذات، حيث قام بمقارنة الوضع التعليمي في الكتاتيب ما بين عامي (١٩١٢-١٩٠٩م) فخلص إلى ما يلي:

عام ١٩٠٩م	عدد المدارس: ١٣١٦	عدد التلاميذ: ١٠٧١٧
عام ١٩١٢م	عدد المدارس: ١٣٨٥	عدد التلاميذ: ١١٤٥١

وبهذا يتضح مدى اهتمام الشعب السنغالي بالقرآن الكريم والثقافة الإسلامية وحرصهم على تربية أبنائهم تربية إسلامية، الأمر الذي أقلق العدو المستعمِر ودفعه فورا إلى اتخاذ تدابير حازمة وإجراءات

(١) انظر: أضواء حول التعليم العربي في السنغال، مصدر سابق، ص:٣٤٧.

(٢) انظر: دراسة حول الإسلام في السنغال (etudes sur l, islam au Senegal) par paul marty tom 2, p: 402. بول مارتى، (٤٠٢/٢)، والكتاب يوجد في المصلحة الوطنية للسنغال بداكار، ، والرجل فرنسي عاش في السنغال فترة الاستعمار، وكان مهتما بتدوين ما يجري بين الاستعمار والشعب السنغالي، وخصوصا ما يتعلق بزعماء الدين منهم.

صارمة حول التعليم الإسلامي في السنغال كما رأيت فيما سبق، إلا أنهم رغم كل ذلك فشلوا وسيظلون فاشلين بإذن الله تعالى مهما فعلوا؛ لأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

ومما يؤكد هذا الفشل إعراض الشعب السنغالي في ذلك الوقت عن المدارس الفرنسية العلمانية بشكل واضح إلى المدارس الإسلامية، رغم المضايقات والإغراءات المادية والمعنوية من الاستعمار؛ فمثلا كان في مدينة "سان لويس" (٢٠١١) طالبا وكان نصيب المدارس العلمانية منهم ٣٠٠طالبا، والباقي كله للمدارس الإسلامية، وفي "داكار" ٦٧٢طالبا وعدد الدارسين في المدارس الفرنسية منهم ٤٩فقط، والباقي من العدد للمدارس الإسلامية[1].

وكما أن الإحصاء الرسمي الذي أجري عام ١٩١٣م أظهر أنه كان يوجد في السنغال ١٣٨٥ مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم تضم ١١٤٠٥تلميذا، منهم ٦٣٣فقط يتابعون دراساتهم في المدارس الفرنسية[2].

وكذلك الحال في الوقت الحاضر كما سبق الكلام حول الإقبال إلى الكتاتيب وإلى المدارس والمؤسسات الإسلامية بأنه في ازدياد مستمر وبشكل سريع بفضل الله عز وجل ثم بجهود العلماء والدعاة.

أما ما يتعلق بالمعوقات للمدارس القرآنية في الوقت الحاضر، فهناك معوقات عديدة في عصرنا هذا تعترض طريق الكتاتيب ومن أبرزها ما يلي:

(١) انظر: العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الفكرية في غرب إفريقيا الفرنسية، رسالة دكتوراه، في كلية الدعوة بجامعة أم القرى، إعداد صالح إسحاق بامبا، ص: ٦١١.

(٢) الاستعمار وآثار ومبررات التعويض وأشكاله، د.خد يم امباكي محمد سعيد، ص: ١٠، بحث علمي حول الاستعمار غير مطبوع.

٢- المعوقات في ما بعد الاستعمار:

أ- قلة الخبرات وانعدام الكفاءة لدى بعض المدرسين في الكتاتيب.

ب- قلة التعاون بين بعض أولياء الأمور وبين المعلمين بتأخير الرسوم الشهرية أو عدم دفعها أصلا لدى بعض الكتاتيب.

ت- قلة الموارد التمويلية لدى أغلبها أو انعدامها أساسا، حتى إن بعضهم يدرس لتلاميذه تحت سقف من العشب أو كوخ لا يقيهم سقوط الأمطار ولا ضربات الشمس والرياح مما يجعلهم ينصرفون في أي وقت بدأ فيه نزول المطر ولو في أول اليوم، لأنه ليس بالإمكان مواصلة الدراسة تحت ظل هذه الظروف!

وهذه الحالة تكثر في الكتاتيب التقليدية، مما أدى إلى انتشار ظاهرة التسول واستخدام الأطفال كوسيلة للتكسب، وخصوصا عند من يفدون من دول الجوار مثل غينيا ومالي وهم يتخذونها وسيلة للتكسب، ولا يهمهم إلا جمع المال، لما علموا من تعاطف الشعب السنغالي مع هؤلاء الأطفال الصغار، والفقراء والمساكين عموما بمد يد العون لهم بالسخاء والكرم، وهذه عادة معروفة لدى السنغاليين.

ث- استخدام العدو وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة لمحاربة الكتاتيب بتشويه سمعتها وتثبيط الناس للحيلولة دون إقبالهم إليها، ولم يخف علينا خطورة تلك الوسائل في الإفساد، وعمق تأثيرها في الفكر والرأي، خصوصا في الجيل الناشئ، وذلك عن طريق ما تعرضه من أعمال فنية وبرامج شيقة.

ج- مشكلات نفسية تعترض التلميذ قبيل عودته من أهله لقضاء الأجازة بمناسبة العيدين أومنا سبات أخرى، بحيث يجد صعوبة للاندماج من جديد مع جو المدرسة.

ح- غلاء أسعار العمائر التي يستأجرها المعلمون ليتخذوها مدارسة قرآنية، هذا بالنسبة لسكان المدن وخصوصا العاصمة.

خ- غلاء النفقات اليومية ولوازم الحياة "أزمة اقتصادية تعانيها البلاد حاليا".

وهذا أمر واقعي ومشاهد في المجتمع السنغالي اليوم، ونعيشه بالفعل.

٣- بعض عيوب المدارس التقليدية:

إذا كان للمدارس التقليدية أدوارا متميزة في إنقاذ البشرية في هذه البقاع، بتربية الأجيال تربية إسلامية سليمة كما أسلفت آنفا، إلا أن هناك عيوبا وأمراضا تكتنفها، وهدفنا هنا هو تشخيص المرض، ووضع العلاج المناسب له، لذلك لابد من ذكر الجوانب السلبية بعد ما انتهينا من ذكر الجوانب الإيجابية، ومن تلك العيوب ما يلي:

أ- الاعتماد الكلي على حفظ القرآن الكريم دون أدنى محاولة فهم معانيه.

ب- طول المدة فيها؛ لأنه قد تصل إلى عشر سنوات يقضيها التلميذ فيها.

ت- قلة الاهتمام بقواعد التجويد(لدي بعضها).

ث- عدم تفرغ التلميذ للتعلم، لانشغاله بأعمال اقتصادية متنوعة(لدي بعضها).

ج- تأخير بدء الدراسة إلى ٧سنوات بناء على فهم خاطئ للحديث الذي رواه أبو داود في سننه (عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) (١)

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني المتوفى ٢٧٥هـ، (١/١٣٣)، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، سنة الطبع بدون.

ح- عدم الجمع بين الحفظ وتعلم مبادئ الدين (لدي أغلبها).

خ- الابتعاد عن تفسير القرآن الكريم - لدى بعضهم- بحجة أن الشيخ الفلاني يمنع ذلك، أو يقولون لا يمكن فهم مقصوده وإدراك معانيه لعامة الناس[1].

د- استغلال بعض المدرسين الأطفال الصغار في التكسب، وتقديم الجانب المادي مما يجعلهم يفرضون عليهم مبلغا معينا يوميا، ويتسولون في الشوارع، بل ربما يسرقون إذا تسني لهم فرصة لتحصيل ذلك المبلغ، وهذا يغلب في الوافدين من دول الجوار كما سبق.

وكل ما ذكرته هنا ليس من باب التعميم؛ لأن لكل قاعدة استثناء

٤- الحلول المقترحة:

لحل تلك المشاكل التي تعانيها المدارس القرآنية في نظر الباحث، فلابد من تحمل كل من الحكومة وأولياء أمور التلاميذ والمعلمين قدرا من المسؤولية التي أنيطت على عاتقه.

فعلى الحكومة الإنصاف، وتقديم الرعاية للمدارس العربية كما تقدمها للمدارس الفرنسية، وتسويتهما في الحقوق، وكذلك بين حاملي الشهادة الفرنسية وحاملي الشهادة العربية، وأي حكومة تحقق هذا الحلم؟.

أما أولياء الأمور فعليهم التعاون التام مع المدرسين، ليتيسر لهم تحقيق أهدافهم بتخريج أكبر عدد ممكن من حفظة كتاب الله مما يعود بالخير للبلاد والعباد.

(١) انظر: مؤسسات التعليم الإسلامي والمساجد في السنغال، مصدر سابق، ص:٣٧.

كما يجب على المعلمين بذل قصارى جهدهم في تحقيق أحلام أولياء الأمور في أبنائهم بكل ما يجب أن يقوموا به للوصول إلى ذلك من الكفاءة والتأهل وتقوى الله في هذا العمل المبارك حتى يخرجوا أجيالا قادرين ومؤهلين لنشر الثقافة الإسلامية وإيصال الرسالة إلى من بعدهم بكفاءة وأمان.

هذا بفضل الله ﷻ ثم بجهود رواد التعليم الإسلامي في السنغال الذين أسسوا الكتاتيب في جميع أرجاء البلاد طولا وعرضا، ثم سلموا الراية لمن بعدهم- أصبحت المؤسسات التعليمية الحديثة منتشرة في جميع المناطق السنغالية، وتسهم حقيقة في نشر الثقافة الإسلامية الشيء الذي سوف أتناول جانبا منه في المبحث التالي.

المطلب الأول

نماذج من المؤسسات التعليمية الحديثة في السنغال

لقد تناولت الحديث في البداية عن التعليم الإسلامي في السنغال ممثلة في الكتاتيب وما يتعلق بها من أساليب ومناهج ومعوقات، بالإضافة إلى تطورها وتنوعها فيما بعد، والذي سوف أتناوله في هذا المبحث عبارة عن ثمرة تلك الجهود التي بذلها أولئك الرواد الأمجاد السابق ذكرهم وأمثالهم، ومدي تطور هذا العمل المبارك المتمثل في المؤسسات التعليمية المنتشرة في البلاد على يد الخلف، مكتفيا في ذلك بذكر بعضها بالإيجاز، دون الخوض في التفاصيل؛ لأنها من الكثرة بمكان، ولأننا لا نهدف إلى ذلك في هذا المقام، كما سوف أختار من كل نوع من أنواعها نموذجا ليعبر عن بقيتها.

إذا نظرنا في المؤسسات التعليمية في السنغال نرى أنها على نوعين:

أ- حكومية.

ب- أهلية.

النوع الأول: أضرب له المثال بالمعهد الإسلامي في داكار؛ بني المعهد على قطعة أرض تقدر بـ: ٥٠٠٠ مم، ويضم١٠ قاعات دراسية، وقاعة كبرى للمحاضرات تسع حوالي٥٠٠ شخص، وقاعة للاجتماعات، ومختبرين لتعليم اللغة، ومركزا للوثائق ومطبخ وصالة الطعام ومسجد ودورات المياه، بالإضافة إلى ما يلزم من المكاتب الإدارية التي عددها ٢٠، كما أنه ملتصق تماما بالمسجد الجامع الكبير بداكار.

وتم افتتاحه في تاريخ ٥ يوليو ١٩٧٣م، بحضور رئيس السنغالي السابق"سنغور"، وهو معهد كبير وذو إعداد متميز من حيث البناء والفن المعماري، وهو تحت إشراف وزارة التربية والتعليم، وقد أسهم الملك فيصل يرحمه الله في بناء المعهد بمائة مليون فرنك أثناء زيارته للسنغال عام: ١٩٧٢ كما تبرع أيضا **الأمير نايف بن عبد العزيز** بمائتي مليون لدى زيارته للسنغال عام: ١٩٩٩م، ما يدل على تميز العلاقة الأخوية بين السنغال والمملكة العربية السعودية، ومدى اهتمام حكومة المملكة ممثلة في ملوكها وأمرائها بالسنغال وشعبه وما زال.

وتولى رئاسة المعهد منذ تأسيسه السيد **روحان امبي** عام ١٩٧٤-٢٠٠١م، ثم خلفه فيها الحاج عمر غي من عام ٢٠٠١م إلى حين تدوين هذه السطور(١).

(١) حصلت على المعلومات في مقابلة مع مدير الإدارة للمعهد إبراهيم بجان بتاريخ ١٤٣١/١١/١٣بواسطة الزميل بشير جاه. وانظر أيضا: التعليم الإسلامي في أفريقيا: الواقع والمأمول في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٦ التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سابق، ص: ٣١٦.

أهداف المعهد حسب المدون:

فتتمثل في التعليم والبحث وتوفير الوثائق عن الإسلام.

أما أنشطة المعهد فتتلخص فيما يلي:

- تنظيم محاضرات، وندوات، ودورات علمية، ومؤتمرات مختلفة.
- فتح أبوابه لتنظيم الإجراءات اللازمة للحجاج السنغاليين في وقته، مع توعيتهم في أمور الحج قبل مغادرتهم للبلاد إلي الأراضي المقدسة.
- دروس صيفية للشباب.
- دروس مسائية للكبار الراغبين في تعلم اللغة العربية.
- تنظيم الدورات التدريبية لمتعلمي اللغة العربية، والأئمة والدعاة بالتعاون مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومؤسسات خيرية محلية ودولية.
- تنظيم مسابقة محلية لاختيار المشاركين في المسابقات الدولية لتلاوة القرآن الكريم.
- إصدار النشرة الشهرية[1].

(١) انظر: التعليم الإسلامي في أفريقيا: الواقع والمأمول في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٧، بتصرف، بالإضافة إلى مقابلة مدير الإدارة للمعهد المذكور بتاريخ ١٣/١١م١٤٣١هـ عن طريق الزميل بشير جاه.

يعتمد المعهد ماديا على مساهمة مالية من الحكومة السنغالية، وتبرعات الزوار الكبار، وإيرادات إيجار قاعة المحاضرات.

أما المشكلات فتتمثل في نقص الموارد المالية اللازمة ليحقق المعهد هدفه، في مواصلة رسالته إلى المستهدفين كما بين ذلك مدير الإدارة للمعهد في المقابلة التي تم إجراءها معه كما قلت، وهذا شأن أكثر المؤسسات والمنظمات الإسلامية في البلد أو نقول كلها بلا تحفظ، للظروف التي يعيشها العالم بأسره، وخصوصا الدول النامية من أزمات اقتصادية حادة، بالإضافة إلى تلاعب شديد في ممتلكات الشعوب من الأسر الحاكمة ومن معهم ولم يسلم من ذلك إلا من رحم الله.

النوع الثاني: أضرب له المثل بمؤسسة "**منار الهدي الإسلامية**"؛ وهي مؤسسة إسلامية تربوية حرة، تأسست ١٢ أغسطس عام ١٩٦٢م في قرية "كوكي"[(١)] على يد الأستاذ أحمد مبارك لوح بأمر من أستاذه الشيخ أحمد الصغير لوح مؤسس مدرسة "كوكي" القرآنية المذكورة، وكان من بين تلاميذه الأكثر إخلاصا وجدية، مما جعله متميزا من بينهم، كما أنه كان من أوائل من رشحتهم الحكومة السنغالية لتدريس اللغة العربية في المدارس الفرنسية الحكومية.

---

(١) سبق التعريف بها.

ثم انتقلت المدرسة بعد ذلك إلى حي "مونتاج" بمدينة "لوغا" في نفس السنة وكان فصلا واحدا يضم حوالي ٢٥ تلميذا، ولكن لم يلبث حتى اضطر الشيخ إلى الانتقال إلى مكان أوسع، نظرا لتزايد عدد التلاميذ يوما بعد يوم، فاستقر أخيرا في حي "كَرْسَرِجْ لُوغَا" حيث أهدت له الحكومة مساحة أرضية تقدر ٢١٠٠كلم٢ وذلك في عام١٩٨٣م، وفي العام نفسه بتاريخ ١٩ديسمبر صدر قرار وزاري بفتحها قانونيا تحت رقم ١٦٩٠٤، ثم صدر قرار رئاسي باعتراف المؤسسة تحت رقم ١٣١٧٠ وذلك عام ١٩٨٦م[(١)].

وهي تتكون حاليا من روضة الأطفال والمرحلة الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، وقسم فتح مؤخرا يدرس فيه على نظام مزدوج"فرنسية عربية" ولكن الإقبال على هذا القسم الأخير أشد كما قال المسئولون، مما يدل على رغبة أولياء الأمور في هذا المنهج الجديد، "الدمج بين العربية والفرنسية" لأنه يسمح للطالب المتخرج فيه أن يحظي برصيد من الفرنسية والعربية معا، مما يسهل له الاندماج في مجتمع كالمجتمع السنغالي الذي تأثر تأثرا بالغا في ثقافة الفرنسية ولغتها.

---

(١) كل المعلومات حول هذه المؤسسة حصلتها بواسطة مقابلة أجريتها مع شيخ لوح أحد أبناء المدير ونائبه في تسيير شؤون المؤسسة، بتاريخ٢٨/٣/٢٠١٠م، وهذا يخص إحصائيات٢٠٠٩-٢٠١٠م، أضف إلى ذلك أن الباحث درس في هذه المؤسسة مابين ١٩٩٤ إلى نهاية عام ١٩٩٩م، قبل أن يلتحق بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

المقررات:

تشمل المواد المقررة في هذه المؤسسة على ما يلي:

١- المواد الدينية: القرآن الكريم وعلومه، الفقه وأصوله، الحديث ومصطلحه، التوحيد، الفرائض.

٢- المواد العلمية: الرياضيات، العلوم الطبيعية.

٣- المواد الاجتماعية: التاريخ، الجغرافية، علم الاجتماع،علم النفس، الفلسفة.

٤- اللغات الأجنبية: الفرنسية والإنجليزية.

أما الكتب التي يستقون منها تلك المواد فمستوردة من دول مختلفة مثل المملكة العربية السعودية، والكويت، وجمهورية مصر العربية، والمملكة المغربية.

فروع المؤسسة:

وللمؤسسة ٧ فروع، أحدها في دكار، وهو أكبرها وأفضلها من جميع النواحي، وسمي باسم "الشيخ جابر الأحمد الصباح" رحمه الله، والباقي في مدينة "لوغا" وضواحيها، ولكن هذه المدارس مازالت في المرحلة الابتدائية مثل (كَرْ امْبَارِك وكَرْآل) [١].

(١) قريتان في ضواحي مدينة "لوغا" شمال وسط البلاد.

ويدرس في هذه المؤسسة حاليا(نهاية العام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠) ١٥٨٤ تلميذ وتلميذة، ويتولى تدريسهم ٥٦ مدرسا، عدد النساء منهم ٧، وأغلبهم من حاملي اللسانس فما فوق، كما أن معظمهم من خريجي المؤسسة، حيث التحقوا في الجامعات العربية بعد حصولهم على الشهادة الثانوية ثم رجعوا إليها للتعاون معهم فيما يدفع عجلة المؤسسة إلى الأمام، تلك الجامعات التي تم إجراء المعادلة بينها وبين شهادات المؤسسة[١].

أما رواتب المدرسين فتعتمد المؤسسة أساسا لضمانها على ما يدفعه أولياء أمور التلاميذ الذي يساوي: (٣٠٠٠ فرنك) في الابتدائية و(٤٠٠٠ فرنك) في الإعدادية وفي الثانوية وفي قسم الفرنسية العربية، أي ما يعادل ٢٠ إلى ٣٠ ريالا في الشهر.

نشاطات المؤسسة:

وللمؤسسة نشاطات عديدة ومختلفة، منها: اجتماعية، ثقافية، رياضية، دينية... تقوم بها طيلة السنة الدراسية، بناء على منطلق إيماني وتوجيه قرآني كما في قوله تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢].

(١) انظر ملحق رقم (١٤).

ومن تلك النشاطات:

تنظيم مسابقات ثقافية بين الفصول الدراسية سنويا مما يشجع الطلاب الاهتمام والجدية في الدراسة والتزود بالثقافة الإسلامية على أكبر قدر ممكن، وكذلك تنظم دورة لكرة القدم فيما بين الفصول؛ لإدراكها أهمية الرياضة وضروريتها لدى الأطفال والشباب، وخصوصا إذا علمنا أن العقل السليم في الجسم السليم، و من أنشطة المؤسسة كفالة الأيتام، وبناء المساجد، وحفر الآبار في المناطق المحتاجة، وتوزيع الأضاحي على الأسر الفقيرة، وتنظيم إفطار الصائم في شهر رمضان المبارك، وتنظيم صلاة التهجد في هذا الشهر لدى بعض المساجد التي تم إنشاءه بإشراف المؤسسة.

أهم مشكلات المؤسسة:

تعاني هذه المؤسسة مشكلات كثيرة تتلخص فيما يلي:

١ – قلة الموارد التمويلية تدعم المؤسسة؛ لأنها تعتمد أساسا على الرسوم التي تجمعها من أولياء أمور التلاميذ وهي تتأخر لدى كثير منهم في الوقت المحدد لدفعها، بالإضافة إلى مساعدات مادية تقدمها لها بعض الجهات الخيرية، وفي مقدمتها بيت الزكاة الكويتي، وبعض المنظمات الخيرية التابعة للمملكة العربية السعودية، وبيت التمويل الكويتي، بالإضافة إلى ما تأخذها من الحكومة السنغالية باعتبارها مؤسسة معترفة من قبلها؛ لأنها تتكلف بدفع مبلغ معين للمدارس العربية المعترفة لديها، ولو كانت رمزيا بمقارنة ما تأخذه المدارس الفرنسية، وخصوصا النصرانية منها، فرق لا يقارن!

٢- عدم وضع جدول مستقر من بداية السنة الدراسية إلي نهايتها؛ لأن كثيرا من المدرسين شبه متعاونين بحيث إذا وجدوا تعيينا من مؤسسة أخرى أكثر نفعا بالنسبة لهم، أو ترشيحا من مدرسة إعداد المعلمين التابعة للحكومة يذهبون إليها مباشرة دون تردد.

٣- قلة المسئولين الإداريين الذين يتراوح عددهم ما بين ثلاثة وأربعة فقط، بينما نجد في المؤسسات الفرنسية كهذه عددا حوالي ٢٠ شخصا، مهامهم إشراف العمل وتنظيمه، والسبب في ذلك أن المدير – وهو مؤسس المدرسة – لا يرى في نظره أن يكتفي أحد بالعمل المكتبي- مهما كان العمل – دون المشاركة في التدريس[١].

ولعل النقطة الأولي لها دور في هذا، وإلا تستطيع المؤسسة استجلاب عدد كاف من المدرسين المؤهلين وتضمن لهم رواتب مناسبة ومستقرة.

٤- التكدس في الفصول الدراسية، لأن معدل الكثافة فيها حاليا كما يقول المسؤولون تقدر ب ٥٠- ٩٠ لكل فصل، كما أن كل الفصول من أول ابتدائية إلى أول ثانوي متكرر أي تكون مجموعة (ا)، ومجموعة (ب)؛ لأن الإقبال في ازدياد في كل بداية سنة دراسية، والإمكانية محدودة كما ترى.

معاهد الأزهر السنغالية:

وهي مؤسسة إسلامية ثقافية حرة، أنشئت بموجب رقم ٧٣-١١-٧٨ بتاريخ ١٩٧٨/٣/١٥م، وقد بدأت المؤسسة كمدرسة ابتدائية خلال العام الدراسي ١٩٧٤-١٩٧٥م، ثم تطورت الآن إلى فروع

(١) كما قال لى المسئول المكلف بتسيير شؤون المؤسسة السابق ذكره لدى مقابلته لدى مكتبه بتاريخ ٢٠١٠/٣/٢٨م.

متعددة في جميع المدن السنغالية وخارجها، مثل "جامبيا" و"كامرون" و"ساحل العاج"[(١)] أسسها أحد رجال الدين المعروفين في السنغال، وهو فريد من نوعه في علمه وأخلاقه وسلوكه وحسن تربيته لرعيته، ما يشهده له القاصي والداني ممن يعرفه وتعامل معه، وهو الشيخ محمد المرتضي بن الشيخ أحمد بامبا رحمهما الله تعالي رحمة واسعة.

أفنى الشيخ المرتضي كل حياته بخدمة الإسلام، في التربية والتعليم وتنقلات مستمرة في طول البلاد وعرضها، بل وفي أوروبا وأمريكا، حيث كان يسافر إليها سنويا بهدف نشر الإسلام ودعوة الناس إلي توحيد الله عز وجل، فقد كان لهذه الجهود المباركة ثمرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؛ بحيث أسلم علي يديه مئات من الأمريكيين والأوروبيين، كما كان يرحب بالعشرات من أبناء الأمريكيين الذين أسلموا في بيت خاص له بمدينة"طوبي" في حي "دار العليم الخبير" ليتلقوا هناك تربية إسلامية وتعاليم الدين لفترة طويلة ثم يرجعون إلى بلادهم وقد تضلعوا بشيء كبير من المعارف والعلوم الإسلامية، والأعجب في الأمر أنه كان يدعم تلك المؤسسات باستمرار من جيبه ولا ينتظر في ذلك أحدا، كما أنه لا يريد منها ربحا يرجع إليه، بل جعل جزءا كبيرا من ماله وقفا لله قبل وفاته رحمه الله.

نظرا لكثرة المؤسسات التعليمية في السنغال كما سبق أن أشرت إليه أكتفي بسرد التي في المرحلة الثانوية – وأنا على علم بها – دون تفصيل إلا في بعض منها، بل أحيل لمن يرغب في ذلك إلى مراجع تناولتها بتوسع أكثر، وهي كالتالي:[(٢)]

---

(١) من مقابلة مدير فرع دار العليم الخبير بتاريخ ٢٠١٠/٣/٢٥م، ومن التعليم الإسلامي في أفريقيا: الواقع والمأمول في السنغال، مصدر سابق، ص: ٢٦.

(٢) من تلك المراجع: التعليم الإسلامي في أفريقيا: الواقع والمأمول في السنغال للدكتور خديم امباكي محمد سعيد، والتعليم الإسلامي في السنغال للدكتور محمد أحمد لوح، وأضواء على السنغال للأستاذ بامبا انجاي وغيرها.

- **(المعهد الإسلامي العالي)** بمدينة "لوغا" تأسست ١٩٨٦م بتكلفة ١٠٥ مليون ريال سعودي، وهو من ضمن المؤسسات التعليمية التي قامت المملكة العربية السعودية على بنائها وتأسيسها على حسابها، كما تكفلت أيضا المملكة على جميع النفقات فيها كرواتب المدرسين، والإداريين، والخدمات، ونحوها، وهو تابع لجمعية النهضة الإسلامية أحد الجمعيات الإسلامية المعروفة في السنغال، وأكثر المدرسين فيها من خريجي جامعات المملكة العربية السعودية، والمدير العام يكون سعوديا يسكن في بيت خاص له في داخل حرم المعهد، والمنهج قريب من مناهج مدارس المملكة، وفيها قسم للبنات، ويتميز هذا المعهد بحسن التنظيم وقوة المنهج والانضباط [1].

- و**(معاهد حركة الفلاح)** ولها فروع في البلد من الثانويات والإعداديات، كما أن لهذه الحركة نشاطات وبرامج دعوية وغيرها إلا أني لم أتمكن من العثور على المعلومات الكافية عن هذه الحركة ونشاطاتها رغم تواصلي بالمسؤولين لفترة طويلة وزيارتهم في مقرهم الرئيسي بحي "كولوبان" بداكار ومقابلة بعضهم، كل ذلك بلا جدوى!

- و**(معاهد جماعة عباد الرحمن)**؛ وهي من أهمها من حيث المنهج والتنظيم، ولديهم فروع منتشرة في "داكار" وضواحيها و"كاولاخ" "وتياس"، ومناهجهم مدمجة (فرنسية وعربية)، ولهم نشاط كبير في مجالات متعددة ومختلفة؛ كبناء المساجد، وتكوين الدعاة وتوجيههم إلى الدعوة إلى الله لمحاربة الفساد العقدي والاجتماعي، وتضم هذه الجماعة مجموعة من العلماء وكبار الدعاة في البلد، وسأرجع إلى هذه الجماعة ونشاطاتها كنموذج لبقية الجمعيات في البلد.

---

(١) نشأة وتطور العلاقات العربية الإفريقية ونموذج العلاقات بين السنغال والمملكة العربية السعودية، د.عبد الله درامي، ص: ٣٢٤، المكتبة المكية، السعودية، ط:١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م،

- **(معهد الدراسات الإسلامي)** ب"جربل".

- **(معهد الشريعة الإسلامية)**"مام شيخ مبي" بـ"لوغا".

- **(مدرسة آل بكر العربية الإسلامية)** بـ "لوغا".

- **(معاهد الشيخ أحمد امباكي)**، وهي شبكة من المدارس الإسلامية، لها فروع في "كاولاخ" و"طوبي" و"داكار" و"لوغا".

- **(معهد دار الأرقم)** بـ"فاس تورى" في منطقة"لوغا".

- **(مركز ابن تيمية)** ب"كاولاخ" التابع لجماعة عباد الرحمن.

- **(معهد تفسير أحمد باه)** بـ"داكار".

- **(معهد أحمد صغير لوح)** بقرية "كوكي".

أما الكليات فهي إلى الآن ثلاث كليات في البلد على المستوي الجامعي، وسأتوسع في واحدة منها بشيء من التفصيل كنموذج للبقية، مثل ما سبق أثناء تناول المؤسسات التعليمية، واخترت"**كلية الإعمار للغة العربية والدراسات الإسلامية**" نموذجا رغم تأخرها ميلادا من بين تلك الكليات، إلا أنني لاحظت في منهجها موافقة أكثر مع متطلبات الزمن، وتجاوبا مع رغبات الشباب والجيل الناشئ، وهي كالتالي:

١- **كلية "الإعمار للغة العربية والدراسات الإسلامية"** وهي مؤسسة تعليمية تابعة للمؤسسة العالمية للإعمار والتنمية في المملكة العربية السعودية، بإشراف حركة الفلاح في السنغال.

أنشأت في تاريخ ١٤٣٠/١٠/١هـ تقع في ضواحي العاصمة داكار بحي"تياروي أزير" وبدأت الدراسة فيها بتاريخ ٢٠٠٩/١١/٢م، وتهدف إلى تخريج دعاة صادقين ومربين متميزين، وإلى الإسهام في رفع المستوى التعليمي والبحث العلمي في السنغال خاصة، وفي إفريقيا عموما.

يدرس في الكلية لهذا العام الجامعي (٢٠١٠-٢٠١١م) ٨٠ طالبا، (٣٨في السنة الأولى، و٤٢في السنة الثانية).

وهؤلاء الطلاب من جنسيات مختلفة؛ وهي "السنغال"، و"غامبيا"، و"غينيا كوناكري"؛ لأنها لم تفتح لجنسية معينة كما هو واضح في هدفها، بل تقبل لمن توفر لديه الشروط التي تتلخص فيما يلي:

١- أن يكون المتر شح حاصلا على الشهادة الثانوية من المدارس المعترف بها أو ما يعادلها.

٢- أن يكون معدلها بتقدير ممتاز أو جيد جدا.

٣- أن يكون حاصلا على تزكية من جهات معروفة.

٤- أن يكون لائقا طبيا يبت ذلك شهادة صحية.

٥- أن يتجاوز المقابلة الشخصية والاختبار التحريري للقبول.

ويدرسهم حملة شهادة ماجستير فما فوق، وعددهم في هذا العام الجامعي ٢٠١٠-٢٠١١م: ١٨ مدرسا.

والدراسة في الكلية مجانية، كما أنها لم تحدد مكافأة للطلاب لا كما ولازمنا، بل تسمى مساعدة، ويرجع ذلك إلى إمكانيتها المحدودة؛ لأنها لم تجد بعد أي مصدر مالي إلا ما تخصصه لها مؤسسة الإعمار عن طريق الجهة المشرفة على الكلية، وهي حركة الفلاح السلفية.

ونظام الدراسة فيها فصلي، لمدة أربع سنوات، وفي السنتين الأوليين تكون الدراسة مشتركة، وفي السنتين الأخيرتين تكون الدراسة تخصصية في الدراسات الإسلامية أو اللغويات.

وتبدأ الدراسة يوم الاثنين وتنتهي يوم الجمعة، أما الأجازة الأسبوعية فهي يومي السبت والأحد، كما أن أجازات الكلية هي الأجازات المعتمدة لدي الدولة، مع وجود اقتراح للتغيير، والأمر تحت الدراسة.

فالكلية مع كونها جديدة في ساحة التعليم السنغالية فهي تتميز بمنهج متكامل وقوي ومناسب للواقع السنغالي، وفي منهجه يستطيع الطالب بعد التوفيق من الله أن يستمر على هدي الشريعة الإسلامية، وفق الأساليب العلمية المعاصرة، وبالطرق الحديثة المتنوعة وأحدث التقنيات(١).

أما المشكلات التي تعانيها هذه الكلية فأبرزها هي ما تعانيها بقية المؤسسات التعليمية في السنغال، وهي عدم اعتراف الدولة لشهاداتها، وقلة الموارد ومصادر مالية تضمن لها مسيرتها وتحقيق أهدافها.

٢- **كلية الدعوة الإسلامية (كلية بر)**، وهي - كما سبق- الشق الثاني المتفرع من مدرسة "بر"، تقع في مدينة "بر" بإقليم "تياس" تأسست قبل ١٠سنوات تقريبا، تحت إشراف "جمعية الدعوة الإسلامية" التابعة للجمهورية الاشتراكية الليبية بداكار، كما أن هذه الدولة هي التي تتولى كل نفقاتها واحتياجاتها من رواتب المدرسين والإداريين ومكافئات الطلاب التي تقدر ب ٤٥٠٠٠ أي ما يساوي ٣٥٠ريال تقريبا في الشهر، وتم افتتاحها عام ٢٠٠٠م.

ويدرس في الكلية جنسيات أخرى من أبناء دول الجوار دون تفريق أو تمييز.

(١) حصلت كل المعلومات حول هذه الكلية عن طريق عميدها الحالي الدكتور إبراهيم انجاي بالمراسلة.

أما المنهج فيها عبارة عن دراسة عامة إسلامية ولغوية وأدبية على النظام السنوي، يتخرج فيها الطالب بعد أربع سنوات بمؤهل "بكالوريوس"[1].

٣- **الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية**: وهي تقع في العاصمة داكار، تستقبل الطلاب حاملي الشهادات الثانوية من السنغاليين ودول الجوار بعد إجراء الاختبارات والمقابلات معهم لمعرفة مستواهم.

قام بتأسيسها أحد الدعاة السنغاليين، ومناهجها متقاربة مع المنهج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والكلية تهدف إلى تخريج أكبر عدد ممكن من العلماء في الشريعة الإسلامية يتوفر فيهم صفات الداعية المثقف بالثقافة الإسلامية، والإعداد التام لتربية الأجيال القادمة في تحمل أعباء الدعوة، سائرين على منهج أهل السنة والجماعة، والسعي إلى إيجاد التعليم العالي في منطقة الغرب الإفريقية، وتزويد المؤسسات الدعوية بمن تحتاج إليهم من أهل الاختصاص، والسعي أيضا إلى معالجة الأخطاء عند الدعاة في أساليبهم ووسائلهم... تم افتتاحها بتاريخ ٢١/١٠/١٤٢٧-١٢/١١/٢٠٠٦م بحضور مساعد وزير الداخلية لشؤون المؤتمر الإسلامي، وللكلية دور فعال في البلد[2].

(١) حصلت على المعلومات بمقابلة زميل لي كان طالبا في هذه الكلية قبل سنتين من الآن، أجريت المقابلة معه بتاريخ ٢٠/١١/١٤٣١هـ.

(٢) حصلت على المعلومات في مقابلة مع أحد الدارسين في الكلية، بتاريخ ١٥/٨/١٤٣١هـ.

المطلب الثاني

المناهج المتبعة ومصادرها في تلك المؤسسات

نجد أن المناهج في تلك المؤسسات تختلف تماما فيما بينها، لاختلاف موارد الكتب الدراسية التي يتخذونها كمقررات دراسية لهم، بعضها تستورد كتبها من جمهورية مصر العربية، وبعضها من المملكة العربية السعودية، أو الكويت، أو ليبيا، أ والمملكة المغربية، وهكذا حسب العلاقة التعاونية بين المدرسة وبين المؤسسات التعليمية في العالم العربي.

ولكنها من حيث المواد التي تدرس فيها متقاربة؛ وهي :

١- **القرآن الكريم**: فيحفظ التلميذ عددا من السور في فصل دراسي.

٢- **التفسير** : فيتولى أحد الأساتذة بتدريس المادة، وغالبا ما يختار هو السور التي يقوم بتفسيرها.

٣- **التوحيد**: وكثيرا ما يعتمدون في تدريس هذه المادة على التقسيمات العقلية المعقدة حول الواجبات والجائزات والمستحيلات مع قصور واضح في الأدلة التقلية.

٤- **النحو، والحديث الشريف، والسيرة النبوية، والفقه، والتاريخ، والرياضيات، والصرف والخط والإنشاء والنصوص الأدبية والعلوم (الأحياء)**، والأغلب في هذه المواد أن يختار المدرس الكتاب المناسب، أو يعد مذكرة، أما الجغرافية فيدرسون فيها في الغالب جغرافية السنغال وبعض الدول الإفريقية، وبعضها تضيف إلى منهجها في مرحلتي الإعدادية والثانوية أو في الأخير فقط المادة الفرنسية والإنجليزية، وأصول الفقه، وتاريخ الأدب، والعروض والقوافي.

المطلب الثالث

عقبات ومعوقات وطرق معالجتها

إذا نظرنا فيما سبق نجد أن المؤسسات التعليمية في السنغال كثيرة ومنتشرة في جميع أرجاء البلاد، مما يشير إلى الأهمية الكبرى التي اكتسبتها بين أفراد الشعب السنغالي ودول الجوار، وأهمية ما تقدمه في نشر الثقافة الإسلامية في المنطقة، إلا أننا ندرك أن أي عمل معرض للنقص، وعلى هذا يقدم الباحث بعض المشاكل والعوائق التي في طريقها، مع تقديم بعض الحلول المناسبة لها في نظره، وهي كالتالي:

١- غياب التنسيق بين المؤسسات التعليمية في السنغال، سواء على المستوي الوطني أوعلى المستوي الإقليمي؛ وذلك لعدم وجود جهة معنية تهتم بشؤونها كوزارة الشؤون الإسلامية مثلا، مما لعب كثيرا في ضعف قوتهم وتشتتت أمرهم بطبيعة الحال.

٢- اختلاف المناهج فيما بينها، مما يعقد الأمور أمام التلاميذ في بعض الأحيان؛ لأنهم لو وحدوا المناهج لاستطاع الطالب متابعة دراسته من مؤسسة إلى مؤسسة إذا اقتضت الحاجة لانتقال أسرته إلى مكان آخر مثلا.

٣- عدم اعتماد بعض المناهج على أسس قوية ومدروسة.

٤- انعدام مصادر ثابتة موثقة تدعم تلك المدارس بالمقررات التي تحتاج إليها.

٥- ضعف التأهيل التربوي لدى بعض المعلمين في المؤسسات التعليمية.

٦- قلة أ وانعدام وسائل التعليم المناسبة في معظمها، علما بأن بعض المواد لابد له من وسائل مناسبة وإلا فلا نتيجة مرتقبة بأي شكل من أشكال.

٧- قلة الموارد المالية، حيث تعتمد غالبية هذه المدارس والمؤسسات على ما يقدمه أولياء أمور التلاميذ من الرسوم الشهرية أو المساعدات المالية من الجهات الخيرية.

٨- عدم الاعتراف بشهاداتها لدى الحكومة السنغالية.

٩- عدم إمكانية مواصلة غالبية خريجي تلك المؤسسات دراستهم الجامعية لمحدودية المنح الخارجية من الدول العربية، ولا الجامعات العربية في البلد إلا الكليات الثلاثة.

١٠- تهميش حاملي الثقافة العربية وحرمانهم من تبوء المناصب المرموقة من الحكومة، ولو حصلوا على دكتوراه؛ بدعوى أن اللغة الرسمية للدولة هي اللغة الفرنسية.

طرق المعالجة:

أما طرق المعالجة في نظر الباحث فتتلخص فيما يلي:

١- السعي إلي إيجاد جهة مكلفة بشؤون المؤسسات التعليمية في السنغال، من وزارة أو نقابة تسهر في توحيد وجمع أمور المؤسسات الإسلامية في السنغال، وإلى كل ما في مصلحة الجميع، الشيء الذي يحقق لهم آمالا كبيرة وطموحات عالية.

٢- توحيد المناهج والشهادات فيما بينها، بحيث يكون المنهج منهجا متكاملا يهدف إلى تقوية العلاقة بين العبد وربه من جهة، وبينه وبين أفراد مجتمعه من جهة أخرى، و يبث في نفس الطالب روح العبادة والعمل لأجل وطنه ومستقبله.

٣- الإخلاص لله عز وجل .

٤- الوعي التام والشعور بالمسؤولية، ووجوب تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة.

المطلب الرابع

مستقبل التعليم الإسلامي في السنغال

لو نظرنا إلى مراحل التعليم الإسلامي في السنغال منذ الاستعمار حيث كانت القيود مشددة على كل من يرغب في فتح مدرسة قرآنية[١]، بل على كل من يُعرف منه الحرص على الدين كما سبق الكلام عنه، نجد أن التعليم الإسلامي كان يعاني أشد العناء، مما دفع منظمات وحركات ثقافية إسلامية إلى طلب إدخال التعليم العربي الإسلامي في المدارس الرسمية وذلك قبيل استقلال البلاد، مما دفع الحكومة فور الاستقلال إلى تعيين مدرسين للغة العربية في المدارس الابتدائية[٢] ولكن بدون رواتب مماثلة لرواتب زملائهم في المدارس الفرنسية، ولا ساعات كافية، بل اتبعوا ما يشبه نهج "دنلوب" في سياسته مع المناهج التعليمية في مصر لما عين مستشارا لوزارة المعارف أيام وجود الإنجليز فيها[٣] وهي جعل المواد الدينية والعربية في الساعات المتأخرة من اليوم، حين دب الملل في نفوس التلاميذ، وأصابهم التعب والنصب، بالإضافة إلى كون المادة العربية اختيارية ولم تكن معتبرة في الامتحان، مما يشجع التلميذ إلى الإهمال لتلك المواد[٤]، وغير ذلك من وسائل المحاربة للغة العربية وتثبيط الناس عنها.

واستمرت الحالة هكذا حتى قامت وزارة التربية الوطنية السنغالية بتنظيم تدريب "بداغوجي" (**pedagogie**)[٥] لخريجي المعهد الفرنسي العربي عام ١٩٧٨م كما أرسلت قبل ذلك في عام ١٩٧٧م

---

(١) راجع مبحث الكتاتيب من هذا البحث.

(٢) أضواء حول التعليم الإسلامي في السنغال، مصدر سبق ذكره، ص:٩.

(٣) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص:٢١٧ فما بعدها، مؤسسة المدينة للصحافة١٣١١هـ١٩٩٠م، ط: ٣.

(٤) انظر: أضواء على السنغال، مصدر سابق، ص: ٥٢، وواقعنا المعاصر، المصدر السابق، ص: ٢١٧ فما بعدها.

(٥) وهي كلمة فرنسية تعني أصول التدريس أو علم التربية. انظر: القاموس(فرنسي عربي) دار الكتاب، بيروت – لبنان، ط: ٣، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

فوجا من المدرسين باللغة العربية في المراحل الابتدائية و الثانوية إلى المملكة المغربية لتكوينهم كمراقبين ومشرفين إداريين يقومون بالإشراف على التدريس وسير أعمال المدرسين لدى عودتهم أرض الوطن،[1] يعني ذلك أن الوضع التعليمي الإسلامي في السنغال تحسن نوعا ما بعد استقلال البلاد، ولكن لا يفسر أبدا باستلام حقه الكامل إذا قارناه مع التعليم الفرنسي، سواء في عهد الرئيس الأول أو الثاني أو الثالث والحالي للبلاد، إلا أننا نعترف بتحسن ملموس فيه، وخاصة في وقتنا الحاضر حيث يتم الترشيح سنويا من المدرسين للغة العربية (المتطوعين) مابين ٥٠٠إلي ٧٠٠ مدرسا من حملة الشهادة الإعدادية أو الثانوية، هؤلاء يتقاضون شهريا في أول أمرهم حوالي ١٣٠٠٠٠ فرنك أي ما يقارب ألف ريال سعودي تقريبا، وكذلك يلتحق بمدرسة إعداد المعلمين عشرات من حاملي لسانس وماجستير حيث يتلقون التكوين البداغوجي فيها قبل تعيينهم في المدارس الحكومية أو الأهلية المعترفة لدى الحكومة، ليصبحوا موظفين كاملي الحقوق، بينما كان يرشح من هؤلاء قبل عشر سنوات واحدا أو اثنين في كل سنة، أولا يرشح أحدا في سنة كاملة!!.

ومن واقع التعليم الإسلامي في السنغال نجد أن سياسة الدولة التي تتسم بطابع علماني كانت ترفض وجود تعليم ديني في المدارس العمومية لفترة طويلة، بل كانت تمنع منعا باتا مدرسي اللغة العربية في تلك المدارس من كتابة "لبسم الله الرحمن الرحيم" على السبورة ! بحجة أن المدرس لم يكلف بتدريس الدين وتعاليمه، وإنما يطلب منه أن يدرس اللغة فقط !! ولكن هذه المضايقات تراجعت لما رأت الحكومة أن تلك السياسة لم تكن ملائمة للواقع الاجتماعي الذي يقتضي وجود التربية الدينية والتعليم الإسلامي، لأن المسلمين هم الأغلبية العظمى في هذه البلاد، بل هم الذين أجبروها في إدخال اللغة العربية

(١) انظر:أضواء حول التعليم الإسلامي، نفس المصدر، ص:١٠-١١.

والإسلامية في المدارس الحكومية أو لا يرسلون أبناءهم إلى تلك المدارس، فاضطرت الحكومة إلى استجابة مطالب الشعب، فأدمجت اللغة الغربية في المدارس الحكومية المنتشرة في جميع أنحاء البلاد، مما فتح الباب أمام الراغبين في التدريس فيها من خريجي المتوسطة فما فوقها، إلا أن التعليم العربي فيها لا يكون إلا من هذه المرحلة المذكورة وما بعدها، كما أن أنها اختيارية.

ومن مظاهر هذا الحرص والاندفاع الشعبي إلى تعليم أبنائهم اللغة العربية والعلوم الإسلامية ما قام به الشيخ صالح البكي الخليفة المريدية الراحل رحمه الله، حيث أمر بإغلاق المدارس الفرنسية التي بنتها الحكومة في مدينة طوبي[1] ثم حولت إلى كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم بعد أن عوض الشيخ المذكور الحكومة ما أنفقته في بنائها!

ولما تنبهت الحكومة لهذا الموقف من الشعب السنغالي بالإضافة إلى عزوف كثير من الناس عن التعليم العمومي لأسباب ذكرتها سابقا، بدأت بقوة في إدخال التعليم العربي الإسلامي في مدارسها، وزيادة الحقوق للمستعربين، كما بدأت بفتح مدارس مزدوجة (فرنسية عربية) عام ٢٠٠٣م في أربعة أقاليم"جربل"، و"لوغا"، و"كاولخ"، و"كفرن" كخطوة أولى للتوسع من هذا النوع من المدارس، كما أنها انتشرت بعد ذلك حتى اشتملت جميع الأقاليم والمدن السنغالية في الوقت الحاضر، بل شرعت الحكومة في إنشاء ١٠٠مدرسة من هذا النوع في تلك الأقاليم الأربعة مع بداية السنة الدراسية لعام (٢٠١٠-

(١) طوبي: المدينة الثانية بعد العاصمة داكار من حيث كثافة عدد السكان،تقع شرقها علي بعد منها حوالي ١٩٠كلم، وهي مركز الطريقة المريدية، ولها شبه استقلال ذاتي ؛ بحيث لا تخضع لكثير من القوانين الحكومية، يمنع فيها منعا باتا الخمر والسجاير والموسيقية والتبرج بشكل علني، ولها قدر من الاحترام والتقدير في قلوب المريدين.

٢٠١١م) التي سوف تفتح أبوابها في شهر أكتوبر في هذا العام (٢٠١١م) على حد قول مسئول كبير في القسم العربي بوزارة التربية الوطنية تم إجراء المقابلة معه في مقر الوزارة(١).

كما تم اعتراف الحكومة بعدد من المدارس والمؤسسات التعليمية الإسلامية في البلد، ولكن لا يعني ذلك اعتراف شهاداتها، وإنما لتستحق دعما ماديا من الحكومة سنويا لا أكثر(٢).

إذا أمعنا النظر في المؤسسات التعليمية الإسلامية والتعليم الإسلامي في السنغال نستنتج أن للمؤسسات التعليمية دورا فعالا في تثقيف أبناء المسلمين ونشر الثقافة الإسلامية في المنطقة، كما أن مستقبل التعليم الإسلامي في هذه البلاد مستقبل محفوف بالأمل والتفاؤل رغم الجهود التي كان العدو يبذلها ومازال، مصداقا لقوله تعالي في محكم تنزيله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ويبذلون كل ما لديهم من تدابير وتخطيطات لمحاربة الإسلام والثقافة الإسلامية، وتقليل شأن الدين وأهله بوسائل مختلفة.

ومن مظاهر تلك المحاربة جعل عطلة نهاية الأسبوع يومي السبت والأحد بدلا من الخميس والجمعة، مع العلم بنسبة المسلمين في البلد، وهم يحتاجون إلى الاستعداد لصلاة الجمعة، ولكن الحكومة جعلتها يوم عمل بحيث يسمح لهم ساعتين لاستعداد للصلاة مع تمديد الدوام فيها إلى الساعة الخامسة بدلا من الثالثة عوضا عن الساعتين اللتين كانوا يؤدون خلالهما الصلاة.

(١) وهو الأخ بارفاي، تم مقابلته في مكتبه بمقر وزارة التربية الوطنية، مع زميل له شيخ امبو، بتاريخ ٢٠١٠/٨/١٠م.
(٢) انظر: المدارس العربية الإسلامية المعترفة لدى الحكومة السنغالية في ملحق رقم (١٧).

المبحث الثالث

المساجد في السنغال، وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية

أولا/ تعريف المسجد:

١- **المسجد في اللغة**: هو مكان السجود؛ من سجد يسجد سجودا إذا خضع وذل أو انتصب، ضد[١]. وهو من أشرف العبادات كما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**)[٢] وبذلك يتضح أن اختيار اسم المسجد فيه تشريف للمكان؛ لشرف العبادة المشتق منها الاسم.

٢- **المسجد في الاصطلاح**: هو كل مكان مخصص للصلوات الخمس، أما الأماكن المخصصة لبعض الصلوات بصفة مؤقتة كصلاة العيدين أو للرباط أو للرحلة والتنزه أو كما في المؤسسات التعليمية ونحوها، فلا تحمل اسم المسجد ولا حكمه وإنما يطلق عليه اسم المصلى[٣].

٣- **المسجد شرعا**: كل موضع طاهر من الأرض، لما رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عن النبي ﷺ قال: (**... وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل..**)[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة "سجد" (٣٠٤/٣) والقاموس المحيط، مادة "سجد" (٢٨٧/١)، مصدران سبق ذكرهما.

(٢) صحيح مسلم، مصدر سابق، (٣٥٠/١)، ورقمه:٤٨٢.

(٣) انظر: رسالة المسجد في الإسلام، بحث أعده عبد الرشيد هدية الله، مدير كلية الشيخ عبد العزيز بن باز في نيجريا، بمناسبة فعاليات الملتقى الثالث عشر للجنة الدعوة في إفريقيا، خلال رمضان المبارك ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص: ٢، وأحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، الشيخ إبراهيم بن صالح الخضري، (٥/١)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية. ط:١، ١٤١٩هـ.

(٤) متفق عليه، وهذا لفظ البخاري، ورقمه:٤٣٨، ورقمه في مسلم:٣٥٠.

ولما للمسجد من فضائل ومكانة في الإسلام وردت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية تحث على العناية والاهتمام به، ومنها قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨]، وقوله تعالي: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ [النور: ٣٦]. وفي قوله عز وجل:﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

أما في السنة النبوية فيكفي دليلا على أهمية المسجد ومكانته في الإسلام أن أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وصوله إلى المدينة المنورة هو بناء مسجد قباء ثم المسجد النبوي، لما كان يؤديه من أدوار سياسية واجتماعية ودينية...

ومنها ما رواه أبو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ...**)[1].

وعَنْه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**) [2].

وعَنْه أيضا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**)[1].

(١) صحيح البخاري، مصدر سابق، ص: ١٣٣.

(٢) صحيح البخاري، مصدر سابق، ص: ١٣٣.

وفي هذه النصوص وغيرها ما يبرز أهمية المساجد وفضائلها ووجوب العناية والاهتمام به.

ثانيا/ مفهوم المسجد لدى معظم السنغاليين:

هو ذلك المكان المعد للصلوات الخمس، وعقد النكاح أوفي ساحته، وترفع إليه الصدقات أحيانا، كما يتم إغلاق أبوابه بعيد كل صلاة دون تأخر، إلا إذا كانت تحت سيطرة الطائفة التجانية[٢] فيؤجل بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب أحيانا لإقامة حلقات الذكر المعروفة بالوظيفة[٣].

أما المسجد الجامع في فهمهم فهو ذلك المكان الذي يؤدي فيه فريضة الجمعة فحسب لا غير؛ حيث يغلق إلي الجمعة القادمة باستثناء بعضها، حيث تؤدي فيها الجمعة والصلوات الخمس.

والمساجد منتشرة في طول البلاد وعرضها منذ الاستقلال من المستعمر الفرنسي، إلا أن معظمها طائفية مع الأسف الشديد كما سيأتي الكلام عنه قريبا.

ثالثا/ وضع المساجد في السنغال:

مما لاشك فيه أن المساجد في السنغال قديمة قدم وصول الإسلام إليه واعتناق أهله له، وذلك لما هو معلوم من أن وجود المساجد ضرورة لإقامة شعائر الإسلام.

---

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، ص: ٤٦٤.

(٢) سيأتي التعريف بها في مبحث التصوف.

(٣) الوظيفة عبارة عن ذكر جماعي مخصوص، وبألفاظ مخصوصة، تقوم به الطائفة التجانية فقط دون غيرهم من بقية الطرق الصوفية، وهم يجلسون على شكل دائري وفي وسطه فرش من قماش أبيض، وهم يعتقدون أن النبي يحضر هذا المجلس ومكانه فيه هو هذا القماش الأبيض! ويقومون بذلك بعد صلاة الفجر، وقبيل المغرب أحيانا، وهي من أسس طريقتهم، هذا بمشاهدتنا ومعايشتنا الواقع.

وفي عهد الاستعمار كانت المساجد محدودة جدا بسبب القيود والعراقيل التي وضعها الاستعمار أمام من يريد بناء مسجد أو فتح مدرسة، أو كُتاب، أو مما له صلة بالإسلام، فلابد من تقديم طلب الترخيص إلى الحاكم الفرنسي في المنطقة أو نائبه [1] وما كان يعطي رخصة إلا من يثق بولائه للسياسة الاستعمارية أو غير معاد لها على الأقل.

أو ترجع قلة المساجد وقتئذ لأسباب أخرى مثل ما ذكر **د. خديم امباكي** حيث قال (أولها عدم ممالك إسلامية قوية ومستقرة تعنى بتنظيم الشؤون الدينية، وثانيها كثرة الحروب وفقدان الأمن والهجرات المتتالية، وثالثها ضعف الوضع الاقتصادي للسكان المسلمين)[2].

أما اليوم فتعد المساجد في السنغال بالألوف رغم صعوبة تقديم عددها بالضبط؛ لأنها ليست تحت وزارة أو جهة معينة تعني بها.

ولكن مما لا خلاف فيه بين اثنين هو أن السنغاليين يحرصون على إقامة المساجد في مدنهم وقراهم، ويتم ذلك حسب الظروف والإمكانية، إلا أن كثيرا منهم لا يحرصون على متابعة الصلوات المفروضة فيها بانتظام، ولا بالصلاة فيها بصورة جماعية مع الأسف الشديد، جهلا بوجوبها وأهميتها في حياة الفرد والمجتمع، لا كفرا ولا عنادا، ولعل ذلك فيما أرى يرجع إلى انتشار الجهل عن حقيقة الإسلام لدى معظم الشعب السنغالي، وعدم التعود إلى ذلك، بحيث يرى بعضهم أن لا فرق بين أن تصلي في المسجد مع الجماعة وأن تصلي في بيتك، المهم لا تترك الصلاة نهائيا، ولا يضرك في أي مكان وفي أي وقت صليت، بالإضافة إلى قلة التوعية اللازمة في هذا الجانب المهم.

---

(١) انظر: ملحق رقم (٤) رسالة نموذجية من أحد زعماء الدين إلى الحاكم الفرنسي يطلب فيها السماح له ببناء مسجد في قريته.

(٢) مؤسسات التعليم الإسلامي والمساجد في السنغال، مصدر سابق، ص: ٥٥.

رابعا/ طبيعة المساجد في السنغال:

أما طبيعة المساجد في السنغال فغالبيتها في القرى والأرياف متواضعة جدا، بحيث تتكون في الغالب من الخشب أو الزنك في مساحة لا تزيد عن ٥ أو ٦ م٢، وقد يحيطها جدار من الخشب أو الزنك أيضا، ويقع المسجد في وسط القرية ويحاط بالبيوت من كل الجهات؛ وهي تبعده بمساحة تقدر حوالي ما بين ٣٠ إلى ٥٠ مترا، وفي معظمها لا يأتيها للصلاة إلا عدد قليل من الناس بالنسبة لمجموع سكان القرية، وربما هؤلاء يأتونها في بعض الصلوات في اليوم، وخصوصا صلاة الفجر والمغرب والعشاء حيث يتواجدون في البيوت، بينما الظهر والعصر غالبا ما ينشغلون بالمزارع وأعمال أخرى، وفي بعضها قد يظل مغلقا لفترات طويلة لا يري من يستأنس به من البشر!.

أما في المدن وفي بعض القرى فغالبا ما يبنون مساجدهم بهندسية عصرية جميلة، فيكون له مئذنة أو أكثر، وقبة أو قباب، أو بدون قبة ولا مئذنة، و بعض المساجد- مع قلتها - مزودة بمكتبة تحتوي على بعض الكتب المتوفرة لديهم، وجناح خاص بالنساء، ورحاب مخصص لتعليم الأطفال القرآن الكريم على يد معلم من سكان الحي أومن خارجه، وكذلك دورات المياه وأماكن للوضوء، وقد تجد غرفة خاصة لتجهيز الموتى.

كما توجد مساجد عائلية تقع داخل بعض بيوت الأثرياء أ وزعماء الصوفية يصلي فيه أهل البيت والأقرباء وبعض الجوار أحيانا، وذلك لأهداف مختلفة من شخص لآخر، وبعضهم يفعلون ذلك لأنهم يرغبون في بناء مسجد صغير داخل أي بيت بنوها؛ تسهيلا لنفسه الصلاة في الجماعة، وتشجيعا لأهله كذلك عليها، بينما يهدف البعض في ذلك إلى تقليل خروجه أمام مرأى الناس والاختلاط معهم الأمر

الذي يقلل هيبته ومكانته لديهم في نظره، أما مساحة هذه المساجد فتكون غالبا صغيرة، لا تزيد عن ٤ أو ٥ م[٢].

وللجمعيات والمنظمات الخيرية جهود جبارة في بناء المساجد في جميع أرجاء البلاد، ومن تلك الجمعيات والمؤسسات على سبيل المثال لا الحصر جماعة عباد الرحمن، وحركة الفلاح، ومؤسسة منار الهدي الإسلامية، والندوة العالمية الإسلامية للشباب، و لهذا الأخير نصيب وافر في هذا الجانب "بناء المساجد" وغيرها من الأعمال الخيرية، حيث بنت إلى الآن في السنغال ٣٩ مسجدا، و١٣ منها في العاصمة والبقية موزعة في المدن والمحافظات المختلفة، كما يوجد ١١ مسجدا تحت الإنشاء قارب بعضها الانتهاء، وخمسة منها في العاصمة[١].

أما مصادر التمويل لبناء المساجد بصفة عامة في السنغال فإما بتبرع أحد الأثرياء من أبناء البلد، أذكر هنا أشهرهم إطلاقا على سبيل المثال: **الحاج أبوبكر كبي** المشهور بـ: **(جوغا كبي)** المتوفى: ١٩٨٤م رحمه الله **والحاج عبد القادر امبي** المشهور بـ: **(جيل امبي)** المتوفى ١٩٩١م رحمه الله، ما قاما به من بناء المساجد وحفر الآبار والأبراج الارتوازية للمياه، ومشروعات خيرية في البلد قلما تجد نظيرهم فيها إلى الوقت الحاضر، رغم وجود عدد كبير ممن يملكون مليارات من أبناء البلد، ولكن أين الهمة والإيثار؟!.

وربما يبدأ سكان الحي بما أمكن لهم جمعه من مالهم ثم يأتي بعض المتبرعين ويتولى إكماله، أو ما تقوم بها الجمعيات أو المؤسسات الإسلامية السنغالية بالإشراف على بعض المساجد المدعومة من قبل أحد المحسنين أو الجهات الخيرية في الدول الإسلامية، وخصوصا من الخليج العربي كمملكة العربية

(١) انظر موقع بشائر الإسلام الإلكتروني، بتاريخ٧/١١/١٤٣١هـ

السعودية والكويت والإمارات والقطر، إضافة إلى بعض المؤسسات، ممثلة في رابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب، وبيت الزكاة الكويتي، وغيرها من الجهات الخيرية.

خامسا/ ملاحظات على المساجد السنغالية:

إن الشعب السنغالي شعب مولع بالإسلام وبالأخلاق الفاضلة، ولكن رغم هذا مع الأسف الشديد ينتشر في كثير من أوساط المجتمع الجهل بالدين الإسلامي والتعاليم الإسلامية، وتأثر كبير بالغزو الفكري الذي خلفه لهم الاستعمار، ونتج عن كل ذلك آثار مؤلمة ومخزية يجب محاربتها وإزالتها من الوجود عن مجتمعنا الغالي، وسأشير هنا إلى بعضها:

١- أخطاء جسيمة عند إنشاء بعض المساجد: وهو عدم الاستعانة بذوي الخبرة لتحرى القبلة حين وضع الحجر الأساسي للمسجد، وهذا أمر خطير يجب التنبه إليه.

٢- ذلك التفريق الموجود في المساجد بين الطرق الصوفية؛ فتسمع هذا مسجد التجانيين، وذلك مسجد القادريين، وذاك مسجد اللاهينيين، وآخر للمريدين... وهل للمساجد غير الله؟! ونحن نقرأ في كتاب الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] وأشد من ذلك تجد كثيرا من الجهلة يمتنعون عن الصلاة في مسجد ليس من مساجد الطريقة التي ينتمون إليها، ولا يدرى هذا المسكين أن مؤسسي تلك الطرق الصوفية في البلد ما يرضون أبدا بأي شيء يفرق جماعة المسلمين، فكيف يأمرون بمثل ذلك؟ بل كانوا يتبادلون الزيارات والهدايا فيما بينهم، وتسمية أبنائهم بعضهم البعض، ومن المؤسف جدا هذا الصراع المذهبي البغيض الذي من آثار ومخلفات المستعمر (المستدمر) حيث كان يطبق فترة وجوده في السنغال سياسة "فرق تسد" وقد نجح فيها إلى حد كبير؛ وهذه الآثار لخير دليل على ذلك.

لاشك أن هذه الظاهرة ليس لها من الإسلام بشيء، ولا من العقل السليم والسلوك السوي بمكان، كما أنها تمثل عائقا كبيرا دون تحقيق رسالة المسجد ودوره في نشر الثقافة الإسلامية بين المجتمع.

٣- احتكار الخطب المنبرية: أعني بذلك التزام بعض الأئمة بقراءة الخطب التي كتبها شيخ الطريقة دون غيرها؛ لأنها فقط من كتاباته بغض النظر عن واقعية الموضوع وحاجة المسلمين إليه، بل وأشد من ذلك أنه يقرأها قراءة باردة تنوم الحاضرين، وبلغة لا يفهمها أكثر المخاطبين، لأنها عربية وهم لا يفهمونها، ومن المعروف أن خطبة الجمعة وسيلة من وسائل الدعوة وتنبيه وتثقيف المسلم، أليس من الواجب إذا أن تكون بصوت مسموع ومفهوم، وبلغة معلومة؛ لتلبي حاجات المخاطبين وتحقق رغباتهم، بأن تكون موضوعية وواقعية، مراعية الأحداث والمستجدات الزمنية والمكانية؟!. باستثناء كثير من المساجد حيث تلقي الخطب باللغة العربية وباللهجة المحلية السائدة في تلك المنطقة، وقد يتطوع أحد العلماء أو الدارسين بتقديم كلمة قبل وصول الإمام إلى المسجد بدقائق، يتناول فيها قضايا مهمة باللهجة المحلية لسكان الحي، بحيث إذا صعد الإمام يقرأ الخطبة بالعربية فقط.

وهذا لاشك أنه شيء طيب يجعل الناس يستفيدون من تلك الخطب وهو المقصود منها، وهو- بفضل الله – ﷻ أمر قد انتشر مؤخرا في مناطق كثيرة.

موقف بعض أئمة المساجد من الدعاة: لعب الشيطان والهوى بعقول بعض مشرفي المساجد حتى يقدمون إلى منع الدعوة فيها وقيام طلبة العلم بالوعظ، خوفا من أن يأتي بما يجرح في عقيدتهم وبدعهم، ولو اعترفوا بعلمه وصدقه.

٤- خلافات في بعض المساجد: يتم أحيانا إغلاق بعض المساجد فور انتهاء عملية بنائها لاختلافات تحدث بين سكان الحي لأسباب تافهة؛ كالخلاف فيمن سيتولى الإمامة، هل فلان أم فلان... باعتبارات طائفية أو الأوضاع الاجتماعية بحتة، أو غيرها مما لا اعتبار لها في الإسلام، وقد يؤدي إلى التناحر وتدخل الجهات الأمنية وبالتالي يتم إغلاقها حتى يتفق من يهمهم الأمر، وقد يستغرق ذلك لفترات طويلة.

إن هذا لدليل واضح على أن الصوفية في السنغال لهم عناية خاصة بالمساجد، وبإطار دعوة فيها، الأمر الذي قد يعود بكثير من السلبيات.

وجدير بالإشارة هنا إلى أن ما ذكرته من مشكلات ومعوقات لتحقيق المسجد رسالته في السنغال في تلاشي واضمحلال بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة، ولعل السبب هو الوعي المتزايد في أوساط الشعب السنغالي، بالإضافة إلى جهود الدعاة المخلصين من العلماء وطلبة العلم، وخصوصا الذين لهم برامج دينية في وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة، لأن الشعب السنغالي شعب مولع بوسائل الإعلام، وحب الاكتشاف وطلب المعرفة بشكل عجيب كما سيأتي الكلام عنه في المبحث التالي.

سادسا/ أثر المسجد في نشر الثقافة الإسلامية في السنغال:

وللمسجد أدوار ذات أهمية كبرى بين المجتمع السنغالي، وتتمثل في الجانب العقدي والروحي، وفي الجانب الاجتماعي، وكذلك في الجانب الثقافي، وكل ذلك تصب في إيصال الرسالة الإسلامية التي تتسم بالشمولية، وإليك تفصيل ذلك:

١- **الجانب الديني**: أما الجانب الديني والروحي فيتمثل في أداء الصلوات المفروضة والنوافل والاعتكاف وقراءة القرآن والذكر وغير ذلك من أنواع البر مما يغذى روح الإنسان قوة وطاقة إيمانية، ويزيد نفسه اطمئنانا واستقرارا كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] كما أنه يعتبر من أهم وسائل الدعوة الإسلامية في السنغال، الشيء الذي أدركه الدعاة المعاصرون، وهم يستخدمونها بشكل جيد حقيقة مما يؤتي أكله كل حين، حيث يتقدم أحدهم قبيل خطبة الجمعة أو بعيد الصلوات المفروضة بكلمة مناسبة يعدها، وتتنوع موضوعاتها حسب المقام، مما يهم المسلمين في دينهم أو دنياهم.

٢- **الجانب الاجتماعي**: وفي الجانب الاجتماعي يؤدي المسجد في واقع السنغال دورا مهما يمكن ملاحظته في أمور كثيرة منها: أن المسجد في السنغال هو منطلق الحياة الزوجية، حيث تعقد الأنكحة فيها كما سبق، وكذلك تقديم المساعدات والصدقات لمشرفي المساجد ليوصلوها إلى الفقراء والمحتاجين، مما يساهم كثيرا في التعاون الاجتماعي، وتخفيف بعض معانات الشعب الأمر الذي دعا إليه ديننا الإسلامي.

٣- **الجانب الثقافي**: أما الجانب الثقافي فيعتبر المسجد من أهم مراكز التعليم والتثقيف في السنغال، حيث توجد في بعضها حلقات لتحفيظ القرآن الكريم، وحلقات علمية لطلبة العلم، يدرسون فيها مواد دينية؛ كالتوحيد، والفقه، وأصوله، والحديث الشريف، ومصطلحه، والسيرة النبوية، وكذلك اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والفرائض وغيرها.

نموذج من دور المساجد السنغالية في تثقيف الشباب:

وللمساجد في السنغال أدوار عديدة في المجتمع السنغالي كما سبق، وأذكر هنا دوره التعليمي والتثقيفي في أوساط الأطفال والشباب، متناولا في ذلك المسجد الجامع في مدينة "طوبى امباكى"[(١)] كنموذج لبقية المساجد في السنغال.

ومن أهم المساجد التي لها هذا الدور في السنغال المسجد الجامع في مدينة "طوبى"، وهو من أكبر المساجد في غرب إفريقيا إن لم يكن أكبرها، فقد عبر الشيخ أحمد بامبا مؤسس الطريقة المريدية قبل وفاته بثلاث سنوات أي عام ١٩٢٥م حين قال لبعض أتباعه (لا يهمني شيء في الدنيا كما يهمني بناء ذلك الجامع) يشير إلى هذا المسجد، ولما توفي ١٩٢٧م بذل خليفته الأول محمد المصطفي قصارى جهده للحصول على ترخيص المشروع من المستعمر الفرنسي حتى يتسنى له بدء العمل فيه، وناله في عام ١٩٢٩م، ثم بدأوا أعمال البناء سنة١٩٣١م، ولثقل مواد البناء اللازمة وصعوبة الطرق لإحضار الحاجات والمتطلبات إلى الموقع، بالإضافة إلى الحرب العالمية الثانية استمرت عملية البناء حتى عام ١٩٦٣م، وتم افتتاحه في نفس السنة في عهد خليفته الثاني محمد الفاضل ت ١٩٦٨م، بحضور جمع غفير يقدر ب ٦٠٠٠نسمة[(٢)].

وفي هذا المسجد درست لمدة ست سنوات"١٩٨٨-١٩٩٤م"قبل التحاقي بالدراسة النظامية، ومازالت الدروس العلمية تقام فيه إلى اليوم، في حلقات صباحية ومسائية على أيدي علماء متقنين متطوعين، وهذه النوعية من الدراسة مجانية في جميع المساجد التي فيها حلقات علمية في البلاد، ولا

(١) وهي مدينة شرق داكار على بعد ١٩٠كلم، سبق الكلام حولها.

(٢) للتوسع راجع: (من وحي الستين)، للدكتور خديم امباكي محمد سعيد، ص: ١٣، مطبعة كوسبت سرويز للطباعة داكار، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م.

توجد في أي منها دراسة بالمقابل فيما أعلم، وتتخرج في تلك المساجد حينا بعد حين طلاب متميزون، وفي مستوى لا يقل عن مستوى الإعدادي أو الثانوي إلا أنهم ينقصهم بعض المواد كالتجويد والحساب والتفسير ... ولكن المجتهدين منهم في مستوى لا بأس به، بالدليل أن من وفق منهم بمواصلة دراسته في المدارس أو في المعاهد في الدول العربية فلا يجد أية صعوبة في ذلك، بل يتأقلم مع تلك الأنظمة والمناهج بكل سهولة، كما أن بعض العلماء يدرسون في بيوتهم للراغبين مجانا في مجالات وفنون مختلفة؛ إلا أن هذا القطاع "التعليم التقليدي" يعاني مشكلات عديدة تتلخص فيما يلي:

١- قلة بعض الكتب كأصول الفقه، وكتب الحديث، وكتب البلاغة، والتوحيد، والمنطق.

٢- جمود المنهج؛ تجد أن المنهج لم يتغير أكثر من ١٠ سنوات، إلا أنهم في دراسة الحالة لوضع منهج أكثر دقة، بحيث يسمح المتخرج أن يتقن اللغة العربية تحدثا وكتابة، لأنهم في الحقيقة يحيطون المسائل العلمية بمختلف المواد، ولكن لم يتدربوا على التحدث والكتابة باللغة العربية ولم يتعودوا عليها(١).

٣- عدم وجود نظام محترم لدى الجميع؛ بحيث يلتزم الطالب بالحضور في وقت محدد والمواظبة في الحضور ونحو ذلك، بل تركوا الأمر بيد الطالب بالكامل، يأتي متى شاء وكيف شاء، وقد يتأخر أو يغيب أياما أو شهورا بلا شيء، حتى ولا المساءلة.

٤- عدم وجود دعم مادي للمدرسين في هذا القطاع، لا من الحكومة ولا من متبرع من أثرياء البلد، مع أنهم أصحاب أسرة وعليهم مسؤولية الإنفاق عليهم والرعاية بهم، ولذلك من الصعب أن يتفرغوا له.

(١) من مقابلة أجريتها مع سرين بك مبي، مدرس في إحدى الحلقات العلمية، في مسجد طوبى، بتاريخ ٢٠/٣/٢٠١٠م.

ولعل هذه أبرز المشاكل في الحلقات العلمية التقليدية في السنغال؛ وفي رأي الباحث يمكن إيجاد الحلول لها أو تخفيفها على الأقل بما يلي:

١- السعي لإيجاد رابطة أو اتحاد يجمع جميع الحلقات العلمية أو معظمها، وبالتالي يسهل لهم العمل الجماعي الذي هو أنفع وأنجح بلا شك من العمل الفردي.

٢- توعية التجار والأغنياء وإشعارهم بوجوب المشاركة في دعم تلك الحلقات العلمية حتى تتحسن حالاتها مما يعود بالخير للمجتمع برمته.

٣- انطلاقا من تلك الرابطة يمكن تحقيق مشروعات تقوم بتمويلها بعض الجهات الخيرية، والمنظمات غير الحكومية، ما يضمن لبقاء تلك الحلقات المهمة، وتحقيق أهدافها المنشودة.

٤- تنظيم الدراسة في تلك الحلقات بأوقات وساعات محددة ومعلومة يحترمه الجميع.

٥- توحيد المناهج في هذه الحلقات، وبالتالي يمكن إصدار الشهادة للطالب المتخرج فيها تسمح له المشاركة في التدريس في تلك الحلقات حسب مستواه مثلا.

سابعا/ أشهر المساجد في السنغال:

ولا أقصد هنا ذكر جميع المساجد المشهورة، بل أذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر، كما أكتفي بتذييل صور بعضها في الملاحق لا الكل[1].

---

[1] انظر ملحق الصور لبعض المساجد في السنغال رقم (١٠).

١- المسجد الجامع (الأكبر) بداكار، وهو من أقدمها وأكبرها، ملتصق بالمعهد الإسلامي بداكار.

٢- المسجد الجامع بمدينة "طوبي" المذكور آنفا.

٣- المسجد الجامع بمدينة "تواوون" في إقليم "تياس".

٤- المسجد الجامع الذي يقع في حرم جامعة داكار(جامعة شيخ أنت جوب) أفصل فيه بعض الشيء لما له من دور مهم في أوساط الشباب في الوقت الحاضر، قد شيد هذا الجامع عام ١٤١٧/١٩٨٧م، على يد جمعية طلابية تأسست عام ١٩٨٤م على أساس التمسك بتعاليم الإسلام والسنة النبوية والتعاون على البر والتقوى، ولهذا المسجد دور فعال في التربية والتعليم الإسلامي لموقعه الاستراتيجي، وسط علمانيين ونصارى الذين بذلوا كل ما لديهم من قوة لمنع قيام هذا المسجد في هذا المكان ولكن دون جدوى، فخيب الله آمالهم، وقدر علي يد طلاب متحمسين ملتزمين أن يقوم هذا المسجد الصغير في حجمه والكبير في دوره ومعنوياته، لما يؤديه من دور في أوساط الطلبة في داخل الجامعة وخارجها، من محاربة المساوئ بأنواعها؛ من التبرج والبغاء واللجوء إلي العنف وتعاطي المخدرات...كل ذلك يتم عن طريق الدروس والمحاضرات والندوات وعرض أفلام دينية، كما يقومون أحيانا بدعوة الناس إلى التبرع بالدم، وتنظيم إفطار الصائم في رمضان وغير ذلك من أنشطة مهمة وفعالة[1].

(١) انظر: مؤسسات التعليم الإسلامي والمساجد في السنغال، مصدر سابق، ص:٦٦.

٥- المسجد الجامع بمدينة "جوربل".

٦- المسجد الجامع في مدينة "كاولاخ" [١].

موضوعات الخطب في المساجد السنغالية:

أما موضوعات الخطب في المساجد السنغالية فتتلخص في الموضوعات التالية:

التوحيد والعقيدة، الأخلاق، العبادات، المعاملات، ... بالعربية وباللهجات المحلية المختلفة المنتشرة في السنغال.

(١) انظر ملحق المساجد رقم (١٠).

المبحث الرابع

وسائل الإعلام في السنغال، وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية

إن مما لاشك فيه أن لوسائل الإعلام دورا كبيرا في تكوين ثقافة الشعوب، وذلك نظرا لشغف الناس بها وسهولة الاتصال من خلالها وكثرتها حيث إنها تصل إلى الناس في بيوتهم بكل سهولة ويسر.

وسوف أتناول فيما يلي جانبا من هذا الدور الإعلامي سلبا وإيجابا في المجتمع السنغالي، وكذلك أهميتها وخطورتها.

أولا/ المفهوم العام للإعلام هو: إبلاغ ، وتثقيف، وتوجيه، وتوعية.

فالإبلاغ: إخبار بشيء... **والتثقيف**: إحاطة بشيء... **والتوجيه**: دعوة إلى شيء... **والتوعية**: تنوير بشيء...

هذا هو المفهوم العام للإعلام؛ الإسلامي وغير الإسلامي، فشتان ما بينهما، يكفيك أن تعرف أن الهدف الأساسي في الإعلام غير الإسلامي وخصوصا الغربي منها الذي تحت يد الصهاينة حول العالم، بما فيها العالم الإسلامي مع الأسف، هو تدمير الأخلاق والسلوك، ونشر الفوضى والفساد بين الشعوب، شأن اليهود مع الأمم عبر التاريخ.

ثانيا/ الإعلام في المفهوم الإسلامي: أما الإعلام في المفهوم الإسلامي فهي تلك الوسائل الإعلامية التي تهدف في الأساس إلى بث المفاهيم والقيم الإسلامية وترسيخها في النفوس ليصبح الإنسان عارفا بربه ودينه وعقيدته عابدا لخالقه ورازقه لا يشرك به شيئا، مخلصا له العبادة والمحبة، لا يخاف ولا يرجو سواه جل في علاه، مطبقا لأوامره ومجتنبا لنواهيه، مؤديا حقه في السر والعلن كما يؤدي حق الآخرين من المخلوقات باحترام وتقدير ومحافظة على كل ذلك قدر الاستطاعة.

المطلب الأول

وسائل الإعلام في السنغال؛ أهميتها وخطورتها

فوسائل الإعلام في العصر الحاضر تعتبر سلاح ذو حدين؛ يمكن استخدامه في الخير؛ كالدعوة إلى الله عز وجل، والتواصل بين المسلمين في تنظيم قضاياهم المشتركة، وغير ذلك مما يصب في صالح الإسلام والمسلمين، كما يمكن أيضا استخدامها في الشر، شأن العدو الذي اتخذه وسيلة لإيصال رسالته التي تحمل في طياتها محاربة الأديان عموما وعلى دين الإسلام خصوصا؛ لأنه هو الذي يشكل أكبر خطر عليهم وعلى مصالحهم في نظرهم، والسعي إلى الفساد في الأرض، بإشعال نار الفتن بين الشعوب والأمم، ومحاربة القيم والأخلاق بكل وسيلة ممكنة، ليعم الفوضى، وبالتالي تتحقق أحلامهم وهي السيطرة على العالم كله كما يزعمون(١).

ولا يخفى على أحد ما لوسائل الإعلام بمختلف أنواعها من خطورة على الأمة الإسلامية، وخصوصا المسموع منها؛ لأن الكلمة المكتوبة لا تصل إلا لطالبها، أما المسموعة فتقرع السمع دون استئذان، ويصل تأثيرها – طوعا أوكرها– للراغبين فيها ولغيرهم على السواء، ثم جاء التلفاز فأضاف تأثير العين إلى تأثير الأذن، وضم الصورة المتحركة إلى الكلمة المسموعة، واقتحم البيوت وهدد على حياة الملايين من الرجال والنساء كبارا وصغارا من أبناء المسلمين، حيث صرفهم عن ما يفيدهم وينفعهم، وأشغلهم عن أعمالهم وواجباتهم نحو دينهم وأسرتهم ووطنهم، كما أن الخطر يكمن في أن أولاد المسلمين يعرفون عن أبطال الغرب عبر تلك الأفلام والبرامج ما لا يعرفونه عن أبطال الإسلام ورجاله، وتلك المواقف البطولية التي سجلها التاريخ لسلف هذه الأمة وخلفها، وما على الأطفال من ذنب في الحقيقة،

---

(١) انظر: كواشف الزيوف، عبد الرحمن حبنكة، ص:٦٩، دار القلم دمشق، ط:٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

بل نحن كآباء وأمهات ومدرسين ورؤساء الدول... نحن المسؤولون على تربيتهم تربية إسلامية وتقديم لهم تلك الصور الجميلة المشرفة من حياة الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين من بعدهم نحن المقصرون في هذا الجانب، والمسؤولية كبيرة.

والأخطر من ذلك اقتحام القنوات الفضائية والأقمار الصناعية والإنترنت على بيوت المسلمين التي كانت محصنة بمراقبة ومتابعة من أولياء الأمور والمسؤولين، فأصبحت اليوم تفسد في تلك البيوت ما لا يعلمه إلا الله(٢).

هذا ما نعنيه في السنغال كمعظم الدول الإسلامية مع الأسف، الأمر الذي ينذر بخطورة جسيمة يترقبها كل من له بعد النظر وعمق التفكير، كيف لا والإعلام في السنغال أصبحت وسيلة لنشر الفساد بأنواعها المختلفة؛ المرئية والمسموعة والمقروءة، كأنهم يتنافسون في ذلك دون أدنى حياء أو مروءة، بل ما يهمهم إلا جمع المال وكسب الشعبية من الشباب والشابات والمراهقين هؤلاء الذين يشكلون الأغلبية من الشعب السنغالي، وربما تنفيذا لأوامر أصحاب الأيادي الخفية (أعداء الإسلام) ولذلك أفسدوا فيهم ما لا يعلمه إلا الله.

وفي المقابل يمكن أن تكون وسائل الإعلام سلاح ضد الفساد الذي يقوم به العدو، وذلك بإفشال مخططاته وتدابيره عن طريق البيان والتوضيح والتوعية بطريقة منظمة ومحكمة حتى تفادى الأمة الإسلامية ذلك الخطر الداهم، بل وتخرج من الأزمات الأخلاقية والسلوكية التي فرضها العدو على الشعوب الإسلامية، وبهذا يكون لون من الجهاد الذي أمرنا الله سبحانه أن نستخدم فيه كل الوسائل الممكنة، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

(٢) انظر: البحوث والدراسات المقدمة للمؤتمر الثالث للسيرة والسنة النبوية، (٦/٦٢٥)، ط:١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، طبع علي نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، بتصرف بسيط.

المطلب الثاني

أثر وسائل الإعلام في الشعب السنغالي سلبا وإيجابا

وهنا نحتاج إلى معرفة مدى احتكاك الشعب السنغالي بتلك الوسائل الإعلامية، ومدى تأثيرها فيهم من الناحية العقدية، أو الأخلاقية والسلوكية، سلبا أو إيجابا، وفيما يلي توضيح ذلك إن شاء الله.

تمثل الشباب والأطفال الأغلبية الساحقة من الشعب السنغالي حسب الإحصائيات الرسمية لعام ٢٠٠٩م التي تفيد بأن من أعمارهم من ٠-١٤ سنة يمثلون من مجموع السكان ٤٠%، ومن ١٥-٦٤ يمثلون ٥٦%، أما الذين أعمارهم من ٦٥ فما فوق لا يمثلون إلا ٤% من مجموع السكان، مع العلم بأن معدل النساء أكثر من ٥٠% شأن كثير من المجتمعات الإسلامية(٣).

وبواقع المشاهدة ندرك أنهم يتميزون بحب الرياضة، والاطلاع والمعرفة، فهم يجرون بقوة دافعة وراء هذين الأمرين، مما أدى إلى ارتفاع عدد وسائل الإعلام بشكل عجيب في مدة قليلة وخصوصا في الآونة الأخيرة، وبمختلف أنواعها من الإذاعات والتلفاز والصحف والمجلات ومقاهي إنترنت (الشبكة العنكبوتية العالمية) المنتشرة في طول البلاد وعرضها، ما يزيد الأمر خطورة إذا تأملنا في كل ما سبق وأمعنا النظر فيها.

وفي السنغال - مع صغره من حيث المسافة وعدد السكان - سبع قنوات تلفزيونية رئيسية، وثلاثة أخرى فرعية، وكذلك أكثر من عشرة محطات إذاعية رئيسية، وعشرات المحطات الإذاعية الإقليمية المنتشرة في جميع الأقاليم والمدن السنغالية.

---

(٣) انظر: إسلام أون لاين، بتاريخ ١٤٣٢/٢/١هـ.

وتوجد في محافظة واحدة أحيانا اثنتان أو ثلاثة أو أكثر من تلك المحطات الإذاعية، وكذلك الصحف اليومية لا تقل عنها عددا، مما يؤكد حرص هذا المجتمع على متابعة مجريات الأحداث المحلية والدولية بشكل دائم من جانب، وحرص أصحاب الأيادي الخفية على تضليل هذا الشعب من جانب آخر، مع العلم بأن سواد الأعظم من هؤلاء الشباب لم يحظوا بقدر كاف من علوم الدين، وربما أيضا لم يتحصنوا بالتربية الإسلامية اللازمة، ولم يتسلحوا بالعلوم الشرعية الكافية لتكون وقاية لهم وسدا مانعا من التيارات الخارجية المدمرة، ما يسهل بطبيعة الحال مهمة العدو المستعمر الذي يتربص بهم الدوائر لتدمير الأخلاق الإسلامية وقلع جذوره من القلوب، وطمس هويته، خصوصا إذا كان الشعب على هذه الحالة.

وبالفعل فلهذه الجهود والخطط التي تبذلها الأعداء ليلا ونهارا لتحقيق تلك الأهداف المشار إليها آثار مؤلمة ونتائج سلبية مما سيأتي قريبا في هذا المطلب.

ومن المعروف أن هذا الانتشار المدهش من وسائل الإعلام المختلفة في مدة أقل من ١٥ سنة في بلد يقل عدد سكانها ١٣مليون نسمة؛ لم يكن صدفة، علما بأنه ما كانت على أرض السنغال قبل هذا التاريخ إلا تلفزيون واحد وإذاعتان أو ثلاثة، بل وراءه أمر عظيم وخطة مدروسة لتنفيذ مشروع محدد كما يرى غالبية من شملتهم الاستبانة التي استقيناها من مختلف فئات المجتمع ذكورا وإناثا، من حاملي الثقافة العربية وحاملي الثقافة الفرنسية على السواء! (٤).

بل هناك من يرى أنها وسائل جهزها العدو (المستعمر) الذي خرج من البلاد صوريا ولكنه موجود حقيقيا؛ لأن عيونه ومواليه موجودين في الساحة وفي كل المجالات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

(٤) انظر: نموذجا من هذه الاستبانة في الملحق رقم (٦-٧).

جاهدين على تنفيذ الأوامر والتعاليم بكل دقة، ساهرين على أن يرتد هذا الشعب المسلم – عياذا بالله – أو ينخلع عن الدين وعن كل ما له به صلة من أخلاق وسلوك وعبادة، بحيث لا يبقى له من الإسلام إلا الاسم والانتماء فحسب، وذاك هدفهم مصداقا لقوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[البقرة: ١٢٠].

لما أدرك العدو تماما مدى خطورة تلك الوسائل الإعلامية في محاربة الأخلاق والسلوك الإسلامية، تشمَّر بعزيمة قوية ومملوءة بالأمل إلى تحقيق ذلك بأي وسيلة ممكنة؛ بالمال أو بالضغط على الحكومة مهما كلفه ذلك من أمر، ولذلك تجد أن البرامج التلفزيونية كلها مليئة بأفلام مخزية ومفضوحة، ولا يكاد الرجل أن يقدر مشاهدة التلفزيون في بيته مع أبنائه سويا، لما ينتظره من خجل بلا شك من معاكسات وممارسات الجنس بلا أدنى حياء، أو أفلام يندي لها الجبين في تدريب الأطفال في الحب والجنس، أو ممارسة العنف والعناد، ومحاربة الإسلام والأخلاق، بل ومحاربة الإنسانية قبل كل شيء!

ولاشك أن لهذه الظاهرة المشينة صورة عكسية على كثير من الأطفال الصغار والمراهقين والشباب، مما أفسد فيهم ما بناه الأجداد والسلف الصالح لهذا الشعب الكريم من العفة والمروءة والحياء وحسن الخلق إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي حثنا ديننا الإسلامي الحنيف على التحلي بها.

أضف إلى ذلك ما نراه ونسمعه شبه يومي من الأخبار اليومية من تلك الوسائل من محاولة تشويه الإسلام وأهله بنشر أخبار ملفقة ومصطنعة، بعيدة عن الصحة، وبأساليب وعبارات مشبوهة، كقولهم بأن شيخا أو أحد معلمي القرآن في المدينة الفولانية جامع بنتا صغيرة من تلامذته مثلا، أو كان يعاكسها! وهذا كثيرا ما يرددونه في النشرات الإخبارية في فترات مختلفة، دون أدنى توثيق لتلك الأقوال

من صورة أو فلم أو صوت أو نحوها، ما يبرهن كذب هؤلاء وحقدهم الدفين على الإسلام، وما ذلك إلا لون من ألوان المحاربة ضد الإسلام، وضد الكتاتيب على الوجه الخصوص، وأسلوب من أساليب المحاولة لإرسال الرسالة إلى أولياء أمور الأطفال ليبعدوا أبناءهم من الكتاتيب وأماكن التحفيظ للقرآن الكريم، الشيء الذي يخوفهم ويزعجهم كثيرا، وخاصة لما يرونه من إقبال كبير من الشباب وأولياء الأمور على تعلم كتاب الله عز وجل والعلوم الإسلامية بصورة لم يعهده تاريخ السنغال كما سبق أن أشرت إليه في محله.

اتضح مما سبق بعض السلبيات لوسائل الإعلام لسوء استخدامها من بعض أفراد المجتمع استخداما صحيحا وسليما، إلا أنها لا تخلو من إيجابيات كما أسلفت، هذا ما سأتناوله فيما يلي:

أما إيجابيات تلك الوسائل فتظل واضحة في أوساط السنغاليين من الدعاة والمربين رغم الجهود المبذولة من العدو وخدمه كما قلت، فإن الدعاة السنغاليين من الجيل المعاصر نجحوا إلى حد بعيد في إيصال الرسالة والتعاليم الإسلامية إلى الشعب عبر برامج دينية، إذاعية وتلفزيونية، من دروس، وعبر، ومواعظ، وفتاوى مباشرة وغير مباشرة حول مسائل مختلفة، من فقه وتوحيد وسيرة نبوية وغيرها، وتلك جهود مباركة ومثمرة بفضل الله تعالي ثم بجهود هؤلاء الدعاة الأبطال.

مع العلم بأنه لا توجد في السنغال قناة إسلامية متخصصة؛ بمعنى قناة تركز برامجها في ما يخدم للإسلام من الدعوة إلى الله ﷻ والتعليم بأمور الدين الإسلامي من الأحكام والمعاملات والأخلاق...وإنما الواقع هو وجود بعض القنوات تخصص بعض البرامج لمثل ذلك، وليس كل القنوات والإذاعات تفعل ذلك، كما أن الساعات المخصصة فيها للبرامج الدينية غير كافية وربما يضعونها في أوقات غير مناسبة، الأمر الذي يضيق المجال نوعا ما أمام أولئك الدعاة الذين لهم برامج فيها ورغم ذلك

فالنتائج مبشرة، والنجاح مشهود لدى كل ناظر، حيث أصبح اليوم عدد كبير من المجتمع السنغالي في وعي تام وفي اهتمام كبير بأمور دينهم، وتغير ملموس في السلوك والأخلاق بشكل كبير لدى كثير من أفرد المجتمع السنغالي بفضل تلك البرامج الدينية التي تبث في مختلف القنوات، أو تذاع في بعض الإذاعات الموجودة في السنغال، مما انعكس أيضا على انتشار الكتاتيب في جميع المدن والمقاطعات السنغالية، بل وفي أبعد القرى كذلك بسبب الإقبال الشديد والمتزايد يوما بعد يوم من الشعب على الكتاتيب كما أسلفت، مدركين بأن الخير كله في تعلم كتاب ربهم (القرآن الكريم)، والشر كله في الإعراض عنه، بالإضافة إلى غيبة الأمل التي أصاب بعض الذين أقحموا أفلاذ أكبادهم في المدارس الفرنسية رغبة في الوظائف والأمور المادية بحتة ثم فوجئوا بعد سنوات طويلة قضوها فيها بفقدان العمل وانتشار البطالة بشكل مدهش لدى الشباب المتخرجين في تلك المدارس، فتكون الخسارة من ناحيتين: غياب العمل، وغياب التربية الإسلامية، تلك التربية التي تضمن للإنسان أن يعيش كريما معززا ولو كان فقيرا؛ لأن الغني غني النفس، والراحة راحة البال، وهذا المتخرج في الكتاتيب والمؤسسات التعليمية الإسلامية يتمتع بقدر كبير من الأخلاق الحميدة والسلوك الإسلامية التي تؤهله بالطبع للتعايش مع أي ظرف من الظروف الطارئة، ويتعامل مع الآخرين بأحسن وجه، انطلاقا من عقيدته ودينه، بخلاف ذلك الشخص الذي تربى بين قوم لا ينظرون إلى الدنيا إلا نظرة واحدة، وهي الجانب المادي فقط، ولذلك تراهم لا يتحملون البقاء في الدنيا حين فشلوا في حياتهم المادية، بل يقدمون في الغالب إلى الانتحار؛ لغياب الوازع الديني والتربية الإسلامية، شتان ما بين الشخصين.

ويتضح مما سبق أن لوسائل الإعلام في السنغال سلبيات وإيجابيات؛ وذلك لأنها مشتركة بين أعداء الله والدعاة إلى الله ﷻ، أو بعبارة أخرى بين المفسدين والمصلحين، فكل فريق يعمل لجلب أكبر قدر ممكن إلى صفوفه من أفراد المجتمع، ولكن من تأمل في هذا الصراع الكوني وطبيعة سيره في السنوات الأخيرة وموقف عامة الشعب منه يرى أن العاقبة للمتقين، وأن كلمة الله هي العليا ولوكره الكافرون، ومن أقوى دليل على ذلك ما نشاهده اليوم من إقبال كبير من الشباب والنساء خصوصا في حب الخير

وطلب العلم الشرعي والاهتمام بأمور دينهم، كما نلاحظ أيضا ميل النساء الراغبات في الزواج إلى المتدينين أو المتعلمين المثقفين ثقافة إسلامية أكثر إلى غيرهم بغض النظر عن العامل المادي الذي كان الأساس في السابق، ولا شك أن هذا الوعي المتزايد لدى كثير منهن في الآونة الأخيرة من آثار التوعية التي يقوم بها بعض الدعاة والعلماء في كلماتهم ومحاضراتهم في المناسبات الدينية والأسرية، وفي البرامج الإذاعية والتلفزيونية ونحوها بعد فضل الله سبحانه وتعالى وكرمه.

المطلب الأول

مواجهة التحديات عن طريق المؤسسات التعليمية

ولا يخفى ما للمؤسسات التعليمية بقسميها (التقليدية والحديثة) من دور في تثقيف أبناء المسلمين وتكوينهم وتربيتهم تربية إسلامية متكاملة في هذا البلد "السنغال" كما سبق الكلام عنه في موضعه.

ومن هنا تتضح أهميتها في مواجهة تلك التحديات والعقبات التي أمام المد الإسلامي في هذا القطر وغيره؛ لأن من المعروف نحن الآن في زمن السباق التكنولوجي، ما يلزمنا توسيع دائرة التعلم والاطلاع إلى ما عند غيرنا من الوسائل المعينة في السير مع الركب ومعرفة الخطط والحيل التي يعدها لنا العدو ليلا ونهارا، بالإضافة إلى ما رأينا من تكالب الأعداء على الإسلام والمسلمين في كل أنحاء العالم.

ومن مظاهر ذلك العدوان المغروس في أعماق قلوبهم ما يرمونه ليلا ونهارا من التهم الباطلة الفارغة على الدول الإسلامية وعلى المسلمين، ومحاولة إشعال نار الفتن دائما فيما بينهم متى سنحت لهم فرصة لذلك، وفرض العقوبات علي بعض الدول الإسلامية دون غيرهم، ولا تكاد تسمع أو ترى دولة كافرة فرضت عليها عقوبة! ما يؤكد وجوب التقارب أكثر بين المسلمين، والتعاطف والتعاون فيما بينهم كما أمرهم بذلك دينهم الذي يجمعهم في دائرة واحدة، ألا وهي دائرة الإسلام، وأقرب طريق وأصوبه للوصول إلى ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة وتعاليم الدين الإسلامي، ونبذ الخلافات الداخلية لمواجهة العدو المتربص الحريص على ما يفرق المسلمين ويضعفهم يقول تعالي في محكم تنزيله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] وكيف يتم ذلك؟ لا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق التعلم والتعليم، وهنا تظهر أهمية المؤسسات التعليمية في هذا الجانب، أعني

الجانب التثقيفي والتكويني للجميع، وللشباب خصوصا، للقيام بتلك المهمة الملحة لأنهم أمل الغد ومستقبل البلاد.

وللمؤسسات التعليمية الدور الأكبر في ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في قلوب المسلمين وتثبيت روح التعاطف والتحابب فيما بينهم، وغرس الغيرة على هذا الدين في نفوسهم، والحرص على دفاع مقدساته بكل ما لهم من قوة؛ لأنه من الكليات الخمس أو الضرورات الخمس التي أمرنا الله بحفظها كما هو معروف، بل هو أولها، وهي الدين والنفس والعرض والنسل والمال[1] كما أنها "المؤسسات التعليمية" هي المنابع الصافية والأساسية التي يرتوي منها الطفل والشاب ويتلقى منها العلوم والمعارف التي يستنير بها في مستقبل حياته في جميع الجوانب الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية...

فإذا أدركنا ذلك تماما وأعددناها إعدادا مناسبا حتى تؤدي واجبها نحو روادها من المتعلمين فستكون النتيجة إيجابية ولابد، وإذا أهملنا واسترخينا فالنتيجة عكسية تماما بلا شك.

وعن طريق تلك المؤسسات نستطيع إعداد جيل يقوم بدوره مواجهة تلك التحديات السابقة وغيرها التي تهدد مستقبل الإسلام في هذا البلد، وهذا يدعونا إلى ضرورة الاهتمام والعناية بالمدارس والمؤسسات التعليمية بتزويدها ودعمها ماديا ومعنويا بكل ما يسهل سيرها نحو مستقبل مشرق.

وإذا نظرنا بعين التمحيص والتقويم حالة هذه المؤسسات وواقعها تجاه هذا الدور المهم المنوط على عاتقها نجد أن هناك نتائج طيبة وسارة بالفعل، كما نلاحظ جهودا جبارة وتقدما كبيرا في دورها الإيجابي بفضل مدراءها وأساتذتها المخلصين رغم قلة الإمكانيات وكثرة العقبات في طريقها، والواقع

(١) انظر تقديم الشيخ بكر أبو زيد في الموافقات لشاطبي، المجلد الأول، طبع الكتاب في وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، تحت وكالة شؤون المطبوعات والبحث العلمي، سنة الطبع: بدون.

شاهد على هذا؛ لأن كلنا يرى زيادة الإقبال إلى المدارس العربية الإسلامية في بداية كل عام دراسي جديد من أفراد الشعب من الجنسين على حد سواء، حتى إن كثيرا من تلك المؤسسات التعليمية تعاني التكدس في فصولها حتى تضطر إلى تكرار كل فصل من الأول الابتدائي إلى الثالث الثانوي أو بعضا من هذه المراحل مما يبشر بالخير لمستقبل هذه البلاد بإذن الله تعالى رغم الصعوبات والعوائق التي تعانيها تلك المؤسسات الإسلامية الموجودة في البلد دون استثناء.

المطلب الثاني

مواجهة التحديات عن طريق الدعوة والدعاة

فالدعوة إلى الله واجب ديني، والنصوص التي تؤكد ذلك وتدعو إليها من الكتاب والسنة فوق الحصر، أذكر بعضا منها على سبيل المثال قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقوله ﷺ: (**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة**) [(١)] وقوله ﷺ: (**فو الله لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ**) [(٢)].

وهي أيضا واجب إنساني وأخلاقي مما يدل على كمال هذا الدين الحنيف وشموليته؛ لأنه لا ينبغي للمسلم أن يكون أنانيا، يقول نفسي نفسي، ولكن ينبغي أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وإن كان في دين آخر فهو يدعوه إلى هذا الخير والفضل الذي من الله به عليه وهداه إليه لعله يجيب ويهتدي بسببه فيكون بذلك في مثابة من أنقذه من النار فائزا بما وعد به الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق، فيا لها من كرامة وفضل لمن وفقه الله على ذلك!.

وللحكمة أهمية كبرى في نجاح الدعوة إلى الله عز وجل، ولذلك أمر به نبيه عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النَّحل: ١٢٥] فتمسك المصطفى ﷺ بهذه الوصية الربانية، وسلك هذا المنهج الإلهي، واتبعه في ذلك أصحابه رضوان الله عليهم جميعا، وهكذا سارت القرون الثلاثة المفضلة واقتدي بهم من بعدهم حتى انتشر الإسلام بهم في مشارق الأرض ومغاربها[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، (١٧٠/٤)، مصدر سابق، ورقمه: ٣٤٦١.

(٢) متفق عليه، وعند البخاري (٦٠/٤)، ورقمه: ٣٠٠٩، وعند مسلم (١٨٧٢/٤)، ورقمه: ٢٤٠٦) واللفظ له.

(٣) للتوسع انظر: مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص: ٣٨، ط:١، شعبان ١٤١٥ -١٩٩٤م.

وهم القدوة الحسنة لكل مسلم في كل جزئيات حياته، في العقيدة والعبادة والمعاملة.

وقد سبق أن تناولت الدعوة والدعاة في البلد وما يتعلق بها من الوسائل والمعوقات وغيرها، وفي هذا المطلب أريد تقرير مدى أهمية الدعوة في مواجهة تلك التحديات التي تهدد الإسلام ومستقبله في هذه المنطقة وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، ومدى إمكانية تفعيلها كعامل قوي وفعال في تلك المواجهة.

ومن الواضح أن الدعوة وسيلة هامة في جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم، ثم توجيههم إلى محاربة الفساد بأنواعه الخلقي والمالي والإداري وغيرها مما انتشر في أوساط الشعوب أيا كانت، وفي هذا القطر الذي خصصنا له هذه الدراسة خصوصا، وكذاك مواجهة العدو بحكمة وموعظة حسنة.

وللدعوة في السنغال أثر كبير في المجتمع كما قلنا سلفا، كما لها في الجانب الذي أنا بصدد دراسته مكان رفيع، ودرجة عالية، حيث قامت بعض المؤسسات التعليمية بتنظيم ندوات ومحاضرات ومؤتمرات بالتعاون مع بعض الجهات والمنظمات الخيرية، محلية ودولية، كما سبقت الإشارة إليه، بالإضافة إلى جهود الطلاب المنتظمين في الجامعات العربية وخصوصا في الجامعات السعودية، حيث يقيمون الدورات العلمية والشرعية في الأجازات الصيفية في المدن والقرى السنغالية طولا وعرضا، بالتنسيق مع بعض العلماء والدعاة المعروفين في البلد، الشيء الذي يلعب دورا مهما في تثقيف الشباب في أمور دينهم، وتوجيههم إلى المنهج السليم، كما يتخلل تلك البرامج والأنشطة الصيفية أحيانا قافلات دعوية، وقافلات طبية مصحوبة ببرامج دعوية التي لها أثرها الكبير في النفوس، وخصوصا لدى المرضي والفقراء الذين في أمس الحاجة إلى مثل تلك المساعدات لظروفهم المعيشية القاسية. وللمتخرجين وبعض أئمة المساجد والعلماء أيضا دور مهم في هذا الجانب، كلٌّ على حسب الفرص والإمكانية المتوفرة لديه.

مع الاعتراف بوجود نقص كبير في هذا الجانب الدعوي ما كان ينبغي الاهتمام به، مثل فتح مراكز دعوية في الأماكن النائية عن المدن؛ لأن مما لاحظنا أن المنصِّرين يركزون أكثر في مثل تلك المناطق، حيث

يتربع فيها الجهل والفقر في الغالب، هذا يوصلنا إلى أن الدعوة في السنغال وسيلة بل من أهم الوسائل لمواجهة التحديات التي في طريق نشر الإسلام الصحيح والدعوة إليه، ولكن لا يمكن - فيما أرى- أن تأتي تلك الجهود بأفضل النتائج إلا بتكاتف الدعاة فيما بينهم، وترابطهم بعضهم البعض للعمل الجماعي كيد واحدة وشخص واحد بعيدا عن التعصب الممقوت للداعية الفلاني أو العالم الفلاني كما يفعل شرذمة من الناس، بدرجة أن القول ما قاله شيخه أومن يثق به أو يعجبه في علمه أو بمجرد فصاحته وبراعته في الكلام لا غير، ولا تسمع إلا كلامه، ولا توافق إلا من معه، وهذا يوجد مع الأسف الشديد عند بعض الطلاب، بل وصل بعضهم إلى تفسيق أو تبديع أو تكفير لبعض الناس ممن خالفوهم في بعض وجهات النظر، أوفي بعض المسائل لجهله بحقيقة الدين وتعاليمه وما يترتب علي هذه التصرفات من نتائج سلبية في المجتمع الإسلامي، وما يلحقه من تبعات ذلك القول أو التصرف.

وهذه ظاهرة منتشرة في كثير من البلدان مع الأسف، ألا يعلموا أن ليس كل من تلبس بشيء من مظاهر الكفر فهو كافر ولابد، بل لابد من التفريق بين الحكم بأن هذا الفعل كفر، وبين هذا الفاعل كافر، لأن الحكم بأن فلان كافر شيء خطير، لما يترتب على ذلك من أحكام دنيوية وأخروية، وللتكفير ضوابط وشروط يجب معرفتها جيدا قبل الخوض فيه، وهي بمثابة أدوات النجاة لمن يريد النزول في أعماق البحر، أي لابد من دراسة حالة الشخص نفسه وما حوله من احتمالات ترد، هل هو مكره أم لا، وهل هو في كمال العقل، وهل أقيمت عليه الحجة وانتفت الموانع ونحوها[1] فلاشك أن هذا ليس مؤهلا لكل من هب ودب، بل للعلماء والمتخصصين.

---

(١) انظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله القرني، ص: ٧٥، دار عالم الفوائد، المملكة العربية السعودية. ط:٢، شوال ١٤٢٠هـ.

المطلب الأول

مواجهة التحديات بالتعاون مع الدول الإسلامية

السنغال دولة ذات علاقة طيبة مع معظم دول العالم، الإسلامية وغير الإسلامية، منذ استقلال البلد عن فرنسا عام: ١٩٦٠م، ولعل ذلك يرجع إلى حنكة حكامها وزعمائها ونبوغهم في السياسة والدبلوماسية، بالإضافة إلى ما يتمتع به البلد من استقرار وأمن، إذا قارناه مع بقية دول القارة، وهي لم تعرف منذ الاستقلال الانقلابات العسكرية، ولا النزاعات القبلية التي عمت القارة طولا وعرضا، والدول التي نجت من تلك البلوى في القارة السمراء تعد بأصابع يد واحدة.

فيهمني هنا علاقة السنغال مع العالم الإسلامي، وخصوصا مع العالم العربي الإسلامي، وكيف يمكن توظيف تلك العلاقات في خدمة الدين ومواجهة التحديات التي تغزو البلاد وتهدد مستقبل الإسلام فيه، مكتفيا بذكر علاقتها مع بعض تلك الدول بالاختصار، بينما أتوسع في بعضها بعض الشيء، وذلك لأمرين اثنين هما:

١- دلالة على أهمية العلاقة وحسن التعاون بين السنغال وتلك الدول.

٢- وأيضا حسب توفر المعلومات عندي عن تلك البلاد، مع التركيز في كل على الجانب الثقافي والديني لما له من أثر مباشر في الموضوع، دون الإطناب في بقية الجوانب؛ كالسياسية والاقتصادية والسياحية ونحوها.

أولا/ المملكة العربية السعودية:

فالعلاقة بين السنغال والمملكة علاقة تاريخية؛ لأنها ترجع إلى ما قبل استقلال السنغال حيث يقبل الحجاج إلى الأراضي المقدسة في كل سنة لأداء فريضة الحج مع ما يعانونها آنذاك من صعوبات ومشقات للقيام بذلك الواجب الديني، لقلة وسائل النقل، بل يتم ذلك على ظهور الجمال أو السير على الأقدام مع ما يكتنفه من أخطار جسيمة لا يعلمها إلا الله، وقد يستغرق بعض تلك الرحلات المباركة أكثر من سنة، كما سبقت الإشارة إليه.

وبعد استقلال البلد اتخذت العلاقة بين الدولتين طابعا جديدا يعبر عن عمق الصداقة والألفة التي تنطلق من الأخوة الإسلامية التي تعتبرها الدولتان العامل الرئيسي والقاسم المشترك بينهما.

فمنطلق تلك العلاقة المتميزة إذا، هو العقيدة والإيمان قبل أن تكون مصالح دنيوية، ولعب في تعزيزها وتقويتها مسؤولو الدولتين من أيام **الملك فيصل بن عبد العزيز** - يرحمه الله- و"**سنغور**" الرئيس الأسبق للبلاد، كما لعب نفس الدور من بعدهما من رؤساء البلدين، مارا بصاحب السمو الملك **فهد بن عبد العزيز** - يرحمه الله-، وفخامة الرئيس **عبد ديوف**، وصاحب السمو الملك **عبد الله بن عبد العزيز**، وفخامة الرئيس **عبد الله واد**.

ومما زاد الأمر سهولة تشابه رؤية الدولتين في كثير من القضايا في الساحة السياسية قديما وحديثا؛ كقضية العراق والكويت، وقضايا الشرق الأوسط وغيرها، كما أن كلا منهما تتبع سياسة معتدلة ومفتوحة، وقريبة من الغرب في سياساتها، وتنتهج مسلك الحوار لحل المشاكل الدولية والإقليمية.

وعلى هذا تم تبادل الزيارات بين الدولتين على مستوى الرؤساء والوزراء وكبار المسؤولين، فتخللها عقد اتفاقيات عدة بينهما في ميادين شتى، سياسية واقتصادية وثقافية وغيرها لصالح الدولتين.

أقدم نموذجين من تلك الزيارات المتبادلة بين البلدين:

١- زيارة الملك فيصل للسنغال ١٩٧٢م تلك الزيارة الناجحة والمثمرة التي أكد فيها تشابه وجهات النظر للبلدين في قضايا كثيرة، وبالتالي ضرورة التعاون بين البلدين في مجالات كثيرة(١).

٢- زيارات "سنغور" للرياض التي قام بها في نوفمبر: ١٩٧٥م و في نوفمبر ١٩٧٧م والثالثة في يونيو ١٩٨١م، وتمت أثناءها عقد اتفاقيات متنوعة بين البلدين(٢).

ومن الناحية الثقافية: وقعت السنغال والمملكة في ١٩٧٥/١٠/٣١م مبادلاتهما الثقافية في إطار عام للتعاون بينهما في هذا المجال، عن طريق النقاط التالية:

١- تبادل الأساتذة والباحثين العلميين بين مؤسسات تعاليمهم العليا.

٢- مشاركة جامعيين وباحثين علميين في دورات تدريب التعليم المهني في دولهم الخاصة.

٣- تقديم المنح الدراسية بين الحكومتين في مختلف دورات التعليم العام والتقني والمالي.

٤- تسهيل تبادل الكتب والمجلات والدوريات والوثائق التاريخية والفهارس والمخطوطات القديمة وكذلك في ميدان الترجمة.

---

(١) انظر: نشأة وتطور العلاقات العربية الإفريقية، ونموذج العلاقات بين السنغال والمملكة العربية السعودية، د.عبد الله درامي، ص:٢٦٨ فما بعدها، المكتبة المكية، السعودية، ط:١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) نشأة وتطور العلاقات العربية الإفريقية المصدر السابق، ص:٢٧٣.

٥- يلتزم الطرفان بالتعاون في المجال الإذاعي والتلفزيوني وتبادل البرامج.

٦- يشجع الطرفان تبادل الزيارات والسياحة واللقاءات والرياضة والمعرض الفنية.

٧- يسهل الطرفان تبادل البرامج الدراسية لجامعاتهما ومعاهدهما ومدارسهما الخاصيتين من أجل التمكن من توقيع اتفاقية خاصة لمعادلة الشهادات الصادرة من الدولتين[١]

ونلاحظ أن أربع من تلك النقاط السبعة مازالت تطبق إلى اليوم، وهي رقم ٣،٤،٦،٧. - فيما أعلم-.

كما شجع الرئيس السنغالي السابق (**عبد ديوف**) بصفته رئيسا للجنة الدائمة للإعلام والشؤون الإسلامية التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في وقته، التعاون الثقافي بين جميع الدول المشاركة في المنظمة المذكورة بما فيها المملكة بالطبع، حيث دعا إلى عقد اجتماع لوزراء الثقافة في المنظمة في ٢٢-٢٦ يناير عام ١٩٨٩م، لبي هذا النداء ٣٢دولة وعدد من الهيئات والمنظمات التابعة للمنظمة.

وفي كلمته الافتتاحية لهذا المؤتمر وجه الخطاب إلى الوزراء قائلا: (إن أهمية هذه الدورة هي أن تعطي محادثاتكم هذه دفعة جديدة لعملنا الثقافي، الدفعة التي يجب عليكم أنتم أيها السادة الوزراء أن تكونوا فنيين لها، إن الإدارة السياسية لحكوماتنا المختلفة هي إعطاء الثقافة مكانتها التي يجب أن تكون ظاهرة فيها، ويجب عليكم إذا، تحويلها إلى حقيقة ملموسة) [٢].

ومن جانب التعاون الثقافي بين البلدين، فالسعودية تعتبر من أكثر دول العالم الإسلامي قبولا للطلبة السنغاليين، حيث تستقبل سنويا عشرات منهم في جامعاتها ومعاهدها، وبالتحديد في **جامعة أم القرى بمكة المكرمة**، و**جامعة الإمام محمد سعود**، و**جامعة الملك سعود الإسلامية بالرياض**، و**الجامعة**

(١) انظر: نشأة وتطور العلاقات، المصدر السابق، ص: ٣٢١ فما بعدها، مع تصرف بسيط.

(٢) انظر: جريدة (الشمس) السنغالية اليومية، بتاريخ ٢٦/١/١٩٨٩م.

الإسلامية بالمدينة المنورة، وهذا الأخير هو صاحب النصيب الأوفر من ذلك العدد؛ لأنه لم تقبل منذ زمن بعيد أقل من ١٠ طلاب من السنغاليين سنويا، بل قبلت في هذه السنة فقط حوالي ٤٠ طالبا من السنغاليين، بينما نرى بقية الجامعات المذكورة لا تقبل سنويا منهم إلا واحدا أو اثنين، بل وقد تمر سنة أو سنتان بدون قبول، كما هو الحال في الوقت الراهن بالنسبة لأم القرى حيث لم تقبل طالبا واحدا من السنغاليين منذ سنتين، كغيرهم من الجنسيات الأخرى بعذر لا أدرى هل هو مقبول أم لا، وعلى كل حال هذا هو واقع اليوم.

ومن أوجه التعاون الثقافي بين السنغال والسعودية ما قامت به حكومة المملكة ببناء المؤسسات التعليمية في السنغال مثل **المعهد العالي بمدينة "لوغا"** وهو مكون من المراحل الثلاثة؛ الابتدائية والإعدادية والثانوية، وفيه أقسام للبنات، حيث بلغت تكلفة بنائه ١٠٥ مليون ريال سعودي، كما انتهت عملية البناء عام ١٩٨٦م، والحكومة السعودية هي التي تتولى جميع التكاليف حول هذا المعهد من رواتب المدرسين والإداريين والكتب المقررة فيه، وغالبية المدرسين فيها من خريجي جامعات المملكة العربية السعودية، أما المدير العام فيكون سعوديا منذ تأسيسه وهو يسكن في داخل المعهد بقسم خصص لذلك.

ويتميز المعهد بقوة المنهج وحسن الترتيب والتنظيم والانضباط، وهو تابع لجمعية النهضة الإسلامية، أحد الجمعيات المعروفة في السنغال.

وكذلك فتحت **مؤسسة الإعمار السعودية** في السنغال "**كلية الإعمار للغة العربية والدراسات الإسلامية**" في ضواحي العاصمة داكار.

وقد سبق الكلام عن هذه الكلية بالتفصيل في مبحث المؤسسات التعليمية في السنغال، بالإضافة إلى ما تغدقه الحكومة السعودية على المؤسسات التعليمية والجمعيات الخيرية المنتشرة في البلاد مما تمكنهم من القيام بتنفيذ كثير من برامجهم ونشاطاتهم.

ثانيا/الكويت:

فقد أقامت السنغال والكويت علاقتهما منذ عام ١٩٦٩م، ولم تزل جيدة ومتميزة إلى يومنا هذا، وذلك لتقارب الرؤى ووجهات النظر بينهما في كثير من السياسات الدولية، وخصوصا في قضايا الشرق الأوسط ومشكلة المسلمين وإسرائيل، بحيث لم يزل موقف السنغال واضحا وهو وجوب انسحاب إسرائيل عن كافة الأراضي المحتلة، وبدون ذلك لا يكون هناك سلام دائم في المنطقة (١).

لقد تبادل البلدان زيارات عديدة من مسؤولي الحكومتين، وتم خلالها اتفاقيات على التعاون في مجالات مختلفة كالاقتصاد والسياحة والثقافة والتعليم وتمويل بعض المشاريع في السنغال مثل مشروع توسيع نهر السنغال لتنمية اقتصاد البلد وإيجاد حل لمشكلة المياه (٢)

ومن مظاهر هذه العلاقة التاريخية والودية بين البلدين أن السنغال هو من أوائل الدول التي أرسلت قواتها إلي السعودية والكويت من ضمن التحالف الدولي لأجل حماية السعودية وتحرير الكويت من عدوان النظام العراقي ١٩٩٠م، وكانت مشاركة جبارة، مما زاد العلاقة والصداقة بين الدولتين قوة وتماسكا.

---

(١) انظر: نشأة وتطور العلاقات مصدر سابق، ص:٢٠٨-٢٠٩.

(٢) جريدة الشمس اليومية، بتاريخ ١٩/٦/١٩٧٥م.

ومن الجانب الثقافي: وبما أن الكويت من بين الدول التي تسعى لنشر الثقافة العربية والعلوم الإسلامية في كافة أنحاء العالم الإسلامي، وعلاقتها مع السنغال كما ترى، وبدورها أن يكون هناك تعاونا كبيرا في هذا الجانب بين البلدين، وهذا ما يشهده الواقع، فقد ساهمت الكويت في دعم عدد من المؤسسات التعليمية والجمعيات الخيرية التي تعمل في مختلف المناطق السنغالية مما مكنتهم بالقيام لعدد من مشروعات ذات أهمية، كبناء المدارس والمساجد ودور الأيتام وتقديم الأضاحي لبعض الفقراء وتنظيم برنامج إفطار الصائم وغيرها.

كما تشارك الكويت بقوة في قطاع التعليم في البلد، بتقديم كميات هائلة من الكتب المدرسية للمؤسسات التعليمية، وكذلك تقديم منحا دراسية في كل سنة للمؤسسات التعليمية التي لها معادلة في شهاداتها من الحكومة الكويتية، فيتدفق إليها عدد كبير من الطلاب السنغاليين ذكورا وإناثا ليواصلوا دراساتهم في جامعاتها ومعاهدها بمختلف التخصصات، كما أنها ترشح بعض المتخرجين من هؤلاء ليتولوا مهام التدريس في المدارس الكويتية، أما هذا الشيء يمكن القول بأن الكويت قد تفرد به فيما أعلم من جميع دول الخليج العربي.

وقد وعدت الحكومة الكويتية السنغال مؤخرا بزيادة المنح الدراسية التي تقدمها له في كل سنة مع تنويعها، بأن لا تكون فقط دراسات إسلامية ولكنها تشمل أيضا العلميات، رحب معالي السفير السنغالي لدى الكويت السيد **عبد الأحد امباكي** بتلك المبادرة الطيبة، كما أعلن بدوره بأنه قرر إقامة أسبوع ثقافي سنغالي في الكويت خلال الاحتفالات الوطنية، وذلك في العام القادم ٢٠١٢، لإعطاء

الفرصة للكويتيين وغيرهم للاطلاع وزيادة المعرفة من الثقافة السنغالية، وتقوية العلاقة في نفس الوقت بين البلدين[1].

ثالثا/ الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، وقطر، وسلطنة عمان:

أقامت السنغال علاقاته الدبلوماسية مع هذه الدول الثلاثة في سنة واحدة ١٩٧٣م، أما عمان فلم أجد ما يؤكد أنها في نفس السنة أم لا، فإقامة السنغال علاقته مع تلك الدول في هذا التاريخ الذي ليس ببعيد من اندلاع الحرب بين إسرائيل والعرب، لها أهمية بمكان، وكان موقف السنغال واضحا بينا دائما مع الحق، ولا يقبل أبدا الظلم والاضطهاد والعدوان الإسرائيلي في حق العرب عموما وفي حق الفلسطينيين خصوصا، الأمر الذي يصر فيه طغيانا وتجبرا وإفسادا في الأرض، بقتل النساء والشيوخ وتدمير البيوت وقلع الأشجار، بل واغتيال الشباب على فراش النوم وغير ذلك من جرائم وانتهاكات مستمرة بلا خوف ولا حياء ولا رحمة أمام أعين العالم كل ذلك تحت حماية أقوى دولة في العالم عسكريا في الوقت الراهن وهي أمريكا التي في استعداد تام للدفاع عن إسرائيل بحق النقد (فيتو) لدى الأمم المتحدة في أي قرار يصوت عليه الأعضاء يهدف إلى فرض العقوبات على إسرائيل أو محاكمته في جرائمها المتكررة والمستمرة في حق الفلسطينيين ، بل وحتى لإرسال مراقبين دوليين في المنطقة لمراقبة ما يجرى هناك مرفوض!!.

وما أحوج هذه المنظمة الأممية وقراراتها السخيفة والجائرة في حق أي دولة إسلامية إلى إعادة النظر والتمحيص!.

(١) جريدة (الرأي) الكويتية، العدد: ١١٥٠٢، بتاريخ ٢٠١٠/١٢/٢٨، في مقابلتها مع معالي السفير.

ومن المعروف أيضا أن أمريكا مستعدة للدفاع المستميت عن إسرائيل عسكريا إذا لزم الأمر(١).

وذلك الموقف السنغالي الصحيح في تلك القضايا الدولية وغيرها مما زاد تلك العلاقات التي بينه وبين تلك الدول صلابة وقوة، بالإضافة إلى تقارب وجهات النظر فيما بينهم في كثير من القضايا السياسية الدولية.

فقد تم عقد اتفاقيات عديدة في مجالات مختلفة للتعاون بينها وبين السنغال؛ سياسية واقتصادية وسياحية ورحلات جوية وغيرها، إلا أني أكتفي بالإشارة إلى الجانب الثقافي.

وفي الميدان الثقافي نجد أن العلاقة بين السنغال و تلك الدول الصديقة كانت وما زالت علاقة قوية ومتميزة، حيث أن هذه الدول فتحت أبواب جامعاتها ومعاهدها أمام الطلبة السنغاليين الراغبين في مواصلة دراستهم الجامعية، وكل منها تستقبل في كل سنة عددا لا بأس به من هؤلاء الطلبة بمنحهم منح دراسية تشمل الدراسة والسكن ورعاية الصحية وتذاكر السفر إلى بلادهم مع نهاية كل سنة دراسية، لقضاء الإجازة الصيفية عند أهلهم، مما يساهم كثيرا لاشك في نشر الثقافة الإسلامية بين الشعب السنغالي، وفتح آفاق العلم والتقدم أمامهم، ومواكبة التقنيات العلمية والتكنولوجيا الحديثة، أضف إلى ذلك ما تقدمها تلك البلاد لبعض المؤسسات التعليمية في السنغال من المساعدات المادية والمعنوية.

(١) انظر: نشأة وتطور العلاقات، المصدر السابق، ص: ٢١٦، ومقالا بعنوان: تاريخ الاغتيالات الإسرائيلية في العصر الحديث، نشر في الجزيرة نت، بتاريخ ٨/٥/٢٠١٠م.

رابعا/ العراق، وإيران، والأردن، وسوريا، ولبنان:

العلاقة بين السنغال وهذه الدول على أحسن حال، وهي علاقات قديمة وطيبة وذات مجالات متنوعة، لجهود المسؤولين بين الأطراف بتبادل الزيارات واللقاءات في مناسبات مختلفة، ومما سهل تلك الطريق وحدة الرؤية بين السنغال وهذه الدول في قضايا الشرق الأوسط، وتقارب وجهات النظر في عديد من السياسات الدولية، كما تخلل تلك اللقاءات اتفاقيات كثيرة حول تطوير سبل التعاون بينهم وبين السنغال في المجال السياسي والتجاري والسياحي والثقافي...

ومن ثمراتها في الجانب الثقافي عقد الاتفاقيات لتبادل المدرسين والباحثين، وكذلك تقديم المنح الدراسية للطلبة السنغاليين في جامعاتها ومعاهدها ليواصلوا دراساتهم فيها، وبالفعل قد لقي أولئك الطلبة ترحيبا حارا في أراضي تلك البلاد منذ ستينيات، ومازال الأمر كذلك بل في تقدم وتحسن يوما بعد يوم، إلا دولة واحدة منها وهي العراق التي توترت العلاقة بينها وبين السنغال بعد الحرب الخليج الثاني، بسبب موقف السنغال في القضية كما سبق.

أما عدد المتخرجين في تلك الجامعات من السنغاليين تعد بالمئات، وبعضهم الآن يشغلون مناصب مرموقة في الحكومة بعدما واصلوا دراساتهم العليا في الجامعات الغربية من فرنسا وغيرها.

كما أن هذه الدول لم تكتف بقبول الطلاب في جامعاتها فحسب، ولكن لها أيادي سخية تمطر عطاء علي المؤسسات التعليمية والجمعيات الخيرية في البلد بشكل مستمر، من أموال وكتب مدرسية وأدوات دراسية وغيرها [1]

---

(١) للتوسع انظر: نشأة وتطور العلاقات، مصدر سابق، ص: ٢٢٠ فما بعدها، وموقع(ألوان من كل زمان ومكان) في مقابلة أجراها مع السيد مصطفي سيسي، السفير السنغالي السابق في كل من السعودية ومصر والكويت وتونس، بتاريخ فبراير ٢٠٠٩م، وجريدة عمان الأردنية، بتاريخ ٢٣/١١/٢٠١٠م.

أشير هنا إلى أن إيران هي الأكثر نشاطا في علاقاتها مع السنغال من بين هذه الدول في الآونة الأخيرة، من الجانبين الاقتصادي والثقافي، بحيث يوجد التعاون الثنائي بين البلدين وتبادل الزيارات من الطرفين، كما تم فتح مصنع إيراني لتركيب السيارات في السنغال، وكذلك القسم الفارسي الموجود في جامعة داكار، الذي يدرس فيه المذهب الشيعي باللغة الفارسية، مع كون الأغلبية من الشعب السنغال في غفلة من أمرهم مع الأسف، بالإضافة إلي عدة اتفاقيات تمت بين البلدين أثناء زيارة الرئيس عبد الله واد طهران في الآونة الأخيرة، منها إقامة خطوط جوية وبحرية مباشرة بين البلدين، والأمور الجمركية، وفي مجال الطاقة، ومصافي النفط ، والبتر وكيماويات، وإنتاج الحديد، و تعبيد بعض الطرق الرئيسية بين المدن، وغيرها من مشروعات تقوم بها إيران في البلد، كما وعد الرئيس بتنفيذ جميع الاتفاقيات[1].

خامسا/ مصر وليبيا والجزائر وتونس وموريتانيا:

العلاقة بين السنغال وبين هذه الدول علاقة طيبة وتاريخية، ألخصها فيما يلي:

أ- جمهورية مصر العربية: فالعلاقة السنغالية المصرية بدأت فور حصول السنغال علي الاستقلال، ولعب رئيسا الدولتين آنذاك **جمال عبد الناصر** و"**سنغور**" دورا مهما في تعزيز العلاقة رغم اختلاف وجهات النظر بينهما حول تأسيس منظمة الأمم الإفريقية، ولكن سرعان ما اختفت تلك الخلافات وانتهت، كما تعززت العلاقة أكثر فيما بعد، أي في عهد **حسني مبارك** و**عبد ديوف** و**عبد الله واد**، حيث قاموا بتبادل الزيارات متعددة تم فيها عقد اتفاقيات تعاونية بين البلدين في مجالات مختلفة اقتصادية وسياحية ونقل الجوي وثقافي...

(١) انظر: جريدة (مهران أنباء) الإيرانية، بتاريخ ١٤٣٢/٢/١٤هـ.

أما الجانب الثقافي فقد بدأ الطلبة السنغاليون التوجه إلى مصر منذ الخمسينات، حيث رحبت بهم الحكومة المصرية بفتح أبوابها أمامهم وتقديم منح دراسية لهم لمواصلة الدراسة في جامعاتها وفي معاهدها، والعدد الأكبر منهم، في الأزهر الشريف، وقد توزعوا في مجالات مختلفة، كما تم عقد اتفاقيات تعاونية كثيرة في هذا الجانب، منها ما وقعته الدولتان في عام ١٩٨٥م وتتضمن ما يلي:

- تستقبل جامعة الأزهر الطلبة السنغاليين علي مستوى الثانوي والجامعي.
- تزود جامعة الأزهر المدرسين للسنغال، بطلب منها كمساهمة في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية.
- تزويد الحكومة المصرية السنغال الكتب المدرسية التي تتناول الثقافة الإسلامية لصالح وزارة التربية الوطنية للسنغال.
- تدرس الحكومة المصرية مدى إمكانية نشر كتب مدرسية تكتب في السنغال[١].

وفي الواقع لم تكن تلك البنود مجرد سطور مدونة في الأوراق ولكن تحت التنفيذ إلى يومنا هذا، لأن الأزهر ترسل سنويا مدرسين إلى الأزهر السنغالية التي عبارة عن شبكة تعليمية منتشرة في كل الأقاليم السنغالية وفي بعض الدول الإفريقية كما سبق الكلام حول هذا في حينه، وهؤلاء الأساتذة يمكثون في البلد لمدة أربع سنوات مع إمكانية السفر لهم في نهاية كل سنة دراسية إلى بلادهم لقضاء الإجازة الصيفية هناك، من قضي أربع سنوات في البلد يسافر نهائيا ليأتي من ينو ب عنه وهكذا باستمرار وبتناوب.

ب- ليبيا: نشأت العلاقة بين السنغال وليبيا بعيد استقلال السنغال، ولكن شهدت تلك العلاقة توترات في حين لآخر، بسبب اختلافات ووجهات النظر في بعض القضايا بين **معمر القذافي** و"**سنغور**"

(١) انظر: نشأة وتطور العلاقات، مصدر سابق، ص:٢٢٤ فما بعدها، بتصرف.

الرئيس السابق للسنغال نظرا لأن الأول اختار القومية العربية ثم القومية الإفريقية، وهو ثوري تقدمي، بعيدا عن الغرب، بينما الثاني ينتهج منهج الاعتدال وقريب من الغرب جدا، وخصوصا فرنسا، وأدى هذا التباعد والاختلافات إلى قطع العلاقة الدبلوماسية بين البلدين ما بين ١٩٨٠- ١٩٨٨م، ولكن بجهود المسؤولين من الطرفين أعيدت كما هي، حيث زار الرئيس (عبد ديوف لليبيا) في مارس(١٣- ١٤) ١٩٨٩م تلبية لدعوة الرئيس الليبي، الذي قام بدوره في المقابل لزيارة السنغال أكثر من مرة، ومنها ما كانت في نوفمبر ١٩٨٥م، الذي رافقه فيها **علي عبد السلام التريكي** الذي كان الرئيس الدبلوماسي لجمهورية ليبيا الاشتراكية العظمى وقتئذ حيث قال منوها لجهود السنغال في المجال الثقافي: (لا ننسي الدور الذي لعبه الشعب السنغالي باكرا في نشر الإسلام والثقافة العربية، وهذا الدور لم يكن فقط محبوبا لتدعيم الوحدة الإفريقية فحسب بل كذلك ساهم في تطوير التعاون العربي الإفريقي) [(١)].

وللطلبة السنغاليين نصيب وافر من المنح الدراسية التي تقدمها ليبيا سنويا للدارسين، وذلك منذ وقت طويل إلى اليوم، وهم يدرسون فيها في تخصصات مختلفة ويتوظفون بمناصب مناسبة بعد تخرجهم في ليبيا أوفي السنغال.

ومن أكبر وأهم جهود ليبيا في السنغال في مجال العلم والثقافة هو فتح كلية عربية كبيرة في "**بِيرْ**" مع الالتزام بتكفل كل النفقات والاحتياجات اللازمة من رواتب الأساتذة والإداريين ومكافأة الطلاب ونحوها.

كما أن هناك لجنة مشتركة بين البلدين تهتم بالتنسيق مع الجانبين لتطوير سبل التعاون بينهما في جوانب عديدة اقتصادية وثقافية وغير ذلك [(٢)]

(١) جريد الشمس اليومية، بتاريخ ١٩٨٥/١١/٥.

(٢) انظر: موقع العرب اليوم، بتاريخ ٢٠١١/١/١٣م.

ت- موريتانيا: تربط بين السنغال والجمهورية الإسلامية الموريتانية علاقة اجتماعية وإنسانية قبل أن تكون دبلوماسية، ما يجمعهما أكثر مما يفرقهما؛ يجمعهما الدين الإسلامي والجوار واندماج الشعبين بعضهم البعض، كما تجد في موريتانيا أسر سنغالية تربت وترعرعت فيها، كذلك الحال في السنغال، رغم كل ذلك حاول الاستعمار خلق جو من التوتر بين البلدين الشقيقين حين رسموا الحدود وقسموا البلاد بما يحقق لهم ذلك الهدف، في المستقبل البعيد، شأنهم في كل مستعمراتهم في العالم.

وهذه العلاقة كما أسلفت ليست وليدة اليوم، بل كان التجار الموريتانيون يأتون إلى السنغال منذ القرون الأولى من الهجرة لهدفين: التجارة، ونشر الدعوة الإسلامية، كما كان السنغاليون الأجداد في رحلات متتالية إلى صحراء موريتانيا لتلقي العلوم بأنواعها الدينية وعلوم الآلة كالنحو والصرف والبيان وغيرها، يأخذونها من منابعها الصافية، عند علماء موريتانيا الجهابذة.

وكان بعض العلماء السنغاليين يرحل إلى تلك الصحارى المترامية الأطراف لينسخ كتابا يريده ولا يجده في بلده إلا إذا سافر إلى موريتانيا فيضطر إلى ذلك وربما بالمشي حتى يصل إلي هناك وإذا وصل يبقي حتى ينهي نسخه بيده ثم يمكنه بعد ذلك من العودة إلى بلاده، وذلك لقلة الكتب في ذلك الوقت وندرتها، وهذه غاية الاهتمام بالعلم وعلو الهمة لدى الجيل الراحل.

ذلك شأن السلف، إلا أن من الملاحظ من الشباب من جيل الصحوة من يحمل هم السلف، وخصوصا في السنوات الأخيرة، حيث نرى منهم من يقدمون ويقتحمون باب المغامرة ويرحلون إلى تلك الفيافي الصحراوية الموريتانية التي تصعب الحياة فيها لمن لم يتعود عليها، وهدفهم الوحيد هو طلب العلم لا غير، مع علمهم التام بما ينتظرهم هناك من صعوبات ومشقات لقلة الإمكانية وتدني الظروف المعيشية

في تلك الأماكن، وعلى كل حال ليس كل إنسان مؤهل لتحمل تلك الظروف الصعبة، ولابد من قوة العزيمة والإرادة، والصبر والمصابرة شأن هؤلاء.

أما بالنسبة للعلاقة الدبلوماسية بين البلدين، فأقول عموما جيدة، رغم ما أشرنا إليها من خلافات تحدث فترة لأخرى، ولم يكدر صفوتها بفضل الجهود التي يبذلها مسؤولو البلدين وتحركاتهم المستمرة، مما يخفف ويسهل التجاوز على تلك الخلافات، كما تم خلالها أيضا توقيعات عدة من الجانبين للمصالح المشتركة، ومنها ما قام به الطرفان أثناء اجتماع اللجنة العليا المشتركة بين البلدين على أساس تطوير سبل التعاون فيما بينهما في مجال الثقافة والتعليم والصناعة والسياحة والتأمين الصحي إلى غير ذلك من المصالح المشتركة للدولتين الشقيقتين وغيره من اللقاءات والاجتماعات بين الجانبين[١].

وعلى هذا فإن التعاون الثنائي بين البلدين من الناحية الثقافية شيء مهم وملموس، بالإضافة إلى ما سبق من متابعة بعض الشباب من جيل الصحوة مواصلة دراساتهم في البوادي الصحراوية يوجد عدد من أساتذة موريتانيين يدرسون في بعض المدارس السنغالية كالمدارس الأزهرية المنتشرة في السنغال.

ث- **المملكة المغربية**: العلاقة بين السنغال والمغرب تتسم بالصداقة والمحبة والاحترام المتبادل لفترات طويلة ترجع إلى ستينيات، بفضل جهود المسؤولين الكبار من البلدين "**سنغور**" و"**الملك الحسن الثاني**" ومن بعدهما من الجانبين، فتبادل الطرفان زيارات متعددة واتفاقيات كثيرة تصب في مصالح مشتركة، وتشمل الجانب الاقتصادي والسياحي والثقافي والسياسي والمواصلات بالنقل الجوي وغير ذلك من المجالات.

(١) انظر: موقع (مغارب.كم) الموريتانية، بتاريخ٥/٨/٢٠١٠م.

ومن أهم تلك الزيارات المتبادلة ما قام به سنغور للمغرب بمناسبة أعمال مؤتمر استثنائي لوزراء الخارجية للدول التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في فاس نوفمبر ١٩٨٠م، حيث ألقي خطابا علي مسامع الحضور ندد فيه التحركات الإسرائيلية الظالمة في حق الفلسطينيين قائلا: (نحن ندد ضم القدس من قبل إسرائيل، ونطالب أعضاء المؤتمر التحرك فورا أمام هذا التحدي الساخر ضد ملياري إنسان "مسلم ومسيحي" الذي نفذته الحكومة الإسرائيلية، والتي قررت بنفسها من جانب واحد جعل القدس عاصمة لها[١].

ومن جانب آخر شرف الملك الحسن الثاني بزيارات للسنغال، ومن أهمها ما قام به في مارس ١٩٦٤م؛ لما تمخضت فيها من قرارات مثمرة، تتلخص أهم بنودها فيما يلي:

١- إمكانية مواطني كل دولة من الدولتين الحصول على وظيفة عمومية في الدولة الأخرى (البند الأول).

٢- إمكانية ممارسة أعمال مهنية ثنائية لمواطني الدولتين في كل من الدولتين (البند الثالث)

٣- مساواة مواطني الدولتين أمام قانون العمل والضمان الاجتماعي (البند الخامس).

٤- إمكانية مواطني كل دولة من الدولتين في ممارسة حقوقهم النقابية في الدولة الأخرى (البند الثامن) [٢].

(١) انظر: تشأة وتطور العلاقات، مصدر سابق، ص:١٩٧.

(٢) نشأة وتطور العلاقات، مصدر سابق، ص:١٩٧.

وهذا بالإضافة إلى إلغاء تأشيرة الدخول بين البلدين لمواطني الدولتين مما يؤكد على قوة العلاقة بين البلدين الشقيقين، وكما أن مواطن أحد الدولتين يعيش في البلد الآخر وكأنه في بلده الأصل ولا يشعر بأية غربة في نفسه.

ومن الجانب الثقافي: تزود مغرب السنغال كتبا مدرسية باللغة العربية، كما تستقبل سنويا عشرات من الطلبة السنغاليين بإعطائهم منح دراسية ليواصلوا دراساتهم في جامعاتها، سواء متعلمي اللغة العربية أو الفرنسية، من الجنسين أيضا، وهناك عشرات من هؤلاء الطلاب في مراحل متقدمة في ماجستير ودكتوراه في تخصصات متنوعة.

ج- **تونس**: تونس دولة ذات سياسة اشتراكية فرانكفونية[1] ، لذلك تشترك مع السنغال في وجهات النظر في قضايا كثيرة دولية وإقليمية منذ عهد رئيسها السابق "**حبيب بورقيبة**" و"**سنغور**" وتربط الدولتين علاقة قوية ومثمرة، تدعمها جهود المسؤولين من الجانبين بتبادل الزيارات وعقد اتفاقيات ذات مصالح مشتركة من جوانب عديدة ومتنوعة.

ومن تلك الزيارات المهمة ما قام به "**سنغور**" وهو أول زيارة له لتونس في شهر أكتوبر ١٩٦٣م، وبالمقابل زار الرئيس السابق لتونس "**حبيب بورقبة**" لأول مرة للسنغال في ديسمبر ١٩٧٣م، وتم أثنا ء تلك الزيارة وما بعدها من الزيارات واللقاءات توسيع مجالات التعاون بين البلدين، كالاقتصاد والتجارة والسياحة والثقافة والمواصلات البرية والبحرية وغيرها، كما فتح بنك "سنغالي تونسي" لتسهيل تلك المعاملات وتقوية العلاقة في نفس الوقت بين البلدين، ما يؤكد التقارب والتوافق بينهما في أمور كثيرة، وذلك لفترة طويلة كما يقول (**عبد ديوف**) الرئيس السنغالي السابق بمناسبة استلامه أوراق اعتماد سفير

(١) وهي عبارة عن المستعمرات الفرنسية، أو الدول الناطقة باللغة الفرنسية.

تونس في داكار عام ١٩٨٦م حين قال: (إن الاتصالات بين السنغال وتونس لم تتوقف أبدا، منذ عهد عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان سنة٦٧٠م، فالروابط متينة منذ قبل استقلاليات دولنا. فالعلاقة بين بلدينا قد تعززت، وذلك منذ حصولها على سيادتها الوطنية، وهكذا نجد أن السنغال وتونس مرتبطتان بأكثر من عشرين اتفاقية تعاون ومعاهدة.

وبروتوكول التي تجمع تعاونا مثالا فريدا من نوعه، إن التعاون الاقتصادي والتقني والعلمي والثقافي والمنظمة غداة استقلال دولنا فهي بهذه الحالة جاءت لتزيد أيضا في مظاهر تعاوننا القضائية، والقنصلية، والتجارية، والسياحية، والنقل الجوي والبحري)[١].

ومن المعلوم أن هذه العلاقة – بفضل الله تعالى وحسن سياسة القادة من البلدين– تزداد قوة وحسنا يوما بعد يوم، ولم تعرف توترا ولا تدهورا أبدا إلى يومنا هذا – فيما أعلم–.

أما التعاون الثنائي بين الطرفين من الجانب الثقافي فإنه يعتبر أمرا مهما للغاية، ومن مظاهره تبادل الطلبة في جامعات الدولتين، بحيث تستقبل تونس عددا من الطلبة السنغاليين الذين يرغبون في مواصلة دراستهم هناك بتقديم منح دراسية لهم، ويتخرجون بشهادات عالية في مختلف التخصصات تسهل لهم فتح أبواب العمل والتوظف في دوائر الحكومة وغيرها، لما يتمتعون بها من ثقافة فرنسية بالإضافة إلى العربية، وبالمقابل يأتي بعض التونسيين إلى جامعة داكار لمواصلة دراساتهم الفرنسية لأهمية هذه الجامعة وتميزها بين الجامعات الفرنسية في غرب إفريقيا.

كما لا ننسى أن تونس من ضمن الدول العربية التي تقدم للحكومة السنغالية وبعض المؤسسات التعليمية كمية من الكتب المدرسية وغيرها.

---

(١) انظر: نشأة وتطور العلاقات، مصدر سابق، ص: ٢٠٠-٢٠١.

ح- **الجزائر**: وهي من إحدى الدول العربية الإسلامية التي بدأت علاقتها مع السنغال عقب حصول البلدين علي الاستقلال، وهي علاقة طيبة منذ البداية إلى الآن، ولم يكدر صفوها أي خلاف أو نزاع، بل تزداد قوة وتماسكا لتقارب البلدين في وجهات النظر حول كثير من القضايا الدولية والإفريقية، ولكونهما منتميين إلي الإسلام من جانب، وإلى (فرانكوفونية) من جانب آخر.

كما جرى بين البلدين اتفاقيات عديدة وفي مجالات مختلفة؛ كالسياسة، والاقتصاد، والثقافة، والسياحة، وغيرها، وكذلك شهدت تلك العلاقة تبادل الزيارات من مسؤولي الدولتين منذ عهد "**سنغور**" إلى اليوم، ومن أهم تلك الزيارات ما قام بها هذا الأخير للجزائر في فبراير ١٩٦٧م، ولأهميتها ولما تمس بمقصدنا في هذا المقام – وهو الاكتفاء بتناول الجانب الثقافي من بين الجوانب الكثيرة والمتنوعة- أوردها هنا، وفي تلك الزيارة ألقي فيها خطابا موجها إلى جميع قادة الدول الإفريقية، عربية وغير عربية علي حد سواء، بوجوب التعاون العميق لخدمة الثقافة الإفريقية حين قال: (إذا شجعنا، وإذا نظمنا عمليا دراسة اللغة والحضارة العربيتين في جامعة داكار، لأننا ندرك بأن العروبة تشكل جزءا مهما من التراث الثقافي الإفريقي، الذي نحن الآخرين من الحضارة الإفريقية امتزجنا فيها كعامل متولد منها، أأردتم أنتم أم لم تريدوا، أنتم أيضا كنتم قد علمتكم إفريقيا، وقد علمكم الجنوب، أنكم لا تستطيعون تجاهلنا، ولا تستطيعون تجاهل ما حملته إليكم الزنوج[1].

وهكذا كان يرى هذا الرجل المثقف المحنك الذي حير الفرنسيين أهل اللغة في لغتهم، وكان حكيما في سياسته ومعاملاته، يكفينا دليلا على ذلك أنه استطاع قيادة هذا البلد المسلم سنوات عديدة رغم كونه نصرانيا بدون أي اضطراب ولا بلبلة، وكذلك سياسته الخارجية كانت موفقة ومحترمة

(١) انظر: نشأة وتطور العلاقات، مصدر سابق، ص: ١٩٢.

وناجحة، ولها ثقلها في الأوساط الدولية، الغربية منها أو الإسلامية أو الإفريقية، علي السواء، كما نشم رائحة ذلك في هذا الخطاب.

وقد نجح نجاحا كبيرا في دعوته تلك إلى التعاون العميق بين الدول الإفريقية في مجالات كثيرة سياسية واقتصادية وتجارية وسياسية وثقافية والنقل البري والبحري والجوي وغير ذلك كما هو واضح في ما سبق من دراسة العلاقات السنغالية العربية وخصوصا في الجانب الثقافي الذي للجزائر فيه دور فعال ومثمر.

ومن مظاهر هذا التعاون الثنائي في الجانب الثقافي بين السنغال والجزائر ما يقوم به هذا الأخير بتقديم منح دراسية للطلبة السنغاليين منذ فترة طويلة، كما أن الطلبة الجزائريين يواصلون دراساتهم العليا في جامعة داكار باللغة الفرنسية كبقية الجنسيات الإفريقية، تحت اتفاقية أبرمت بين البلدين منذ يوليو عام ١٩٦٦م، التي تضمنت:

١- إنشاء وتدعيم علاقات الجانبين الثقافية من أجل تحقيق تعاون تامٍّ وكامل في تعليم اللغة العربية، وفي ميدان العلوم والفن والآداب والتقنية (المادة الأولى).

٢- يسهل الجانبان المبادلات الإعلامية بين دولتيهما من أجل التأكيد من أن تعليم العربية يدخل في نطاق إصلاح التعليم العام الحكومي، يتمشى ويتطور مع واقعهما الوطني والإفريقي (المادة الثانية) [1].

ومما سبق يمكن معرفة مدى أصالة وقوة تلك العلاقة التي تربط السنغال بالدول العربية الإسلامية من الخليج العربي إلى غرب إفريقيا، الشيء الذي لاشك أنه قوة مادية ومعنوية في نفس الوقت لانطلاق

(١) د. نشأة وتطور العلاقات، مصدر سابق، ص: ١٩٤.

السنغال إلى الأمام، ليس فقط في تنمية اقتصاد البلد وتحسين ظروف مواطنيه الاجتماعية، ولكن أيضا لمواجهة الفساد الأخلاقي والسلوكي الذي من آثار ومخلفات الاستعمار والغزو الفكري الهادف إلى إقصاء الدين عن قلوب البشر، ومحاربته في النفوس والأفكار، ذلك المرض الذي محاربته أولى من محاربة الفقر والجوع؛ لأن هذا متعلق بالأبدان والأجسام، بينما ذاك يتعلق بالقلوب والأفكار، وأهم ما في الإنسان القلب الذي هو وعاء العقيدة، بل به صلاح الجسد كله أو فساده، كما في الحديث الصحيح المتفق عليه (**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**)[(١)] وقد علق شيخ الإسلام بن تيمية علي هذا الحديث قائلا: (فمن صلح قلبه صلح جسده قطعا، بخلاف العكس)[(٢)].

وكما قال ابن أبي الدنيا: (كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات: من أصلح سريرته؛ أصلح الله علانيته. ومن أصلح ما بينه وبين الله؛ أصلح الله ما بينه وبين الناس. ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه. ومن اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه)[(٣)].

وبعد هذا الإصلاح المهم نتمكن من مواجهة تلك التحديات السافرة التي داهمت البلد بكل قوة، وبتخطيط مدروسة ومحكمة من أعداء الإسلام الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين في كل لحظة ليتسنى لهم فرصة لمهاجمته والقضاء عليه بكل الوسائل المتاحة، وهل نحن كمسلمين أعددنا له أتم العدة؟ فالجواب يرجع إلى نفس كل مسلم، ثم هل نحن كسنغاليين اشتغلنا تلك الفرص والقوة المتاحة لمواجهة تلك التحديات الخطيرة؟

---

(١) متفق عليه، وعند البخاري (٢٠/١)، ورقمه: ٥٢، وعند مسلم (١٢١٩/٣)، ورقمه:١٥٩٩.

(٢) مجموع الفتاوى، (٩/٧)، مصدر سابق.

(٣) انظر: الكتاب (الإخلاص والنية)، (٥٤/١)، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١هـ، دار البشائر، ط: ١، ١٤١٢هـ.

فأقول إذا أمعنا النظر في الموضوع وأحطناه بعين الفحص والتمحيص يمكن القول بتحقق نتائج إيجابية وتطور ملموس في بعض الجوانب من تلك المقاومة المباركة ضد تحديات الثقافة الإسلامية في البلد، التي خلفت فسادا عريضا بين المجتمع السنغالي كغيرهم من المجتمعات الإسلامية في أي مكان في العالم، من انحلال خلقي وسلوكي، والبعد عن الدين وكل ما له به صلة إلا من رحم ربه، الأمر الذي فَرَضَهُ على مجتمعنا الغالي الاستعمارُ الفرنسِيُّ ومن عاونه من الداخل والخارج.

وتم ذلك على أيدي الدعاة والعلماء والمربين بتثقيف المسلمين وتعليمهم العقيدة الصحيحة بواسطة المنابر والمناسبات الدينية وعبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، مع قلة هذه الأخيرة حاليا، وغير ذلك من الوسائل كالمحاضرات والندوات واللقاءات الفردية والجماعية ببرامج دينية مختلفة.

ومن أثر تلك الجهود من أولئك الأبطال كثرة البرامج الدينية في وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، وانتشار المساجد في البلاد، والإقبال الشديد من أولياء الأمور علي إرسال أبنائهم إلي المدارس العربية، أو العربية الفرنسية، أو على الأقل يرسلون أبناءهم إلى أماكن تحفيظ القرآن الكريم أيام العطلة الأسبوعية (السبت والأحد عندهم)، وكذلك في العطلة الصيفية، وهذا شيء منتشر ومألوف لدى كثير من الناس، بالإضافة إلى مغامرة الشباب -كما سبق- إلى الدول القريبة والبعيدة بهدف طلب العلم والتبصر في أمر دينهم.

مع العلم بوجود فراغ كبير في هذا الجانب رغم كل ما ذكر من جهود، ولعل ذلك يرجع إلى أمرين أساسيين في نظري وهما:

١- أصالة هذه الثقافة الغربية في النفوس، وعمق تأثيرها في الأفكار والسلوك؛ لأن الدولة ظلت تحت وطأة الاستعمار لمدة ثلاثة قرون، ثم لما خرجوا من البلاد عسكريا بقوا فيها إلى اليوم ثقافيا وتأثيرا في

إدارتها وتوجيهها، ولاشك أن الاستعمار العسكري أهون من الاستعمار الثقافي والفكري؛ لأن الإنسان ما هو إلا فكرته وعقيدته، من ملكت فكره وعقيدته ملكته.

٢– عدم التكافؤ بين الطرفين (دعاة الحق ودعاة الباطل) في الوسائل المتوفرة من الطرفين، وعلي كل حال الصراع بين الحق والباطل سنة كونية، لا تزال ولن تزال ما دامت السموات والأرض، كما أن هل الباطل والضلال هم الأغلبية دائما كما تقرر ذلك في نصوص كثيرة من الآيات القرآنية وغيرها كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٨٩].

وبالتالي الكفر ملة واحدة، يتعاون أهله فيما بينهم علي الإثم والعدوان ضد الإسلام والمسلمين، كما يشهد علي ذلك واقعنا المعاصر في قضايا المسلمين في شرق الأوسط والعراق وأفغانستان وغيرها من بلدان العالم.

أضف إلى ذلك أن أهم وسيلة للتأثير في الناس في الوقت الحاضر بأيدي اليهود، وهي وسائل الإعلام برمتها، أولئك الخونة، أحفاد القردة والخنازير، الذين هم وراء كل مصيبة أو بلبلة أو جريمة في العالم بالمباشر أو من وراء ستار، ويسعون في الأرض فسادا ليتحقق لهم أمنيتهم العظمى وهي سيطرة العالم كله دون استثناء، لأنهم هم شعب الله المختار، –كما يقولون– ويتم ذلك حينما انتشر الشر والفساد في العالم، وعمت الفوضى، وكثر الظلم والقتل والتدمير في جميع أرجاء العالم، حينئذ يسودون العالم ويتحكمون فيه على محض إرادتهم، هذه هي عقيدتهم التي ينطلقون منها لارتكاب الجرائم في حقوق الآخرين، ولذلك لا داعي للاستغراب عند ما نرى تصرفاتهم الوحشية على الشعوب من قتل

وتدمير وإشعال نار الفتن بينهم، وغير ذلك مما تشمئز ها الإنسانية، بغض النظر عن العقيدة التي ينتسب إليها الإنسان.

وبهذا الصدد يقول عبد الرحمن حبنكة الميداني: (هم باعثو النظريات المتصارعة في العالم، وهم ممولو معسكراتها المتعادية، وكانوا أيضا هم العاملون على إثارة الفتن والحروب فيما بينها، بغية الوصول في المكيدة المدبرة إلى مداها المرسوم) (١).

ومع ذلك كله نؤمن بأن العاقبة للمتقين، مهما طال الزمن، وما علينا إلا بذل كلما لدينا من قوة لسد هؤلاء المجرمين وإفشال خططهم الرامية إلى تدمير الأخلاق والسلوك في نفوس البشر ليس فقط لمحاربة الإسلام، ولكن لمحاربة جميع الأديان غير اليهودية كما سبق.

---

(١) مكايد اليهود عبر التاريخ، مصدر سابق، ص: ٢٦٨.

المطلب الثاني

مواجهة التحديات بواسطة المنظمات والجمعيات الخيرية

مما يتمتع بها السنغال كثرة المنظمات الخيرية غير الحكومية، سواء الإسلامية منها أو التنصيرية، وخصوصا هذا الأخير، نظرا لأهمية هذه الدولة في المنطقة وفي القارة الإفريقية عامة، لموقعه الاستراتيجي من جهة، مما دفع المستعمر إلى اتخاذه نقطة انطلاق له إلى بقية الدول المجاورة حين أقدم لاستعمار المنطقة، وما يتمتع به هذه الدولة من الاستقرار السياسي والأمني من جهة أخرى، أضف إلى ذلك حسن سياسته وقوة علاقته مع معظم دول العالم الإسلامية وغير الإسلامية على السواء.

ولكن يهمني في هذا المقام تلك المنظمات والمؤسسات الإسلامية الخارجية التي لها نشاط وجهود في السنغال من جهة، والداخلية التي لها برامج ونشاط ملحوظ من جهة أخرى، علما بأني سوف أكتفي بذكر بعضها مع تقديم نماذج من مناشطها دون التفاصيل؛ لأن ذلك ليس قصدنا في هذه الدراسة، وليس هنا محل ذلك، لأن بعضها يحتاج إلى دراسة خاصة ومستقلة لأهميتها في الحياة الدينية (الدعوية) و الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أيضا في المستقبل فيما أرى.

ومن أبرز تلك المنظمات والمؤسسات الخيرية الخارجية التي لها نشاط في الساحة السنغالية ما يلي:

١- رابطة العالم الإسلامي.

٢- الندوة العالمية للشباب المسلم.

٣- بيت الزكاة الكويتية.

٤- الإغاثة العالمية الإسلامية.

٥- لجنة مسلمي إفريقيا.

٦- مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

ولهذه المؤسسات والمنظمات وغيرها جهود جبارة في الساحة السنغالية، بنشاطات متعددة في مجالات مختلفة.

أولا/ في مجال التربية والتعليم:

ومن أنشطتهم في هذا المجال فتح المؤسسات التعليمية في المناطق التي في حاجة إليها، ودعم بعضها بالمال والأدوات الدراسية من الكتب وغيرها، وكذلك إنشاء دور الأيتام.

ثانيا/ في مجال الصحة:

مثل دعم بعض المستشفيات والمستوصفات بالأدوية، وإقامةِ قافلات دعوية مصحوبة ببرامج علاج المرضى مجانا.

ثالثا/ في مجال الدعوة:

ومما يقومون به من الأنشطة في هذا المجال كفالة الدعاة، وإقامة قوافل دعوية، وخصوصا في المناطق ذات أغلبية المسيحية مثل إقليم "فاتك" مما يعطي نتائج تثلج الصدور باعتناق عدد منهم بالإسلام، بالإضافة إلى إقامة ندوات ومحاضرات بالتنسيق مع المؤسسات والحركات الإسلامية الموجودة لتكوين الدعاة وتثقيفهم.

رابعا/ في المجال الاجتماعي:

ومن أنشطتهم في هذا المجال حفر الآبار، وتقديم المساعدات للفقراء والمساكين في الحالات الطارئة؛ كالكوارث البيئية، والظروف الخاصة، كما يشارك بعضها في برامج تقديم الأضاحي للأسر الفقيرة، وكسوة العيد، و كذلك إفطار الصائم وغيرها من البرامج ذات تأثير كبير بين أفرد المجتمع ممن لا يضمن قوت يومه، وهم الأغلبية من السكان.

أما المؤسسات أو الجهات الداخلية المستفيدة من تلك التمويلات والمساعدات فهي فوق الحصر؛ لأن مما حبا الله به هذا البلد "السنغال" وفرة الحركات والجمعيات والاتحادات ونحوها بحيث تسمع كل يوم ميلاد جديد لواحدة منها، كما أن لهذه الجمعيات والاتحادات فضل كبير في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة والثقافة الإسلامية في جميع أنحاء السنغال بالوسائل الممكنة، بفتح المدارس العصرية، والكتاتيب التقليدية، وتنظيم الدروس والمحاضرات للعوام والمثقفين وغيرها من وسائل التعليم والتثقيف، وأثر تلك الجهود المباركة مشهود وملموس بين أفراد المجتمع السنغالي اليوم، ولكن نظرا لما ذكرت سوف أتناول أهم الحركتين في الساحة السنغالية إلى لآن من حيث المنهج والبرامج والأنشطة الدعوية والاجتماعية بشيء من التفصيل وهما: "حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية" و"جماعة عباد الرحمن" ثم بعد ذلك سأذكر بعضا من أشهر الحركات الموجودة في السنغال على سبيل السرد، وهي كالتالي:

١- حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية.

أولا/ التعريف بها:

هي حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية بالسنغال، وهي عبارة عن جمعية إسلامية سنية غير سياسية، تهدف إلى دعوة المسلمين إلى العقيدة الإسلامية الأصيلة، حسب المنهج السلفي، والكفاح ضد الجهل، ولها فروع عديدة في السنغال، ومقرها الرئيسي في حي (كُلُوبَانْ) بداكار العاصمة، مع إمكانية الانتقال إلى أي مكان آخر بقرار من المؤتمر الوطني، بناء على اقتراح من المكتب الوطني التنفيذي[(١)].

تأسست في الأربعينيات كما سيأتي الكلام عن ذلك قريبا، وتطور الاسم لها من مدارس الفلاح، إلى الحركة الثقافية الاشتراكية الإسلامية، ثم إلى حركة الفلاح للثقافة الإسلامية، ثم إلى حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية؛ لظروف اقتضت ذلك[(٢)].

ثانيا/ المؤسس:

هو الحاج محمود بن عمر باه (١٩٠٦-١٩٧٨م) ولد في بلدة "جول" جنوب "موريتانيا" وهومن قبيلة "فلاتة"، درس القرآن الكريم من علماء "فوطا" المحليين، وقد حظي بالذكاء والنباغة في وقت مبكر مما جعله يفضل طلب العلم على رعي الأغنام الأمر الذي كان يريده منه أبوه حيث قال يوما: (لأن أكون عالما أعور خير لي من أن أكون راعيا أعور) ولما سئل عن مراده لهذه العبارة أجاب قائلا:

(١) انظر: القانون الأساسي لحركة الفلاح، البند الأول من الفصل الأول.

(٢) انظر: حركة الفلاح ودورها في نشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال، عثمان باه، ص: ٢٨، ط: ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، مطبعة السنغالية للطباعة، داكار - السنغال، والمسلمون في السنغال، مصدر سابق، ص: ٤٠.

(كنت راعيا للغنم لوالدي، وذات يوم كنت أقطع الأغصان تحت شجرة فوقعت شوكة على عيني فأصابها، وبذلك أصبحت عوراء، لهذا تركت رعاية الغنم، واتجهت إلى طلب العلم، وبما أن والدي ما كان يريد أن أكون بعيدا عنه، عطفا ورحمة، كنت دائما أردد في سمعه تلك العبارة، حتى سمح لي أخيرا بالذهاب لطلب العلم) [١].

ومن هناك توجه الشيخ إلى العلماء الموريتانيين وكان عمره زهاء خمس عشرة سنة ودرس هناك لمدة عشر سنوات حيث أكمل حفظ القرآن الكريم، ثم مبادئ اللغة العربية والتفسير والفقه وغيرها قبل توجهه عام ١٩٢٨م صوب مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ماشيا مع المشاة كما هو العادة في ذلك الوقت [٢].

ولهمته العالية في طلب العلم رأى بعد أداء فريضة الحج أن الفرصة متاحة لمواصلة الدراسة في هذه البلدة الكريمة، فتقدم لطلب الالتحاق بالمدرسة الفلاحية بمكة المكرمة، وتم قبوله فيها طالبا، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية منها التحق بالجامعة الصولتية الهندية بمكة المكرمة، وقد تكون تسميتها بالمعهد أحرى، ودرس فيها أربع سنوات، تعلم خلالها علوم اللغة العربية والإسلامية، وكان إلى جانب دراسته المنهجية يلازم المشايخ الذين لهم دروس في الحرم المكي الشريف ومنهم علوي العباس المالكي وعلى يده تعلم علم الأصول والبلاغة[٣].

(١) حركة الفلاح ودورها في نشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال، المصدر السابق، نقلا من رسالة للشيخ محمود باه مؤسسة الحركة إلى بعض طلابه، و(الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا)، مصدر سابق، ص: ٦٣٢.

(٢) حركة الفلاح ودورها في نشر تعليم اللغة العربية و الثقافة الإسلامية في السنغال، المصدر السابق، ص: ١٧، والثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا، مصدر سابق، ص: ٦٣٢.

(٣) الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا، مصدر سابق، ص: ٦٣٣.

ثانيا/ النشأة:

يرجع تاريخ نشأة هذه الحركة إلى رجوع مؤسسها: الشيخ محمود باه من الحجاز عام ١٩٣٩م أو ١٤٠م لاختلاف الروايات، بعد ما تضلع من مناهل المدرسة الفلاحية ومن العلوم المختلفة في الحرم الشريف كما سبق؛ لأنه فور وصوله إلى السنغال بدأ في نشر ما حمله من العقيدة الصحيحة (عقيدة أهل السنة والجماعة) والعلوم الشرعية عن حلقات علمية، وأول حلقة نظمها كانت في مسقط رأسه (جول) وهي التي تعتبر بداية مدارس الفلاح، وسماها باسم (الفلاح) تيمنا ووفاء بالمدرسة الفلاحية التي تعلم فيها بمكة المكرمة، كما يقول الشيخ محمود نفسه: (إني إذ أحمد الله ﷻ إذا تذكرت تاريخ الفلاح يوم ١/١/ ١٩٤٢م يوم بداية الفلاح ب(جول) تحت شجرة الطلع، وما كان يحيط بنا من بلايا الاستعمار وأذنابه...)[1]، هذا ما يشير إلى صعوبة الأمر في ذلك الوقت لوجود الاستعمار المتربص بكل ما له صلة بالإسلام وتعاليمه، ولكنه رغم ذلك نجح في تكوين أفراد وجماعات عن طريق الدروس والمحاضرات وتوسيع دائرة فتح المدارس، وتم فتح ثاني المدارس الفلاحية في مدينة (خاى) بجمهورية (مالي) عام ١٩٤٣م، كما يقول د. عمر صالح باه في كتابه: الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا، ص: ٦٣٣، علما بأن تاريخ نشأة الفلاح اختلف فيه الكُتَّاب ولكني اكتفيت بكلام المؤسس فقط باعتباره الأقوى والأثبت في الموضوع، مع العلم بأن المراحل الأولى لتلك المدارس كانت تقليدية، كما أن أول امتحانات نظمت للحصول على الشهادات الابتدائية والإعدادية كانت في عام ١٩٨٢م، كما تم إجراء الامتحانات للشهادات الثانوية عام ١٩٨٥م[2].

(١) حركة الفلاح ودورها في نشر تعليم للغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال، مصدر سابق، ص: ١٨.

(٢) حركة الفلاح ودورها في نشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال، مصدر سابق، ص: ٤١، نقلا عن المدير العام للتربية والتعليم في الحركة.

ومما يجدر الإشارة إليه هنا أن الشيخ محمود بعد ما رجع من الحجاز وأنشأ مدرسة الفلاح لتعليم أبناء المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية وتثقيفهم ثقافة إسلامية وجد أمامه معوقات ومضايقات كثيرة؛ شأن كل من عنده مثل هذه الهمة العالية، والرؤية الثاقبة في ذلك الوقت، حيث كان موقف الاستعمار مع أمثال هؤلاء الشدة والعنف – كعادتهم–، ولذلك لما أرسل الشيخ عددا من طلابه إلى القاهرة في جمهورية مصر العربية بهدف مواصلة دراستهم ورفع مستواهم العلمي، لم تشعر الإدارة الاستعمارية هذا الأمر حتى وجهت أمرا بإعادتهم فورا، بل لم تكتف بالتهديد ولكن حرشت أولياء أمور التلاميذ على الشيخ محمود بأن أفلاذ أكبادكم معرَّضون للبيع في أسواق النخاسة في الشرق الإسلامي، مما دفع الشيخ إلى استرجاعهم جميعا، إلا أن بعضهم رجعوا مرة ثانية لمواصلة دراستهم بعد تأكد الجميع على عدم صحة تلك الادعاءات والتخمينات، بل وما هي إلا كذب وزور وراءه الحقد والحسد على الإسلام والمسلمين[1]﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

ورغم تلك المضايقات من طرف الاستعمار الظالم فقد نجح الشيخ محمود في إيصال رسالته، حيث كون عددا كبيرا من أبناء المسلمين، وبنى كثيرا من المدارس في السنغال وموريتانيا ومالي بمساعدة بعض الزعماء التقليديين في عصره أمثال إبراهيم جوب كان يشغل منصب جماعة (ليبو) التقليدية في داكار، وهذا المنصب كان رسميا ورمزيا معترفا به لدى السلطات الاستعمارية الفرنسية حيث تحترم زعيم القبيلة ويسمع كلمته، ومنهم من الزعماء الدينيين (الشيخ أحمد امباكي) المشهور بلقبه (غَيْدِي فاطمة)

(١) انظر: المسلمون في السنغال، مصدر سابق، ص: ٣٦.

المشير إلى شجاعته وهيبته لدى الناس عموما، والشيخ إبراهيم نياس، والشيخ محمد الفاضل خليفة الطائفة المريدية في ذلك الوقت، والحاج محمد الأمين كَنْ (بِ كاولاك) وغيرهم[1].

وبعد استقلال بلدان المنطقة ورسم الحدود بينها استدعى الشيخ محمود الرئيس الموريتاني الأسبق (مختار ولد داده) ليكون مستشارا دينيا لديه، فذهب الشيخ وكثير من طلابه ذوى الأصل الموريتاني إليها، كما كان في آخر حياته مفتشا للغة العربية هناك حتى أكمل بقية حياته حيث توفي عام ١٩٧٨م في نواكشوط رحمه الله تعالى وأدخله في فسيح جناته[2].

ثالثا/ الأهداف

تسعى الحركة إلى تحقيق أهداف نبيلة وهي كالتالي:

١- دعوة المسلمين على العقيدة الإسلامية الصحيحة بما يلي:

- إعلاء كلمة الله ﷻ وتحقيق معنى الشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وتطبيق مضمونها.
- فهم الدين على منهج السلف الصالح، رضوان الله عليهم.
- تبليغ رسالة الإسلام الصحيحة.
- إرجاع المسلمين إلى الأصليين الأساسيين: الكتاب والسنة والارتواء من هذين المعينين الصافيين.
- تطهير المجتمع الإسلامي من كل الشوائب التي شوهت جمال الإسلام، وانحرفت بالمسلمين عن الدين الصحيح.
- نبذ التعصب الديني والمذهبي، والتقليد الأعمى.

---

(١) حركة الفلاح ودورها في نشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٠.

(٢) حركة الفلاح ودورها في نشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال، مصدر سابق، ص:٢٤.

- تحرير المسلمين من الجمود الفكري الذي استولى على أذهان بعضهم خلال عصور الانحطاط والجهل والاستعمار.

- الوقوف في وجه كل دعوة أو نظرية مضادة، ترمى إلى طعن الإسلام، أو تأخير الانبعاث الإسلامي، أو تفريق المسلمين وإضعاف قوتهم، وتشغيلهم بما يعمى بصيرتهم.

١- العمل لإيجاد مجتمع إسلامي مثالي.

٢- الاهتمام الجدي بالشباب وإبعادهم عن الدناءات، والأعمال المنافية للأخلاق، وكذلك جميع المحرمات؛ كالخمر، والمخدرات...

٣- محاربة الجهل والأمية(١).

رابعا/ الدور الذي تلعبه الحركة في نشر الثقافة الإسلامية في السنغال:

ويتمثل ذلك في مجالات أنشطتها، ما يفرض علينا بالضرورة تناول تلك الأنشطة؛ وللحركة مجالات متعددة ومتنوعة تعمل وتنشط فيها، في طول البلاد وعرضها، وهي بمثابة الوسائل التي تتوصل بها لتحقيق أهدافها تلك، وتتمثل فيما يلي:

- إنشاء مراكز إسلامية؛ كل مركز يضم على الأقل مسجدا، ومدرسة، وقاعة للمحاضرات والندوات والاجتماعات، ومكتبة، وسكنا للمدير أو للإمام.

- إنشاء مساجد في مختلف المناطق من طول البلاد وعرضها، مع تنظيم الدروس والحلقات العلمية فيها.

- إيجاد مراكز صحية؛ وتملك إلى الآن ثلاث مستشفيات.

(١) انظر: القانون الأساسي لحركة الفلاح، البند الرابع من الفصل الثاني.

- تنظيم المحاضرات والندوات العلمية والثقافية، والرحلات الدعوية، والمخيمات الصيفية.
- تنظيم دورات تدريبية مهنية.
- تأليف الكتب أو طبعها.
- استعمال وسائل الإعلام العصرية، المسموعة منها والمقروءة والمرئية.
- زيارة المستشفيات والسجون للتعاطف والتعاون مع إخوانهم هناك؛ لما في ذلك من تأثير إيجابي مباشر على قلوب أولئك الضحايا[1].

خامسا/ النظام التعليمي في الحركة:

النظام التعليمي لدى الحركة متنوع ومتعددة؛ وذلك يرجع إلى هدفها الرامي إلى جميع شرائح المجتمع؛ ذكورا وإناثا، صغارا وكبارا... وهو كالتالي:

١- نظام المدارس العصرية:

وتكون هذه المدارس تحت الإشراف المباشر للمدير العام للتربية والتعليم في الحركة، ويطبق فيها المنهج الرسمي للحركة، والمنهج الرسمي للمدارس الفرنسية العربية التابعة للحكومة السنغالية.

وللحركة من هذا القسم من المدارس ثلاثة أنواع:

أ- مدارس عربية محضة؛ أي اللغة الوحيدة التي تدرس فيها هي اللغة العربية، وأكثر ها توجد في الأرياف، وهي ابتدائية فقط.

ب- مدارس عربية فرنسية؛ وتشمل (ابتدائية وإعدادية وثانوية) وفيها تعتبر اللغة العربية لغة العمل والدراسة، وتضاف إليها اللغة الفرنسية كلغة ثانية، والإنجليزية كلغة ثالثة بالنسبة للثانوية.

(١) انظر: حركة الفلاح ودورها في نشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال، مصدر سابق، ص:٣٣، نقلا عن مذكرة تاريخ حركة الفلاح، ص: ٣-٢، وموقع الحركة بتاريخ ١٤٣٣/٢/٢٤هـ.

ت- مدارس فرنسية عربية؛ وتشمل (ابتدائية وإعدادية) وفيها تدرس المواد الدينية باللغة العربية كما تدرس المواد العلمية باللغة الفرنسية، وهي لا توجد إلا في العاصمة.

٢- نطام التعليم التقليدي:

وهو عبارة عن دروس وحلقات علمية تقام في المساجد التابعة للحركة غالبا، بالتعاون مع الجمعيات الإسلامية الخارجية، وبعض المحسنين من السنغاليين وغيرهم، وتوجد أكثر من مائة وخمسين مسجدا تابعة لها في جميع أنحاء السنغال، وفي داكار وحدها ما لا يقل عن عشرة مساجد، وفي كثير منها دروس علمية تقام غالبا ما بين العصر والعشاء مراعاة لظروف الحاضرين والمتابعين الذين عندهم عمل، ويشرف على هذا النوع من النظام التعليمي لجنة الدعوة بالتعاون مع لجنة التربية والتعليم.

٣- نظام التعليم المسائي:

عبارة عن دروس مسائية لأماكنه معينة (دكار، وبكين، وكاولاخ)، يقوم بتنظيمها

بعض الشباب من الحركة، ويهدف هذا النظام كسابقيه محو الأمية ومكافحة الجهل في أوساط الشعب السنغالي، بينما النظام الأول يهدف إلى تكوين جيل مثقف ومتسلح بسلاح العلم والمعرفة ما يمكنه من مجابهة التيارات والأفكار الغربية الهدامة وجميع التحديات المعاصرة[1].

سادسا/ المنهج الدراسي في الحركة:

إن للحركة منهجا متكاملا يدرس في المراكز والمدارس التابعة لها، وأذكره هنا مجملا، كالتالي:

وفي المرحلة الابتدائية تدرس من المواد ما يلي:

(١) حركة الفلاح ودورها في ننشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال، مصدر سابق، ص:٣٣، نقلا عن لجنة الدعوة والإرشاد- تقرير ٢٠٠٢م، ولجنة المشاريع- تقرير ٢٠٠٢م، والتشريع المدرسي للحركة- توطئة، ص: ٣.

- القرآن الكريم (حفظا وتجويدا).
- الحديث النبوي الشريف.
- التوحيد.
- الفقه.
- السيرة النبوية.
- القراءة.
- المحادثة والتعبير والانشاء.
- النحو والصرف.
- المحفوظات والأناشيد.
- الحساب.
- الجغرافية.
- العلوم الطبيعية.
- التربية البدنية.
- اللغة الفرنسية كلغة ثانية.

وفي المرحلة الإعدادية تضاف ما يلي:

علم الفرائض، والتفسير، والتاريخ الإسلامي، والمطالعة، والأدب العربي وتاريخه، والرياضيات، واللغة الإنجليزية كلغة ثالثة.

وفي المرحلة الثانوية: تضاف ما يلي:

مصطلح الحديث، والعقيدة، واصول الفقه، والنقد الأدبي، والبلاغة بعلومها الثلاثة (البيان، البديع، المعاني)، والعروض، وعلم النفس العام، التاريخ (العالم المعاصر) [1].

سابعا/ أثر دور الحركة في المجتمع السنغالي:

بات واضحا في العرض السابق حول البرامج والأنشطة التي تقوم بها حركة الفلاح في الساحة السنغالية بميادينها المختلفة والمتنوعة؛ الدعوية والثقافية والاجتماعية والانسانية إلى غير ذلك ما يجعلها بالطبع في مكان مرموق، وفي منزلة عالية في قلوب كثير من أبناء الشعب السنغالي، وخصوصا لدى المثقفين منهم، وأصبح لها إقبال كبير من الجمهور من مختلف الفئات والجهات، فالتحقوا بمؤسساتها ومدارسها المنتشرة في جميع المدن السنغالية، ليرتووا من مناهلها الصافية، ومن ينابيعها العذبة، وتأثروا بمناهجها المتميزة الهادفة إلى تربية الأبناء تربية إسلامية متكاملة، ما عكس إيجابا على كثير من أفراد المجتمع السنغالي وفي طليعتهم الشباب، وخصوصا نحن اليوم في صحوة مباركة لدى الجيل الناشئ، بل وفي صفوف الكبار والعوام أيضا حيث اهتدى كثير منهم إلى الحق وإلى سواء السبيل بفضل الله تعالى ثم بجهود الدعاة والعلماء الذين لهم دور فعال وجهود جبارة في تحقيق ذلك، متمثلة في الحلقات والدروس العلمية والمحاضرات والندوات، وكذلك ما يقومون به من زيارة المستشفيات والسجون في بعض الفترات، ولا يخفى ما في ذلك من احتكاك مباشر بالمقصود، وبالتالي سرعة الإجابة والتفاعل منهم لحالاتهم الضعيفة ومواقفهم الصعبة، وشدة احتياجهم إلى من يكون بجوارهم ليستأنسوا به، وليتسلوا ما نزل بهم ولو بالمجالسة والسماع منهم كلمة طيبة ونصيحة إيمانية تخفف الآلام.

(١) الادارة العامة للتربية والتعليم لحركة الفلاح.

وعموما لهذه الحركة المباركة تأثير كبير في أوساط الشعب السنغالي من ناحية التربية ومن ناحية التثقيف، حيث إن كثيرا من الشباب والشابات اليوم عندهم حماسة في طلب العلم الشرعي والثقافة الإسلامية بسبب التحاقهم وانخراطهم في المدارس الفلاحية، وهذا شيء ملموس بين الشباب، والأمر في ازدياد بفضل الله وخصوصا في الآونة الأخيرة بعد ما وسعت الحكومة السنغالية دائرة التعليم العربي والإسلامي في البلاد بشكل كبير.

٢- **حركة "جماعة عباد الرحمن"**؛ وهي جمعية إسلامية تم إنشاءها في عام ١٩٧٨م بمدينة "تياس" حيث مقرها الرئيسي حاليا، وهي مرخصة من قبل الوزارة الداخلية السنغالية تحت الرقم ٣٤٧٠ الصادر منها في: ٣٠ يناير ١٩٧٩م.

واتخذت الجماعة الآية ٧٧ في سورة القصص شعارا لها عند قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

كما اعتمدت الآيات من ٦٣- ٧٧ في سورة الفرقان برنامجا لتربية وتكوين الأعضاء.

وللجمعية آلاف من الأعضاء رجالا ونساء، ذكورا وإناثا، من طلبة العلم وغيرهم في مختلف أنحاء البلاد.

أما رئاستها منذ التأسيس إلى الآن فعلى النحو التالي:

أ- الأستاذ **علي حبيب الله جوف** (١٩٧٨- ١٩٨٨).

ب- الأستاذ **سيدي غالي لوح** (١٩٨٨- ١٩٩٤).

ت- الأستاذ **مالك انجاي** (١٩٩٤- ٢٠٠٣).

ث- الأستاذ **أحمد جاه**، منذ ٢٠٠٣ إلى وقت كتابة هذه السطور.

وتهدف الجمعية أساسا إلى إقامة مجتمع إسلامي حقيقي في السنغال، والغاية من ذلك نيل مرضاة الله سبحانه وتعالي.

وتتكون من الحركة الرئيسة، وهيئة الكوادر، ومجلس الحكماء، وحركة النسوة، وحركة الطلبة، كل يعمل بروح الأخوة والتعاون على أمل تحقيق أهدافها.

والجماعة منفتحة ومتعاونة مع جميع شرائح المجتمع، كما أنها تحترم وتلتزم بالإطار القانوني للدولة رغم معارضتها للتوجه العلماني الذي تبناه الحكومة دستورا للبلاد، وكذلك لها علاقة طيبة مع بقية الجمعيات والمؤسسات الإسلامية التي تعمل معها في الساحة، كما أن الجماعة تعترف بالدور الرائد الذي قام به زعماء الطرق الصوفية وخصوصا الرعيل الأول منهم.

لما لهم من الشرف في ترسيخ الإسلام في هذه البلاد بمقاومة باسلة من زعمائها ضد الاستعمار الذي كان من أهدافه طمس الإسلام وهويته من قلوب الناس وإحلال النصرانية مكانها، وتتعاون الجماعة مع هذه الطرق في المتفق عليه، كما أن لها علاقة طيبة وتعاونا إيجابيا مع سفارات الدول الإسلامية الصديقة مثل: الكويت، المملكة العربية السعودية، السودان، فلسطين.

أنشطة الجماعة:

وللجماعة أنشطة كبيرة ومتنوعة في مجالات عدة لاعتبار نفسها جمعية إسلامية لخدمة المجتمع، فتتلخص تلك الأنشطة فيما يلي:

أ- في التكوين والدعوة:

والجماعة تعمل منذ تأسيسها علي توعية المجتمع إلى ضرورة الالتزام بتعاليم الإسلام والتحلي بأخلاقه الحميدة، وذلك بتنظيم دورات تكوينية ودروس وموائد مستديرة ومخيمات وقوافل طبية ومحاضرات عامة وبيانات في المساجد والمناسبات الأسرية، لأعضائها والمتعاطفين معها والجمهور بصفة عامة.

ب- في التربية والتعليم:

لإدراك الجماعة بأهمية التربية والتعليم في أي مجتمع يتطلع إلى مستقبل ناجح، أعطت لهذا المجال أهمية كبيرة ضمن نشاطاتها لتتمكن من تحقيق أهدافها، ففتحت مدارس متعددة بمراحلها الأولية إلى الثانوية في مدن ومقاطعات البلاد على النحو التالي:

أولا/ روضات الأطفال:

م	الموقع	العدد
١	مدينة تياس	٣
٢	مدينة داكار	٢
٣	مدينة روفسك	٢
٤	مدينة سان لويس	١
٥	مدينة "كولخ"	١
٦	مدينة زيغينشور	١
٧	مدينة امبور	١
٨	مدينة لوغا	١

ثانيا/ المدارس الابتدائية (عربية فرنسية):

م	الموقع	اسم المدرسة
١	مدينة تياس	مدرسة بلال.
		مدرسة الحاج عمر تال.
٢	مدينة داكار	مدرسة الإمام مالك
		مدرسة عبد الله بن ياسين.
٣	مدينة روفسك	مدرسة الدعوة
٤	مدينة كولخ	مدرسة ماباجاخو باه.
٥	مدينة امبور	مدرسة بابكر غي.
٦	مدينة لوغا	مدرسة مفتاح النجاح.
٧	مدينة زيغنشور	مدرسة شيرنو مرساسوم.
٨	مدينة سان لويس	مدرسة أبو بكر الصديق.

ثالثا/ الإعدادية (عربية فرنسية):

للجماعة مدرستان إعداديتان، وثانوية واحدة :

- **إعدادية "الحاج عمر تال"** في مدينة (تياس).
- **إعدادية "النور"** مركز الحاج مالك سه في مدينة (سِيبِيخُوتَانْ) – مدرسة داخلية–.
- **الثانوية العربية الإسلامية (الحاج عمر تال)** في مدينة (تياس).

ج– في مجال الصحة:

بناء وتجهيز مستوصفات للمساهمة في هذا الجانب، وكذلك تقوم بتنظيم قوافل طبية في المناطق المتضررة، وخصوصا في القرى النائية حيث تكون الحاجة أشد وألح، وإقامة خيمات طبية في مختلف المناسبات الدينية.

ح- في المجال الاجتماعي:

تقوم الجماعة بحفر وتجهيز العشرات من الآبار في مختلف مناطق السنغال، تعاونا مع المحتاجين لتخفيف معاناتهم، وكذلك دعم المدارس القرآنية (الكتاتيب) بتقديم مـوادٍّ غذائيَّـة

وملابس ومبالغ من المال، وتوزيع خروف العيد على الأسر المحتاجة بمناسبة عيد الأضحى، وتنظيم مائدة إفطار الصائم في شهر رمضان المبارك، وكذلك زيارة المسجونين، كما أن جماعة تشرف على مساجد كثيرة إلا أني لم أعثر على معلومات حولها بعد[(١)].

أما بقية الحركات والجماعات كما سبق أن قلت سوف أكتفي بسرد أسمائها كالتالي:

١- حركة العمل الإسلامي.

٢- الاتحاد الثقافي الإسلامي.

٣- اتحاد الجمعيات الإسلامية.

٤- مؤسسة منار الهدى الإسلامية، تأسست ١٩٦٢/٨/١٢.

٥- منظمة الجمرة.

٦- جمعية النهضة لتعليم القرآن الكريم.

٧- الاتحاد الثقافي الإسلامي.

---

(١) حصلت على جميع المعلومات حول هذه الجماعة عن طريق مسؤول العلاقات للجماعة.

٨- دار القرآن الكريم.

٩- الاتحاد الوطني لأئمة السنغال.

١٠- الاتحاد التقدمي الإسلامي للسنغال، تأسست عام ١٩٧٣م.

١١- حركة تدريس اللغة العربية في السنغال.

١٢- الاتحاد الوطني للطلبة السنغاليين للغة العربية.

١٣- لجنة التنظيم الإسلامي.

١٤- الجمعية الإسلامية للطلبة الأفارقة.

١٥- الاتحاد الوطني للمنظمات الثقافية الإسلامية، أنشأ عام ١٩٦٢م.

١٦- اتحاد الطلبة ومدرسي اللغة العربية التابع للحزب الاشتراكي في السنغال.

وهذا غيض من فيض؛ لأن عدد الجمعيات والاتحادات فوق الحصر، لأن في كل يوم نسمع ميلادا جديدا لبعضها وخصوصا في الآونة الأخيرة، إلا أن بعضها مما ذكرت أو غيرها على سرير الاحتضار، أو مدفونة تحت التراب ولم يبق لها إلا الاسم، كما نلاحظ عدم تقييد تواريخ إنشاء بعضها وذلك لعدم العثور عليها.

ومع كل ذلك نتمنى أن يكون الجميع تحت راية واحدة، راية الدين الإسلامي لخدمة الإسلام والمسلمين.

خاتمة البحث

الحمد لله الَّذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

بعد أن شارف البحث على نهايته، كان من الضروري أن أعرض خلاصة أكشف بها عن أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي تتلخص فيما يلي:

١- تتابع ثلاث ثقافات في هذا البلد (السنغال) عبر التاريخ، وهي من حيث الترتيب الزمني:

أ- **الثقافة الأرواحية القديمة**؛ تلك التي تستند إلى الشرك والقوة الشريرة الخفية، وقد ظلت سائدة لقرون عدة في المنطقة حتى جاء الإسلام حيث أنار القلوب وفتح العقول، مما أدى إلى تحول كبير في حياة وثقافة هذه الشعوب ولو بقيت لدى بعضهم بقايا من تلك الثقافات.

ب- **الثقافة الإسلامية**؛ وهي التي قضت على الثقافة الأرواحية كما قلت، وأثرت في الشعب السنغالي تأثيرا كبيرا، بل كان الإسلام والشريعة الإسلامية في فترة ما قبل الاستعمار سائدا ومهيمنا في المنطقة، وكادت أن تكون منطقة إسلامية بحتة لولا مجيء الاستعمار وخططه المدمرة.

ج- **الثقافة الغربية الأوروبية ذات أصول مسيحية** التي لم يخف على أحد ما صنعته في هذا الشعب من محاولة طمس هويته الإسلامية، ودمجها في بحر الاستعمار الاستيعابي.

٢- شكلت الحضارة الإسلامية روافد مهمة لنشر وتثبيت الثقافة الإسلامية في الشعب السنغالي.

٣- موقع السنغال الاستراتيجي جعله نقطة التقاء بين ثقافات مختلفة، ولعب في ذلك دورا مهما في الربط بين شمال الصحراء بجنوبها منذ أزمان تاريخية سحيقة، كما أنه يعتبر همزة وصل بين أوروبا

والأمريكيتين الجنوبية والشمالية من جهة، وبوابة لأمريكا وأوروبا إلى سائر البلاد في غرب إفريقيا من جهة أخرى، هذا ما يفسر موقف فرنسا لما جاءت إلى المنطقة بهدف استعمارها، حيث اتخذت مدينة "سان لويس " السنغالية مركزا رئيسيا، ومنطلقا أساسيا لاستعمار بقية الدول في المنطقة.

٤- أن علماء السنغال السابقين بلغوا في العلم بميادينه المختلفة من فقه وأدب ونحو وتفسير وغيرها شأوا لم يصل إليه كثير ممن جاءوا بعدهم من أبناء البلد رغم تفاوت الإمكانيات ووسائل التحصيل العلمي من الفريقين، مما يؤكد علو الهمة لدى أولئك الرجال.

٥- ولزعماء الصوفية في السنغال والملوك المحليين دور فعال في نشر الإسلام في السنغال وما حوله، وما نراه اليوم من المؤسسات التعليمية والكليات ثمرة من ثمرات تلك الجهود، كما دافعوا عنه وعن الوطن أمام المستعمر الفرنسي بكل شجاعة وبسالة، مما سجله لهم التاريخ.

٦- السنغال اليوم في صراع مرير غير معلن بين الثقافة الإسلامية التي يسود أهلها البلد، والثقافة الغربية العلمانية التي بيد أهلها ورجالها السلطة التنفيذية رغم كونهم يمثلون الأقلية؛ متمثلا في انتشار وازدياد المؤسسات التعليمية والمدارس القرآنية والمقبلين عليها إلى غير ذلك، وبالمقابل نلاحظ وخصوصا في السنوات الأخيرة ما قام به العدو من تكثيف جهوده وتنويعها في محاربة الإسلام بشتى الوسائل وفي طليعتها وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، وعامل المال، والمرأة وغيرها، بهدف غزو عقول المسلمين وصرفهم عن عقيدتهم وعن تعاليم دينهم الإسلامي.

٧- رغم كل الصعوبات التي تمر بها البلاد من الغزو الفكري، ومحاولة تنصير أبناء الشعب السنغالي المسلم، ونشر الفساد في أوساط الشباب بتشجيعهم على الانهماك في اللهو واللعب وضياع الوقت في ما لا يعود عليهم بالنفع، كل ذلك حتى لا يفكروا في المطالبة لحقوقهم من إيجاد فرص العمل وتوفير الاحتياجات اللازمة والضرورية في حقهم، وحتَّى لا يتنبهوا لما يلعب به قادة الدولة من مليارات

البلاد مما نسمع عليه كل يوم من فضائح مالية وتمويلية، رغم كل ذلك فإن مستقبل البلد يبشر بالتفاؤل والأمل، والسبب في ذلك يرجع إلى النقطة التالية.

٨- احتلال القرآن الكريم منزلة كبيرة لدى الشعب السنغالي، ويفسر ذلك الاهتمام الشديد لديهم بتعلمه وتعليمه، وحرصهم الفريد على التحلي بالأخلاق الإسلامية، مما جعلهم يهتمون بالكتاتيب والمدارس العربية الإسلامية بصورة لم نرها سابقا، ولاشك أن الخير كله في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، والعودة إلى تعاليم الإسلام، كما أن الشر كله في البعد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

❖ التوصيات:

١- أوصي بضرورة توحيد الجهود لدى المؤسسات التعليمية في السنغال، والاهتمام بالتنسيق فيما بينهم للعمل الجماعي، الأمر الذي لاشك أنه لا يمكن أن يتساوى مع العمل الفردي مهما كان، حتى نتمكن من القيام بالواجب نحو الطلاب الدارسين فيها بزيادة التيسير والتسهيل لهم في مجالهم الدراسي، لأنهم مستقبل البلد وعدته، فلا بد من إعداد تام لهم علميا وثقافيا وأخلاقيا، حتى يقوموا بدورهم في وقته على الوجه المطلوب، وقل مثل ذلك في الدعاة من وجوب التنسيق فيما بينهم على الوجه الأكمل والأفضل للقيام بمهامهم الملقاة على عواتقهم، من مواجهة التيارات والأفكار العلمانية الغربية التي تداهم البلد بكل قوة، وكذلك ما يجب عليهم من محاربة البدع والشركيات المنتشرة في أوساط كثير من المجتمع السنغالي، ومعظمهم لا يمارسونها عنادا أو استكبارا، وإنما لقلة العلم بالإسلام وانتشار الجهل بينهم مع قلة التوعية والدعوة المناسبة لهؤلاء هو العامل الأساسي لوجود تلك الظاهرة.

٢- السعي لإيجاد كليات عربية شرعية أكثر في السنغال، تدرس فيها اللغة العربية والشريعة الإسلامية، لتسد تلك الثغرة التي تتمثل في العدد الهائل الذي يتخرج سنويا في الثانويات في مختلف المدن

والأقاليم السنغالية، وليكون ذلك خطوة طيبة لمواجهة التيارات الفكرية الغربية التي لها جذور عريقة في السنغال وفي المنطقة عموما، علما بأن معظم هؤلاء المتخرجين لا يجدون افرص لمواصلة دراساتهم في الكليات الموجودة في البلد لأنها قليلة جدا في مقابل ذلك العدد الكبير من حاملي الشهادة الثانوية، وقل مثل ذلك بالنسبة للمنح الدراسية التي تأتي من الدول العربية الإسلامية شحيحة للغاية أمام هؤلاء المتحمسين الطلاب والطالبات.

٣- كما أوصي الدول العربية الإسلامية بزيادة المنح الدراسية لطلاب السنغال وغيرهم من بقية الدول الإفريقية، لما في ذلك من تعاون على البر والتقوي من جهة ، -كما أمرنا به ربنا ﷻ- وكذلك سيكون دعما قويا وأساسيا لهذا الشعب ليتبصر في أمر دينه ويعبد ربه على علم ويقين، كما يمكنه ذلك أيضا من لحوق الركب في العلوم والحضارة، وخصوصا نحن في عالم التقنيات وتطور العلوم والتكنولوجيا بشكل عجيب، معنى ذلك على الجامعات الإسلامية أن يفتحوا أبواب الكليات الشرعية والعلمية معا أمام الطلبة الأفارقة دون تقييدهم في الكليات الشرعية فقط؛ لاحتياج بلدانهم وشعوبهم إلى معلمين ومربين ومهندسين وأطباء ومحاسبين وقضاة...

٤- نظرا لما نلاحظه في الآونة الأخيرة من صحوة مباركة من الشباب والشابات في أوساط الشعب السنغالي كان من المناسب دعم الجانب الدعوى عندهم، لذلك أوصي المؤسسات الدعوية في بلاد المسلمين أن تعنى بإرسال البعثات الدعوية إلى السنغال وغيرها من الدول الإفريقية خصوصا لتثقيف المسلمين هناك بالثقافة الإسلامية وزيادة حصانتهم في مواجهة التيارات الفكرية والنظريات الغربية الهدامة.

٥- تأسيس مركز الدراسات الإفريقية في السنغال باعتباره بلدا ذات استراتيجية إقليميا ودوليا، بحيث يتخصص هذا المركز بالعناية بجهود الطلاب الأفارقة، مما يمكن أن يخدم مسلمي القارة وغيرهم شيئا كثيرا، ويكون من مهامه جمع الرسائل العلمية والبحوث والدراسات في كل المجالات من الأفارقة، ثم طباعة ما

يجب طباعتها منها ونشرها، والعناية بالمخطوطات التي يوجد منها شيء كثير في "تومبوكتو" في "مالي" كما يوجد شيئا منها في "المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء" i.f.a.n. بداكار وغيرها من المناطق الإفريقية.

ثم أقول فهذا جهد متواضع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فما كان من حسن وتوفيق فهو من فضل الله وكرمه، وما كان غير ذلك فعذري، أنني ما زلت في بداية خطواتي الأولي نحو البحث العلمي، وفوق كل ذي علم عليم.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون في موازين الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ملحق رقم (١)



خريطة جمهورية السنغال

ملحق رقم (٢)



خريطة إفريقيا بعد الاستعمار

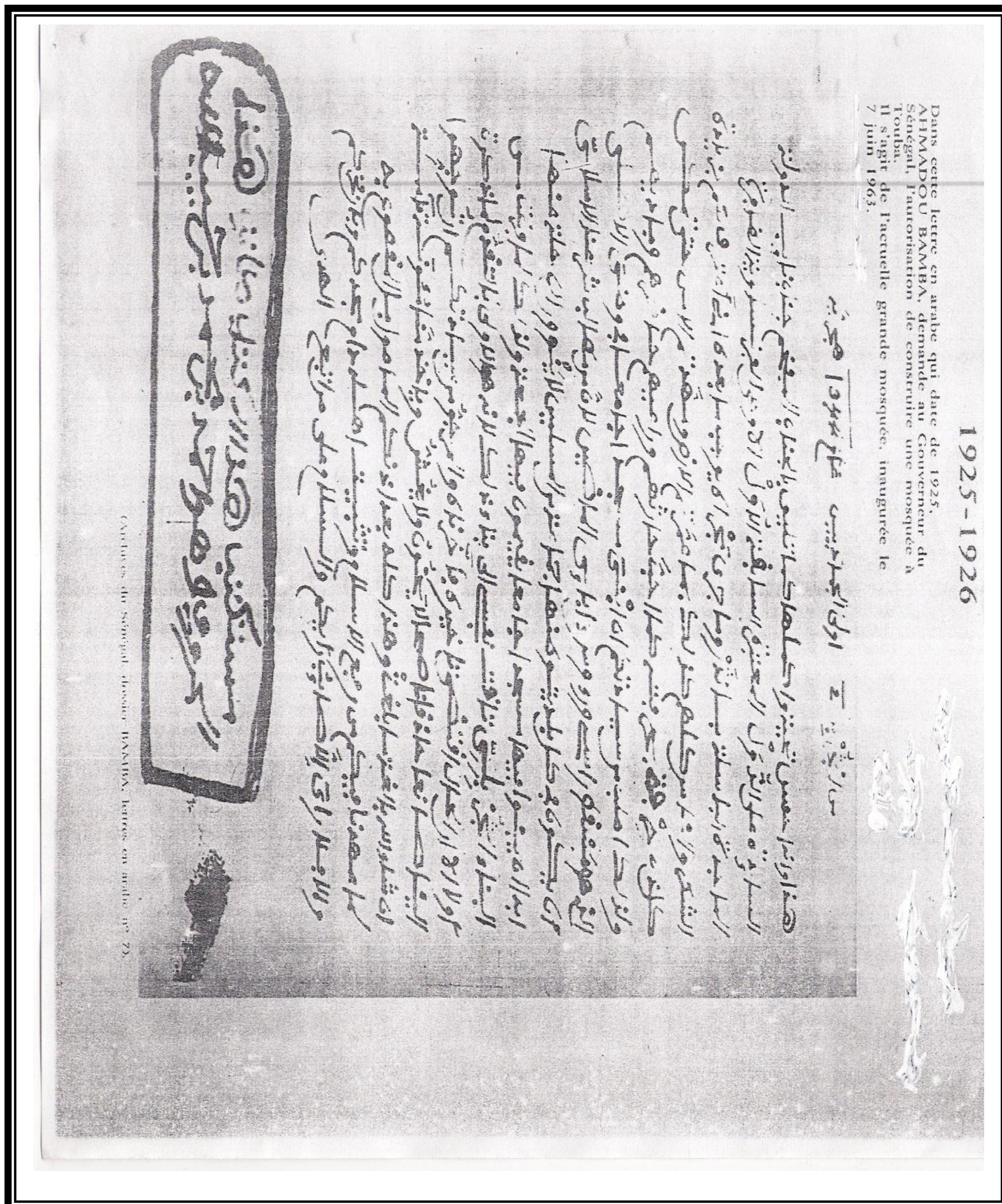
ملحق رقم (٣)

124 ÉTUDES SUR L'ISLAM AU SÉNÉGAL

ANNEXES 425

نموذج من الطلاسم السنغالية

ملحق رقم (٤)



1925-1926

Dans cette lettre en arabe qui date de 1925, AHMADOU BAMBA, demande au Gouverneur du Sénégal, l'autorisation de construire une mosquée à Touba.
Il s'agit de l'actuelle grande mosquée, inaugurée le 7 juin 1963.

(Archives du Sénégal, dossier BAMBA, lettres en arabe n° 7).

نموذج من الرسائل المتبادلة بين زعماء الدين في السنغال وبين الاستعمار الفرنسي

ملحق رقم (٥)

7 / LE ROYAUME D'AOUDAGHOST ET L'EN ÉGYPTE

mois de marche » pour le parcourir d'un bout à l'autre [c]. Le roi disposait d'une puissante armée et lançait souvent des opérations militaires, pour lever le tribut sur les populations lointaines [d].

Très riche en raison du passage des caravanes, la ville d'Aoudaghost comptait une population importante. Elle était entourée de jardins de dattiers et les paysans cultivaient le blé sous les palmiers, sur terres irriguées [e]. Le marché était un lieu d'échanges important. On payait les achats en poudre d'or. On vendait du blé ou des fruits venus du Nord, des objets en cuivre, des grands manteaux en laine colorée. On achetait l'or raffiné, qui se présentait sous la forme de fils tordus, et l'ambre gris. La ville comptait beaucoup de maisons construites en pierre, très solides. Elle logeait environ 6 000 habitants, chiffre considérable pour le désert.

Les Berbères ne dominèrent pas Aoudaghost après le 11e siècle : à cette époque, la ville fut conquise et occupée par le roi noir de Ghan

2. La constitu

Dans la zone sahélienne en contact avec les centres caravaniers du désert, et non loin des mines d'or d'Afrique

En Mauritanie

L'ON RETROUVE AOUDAGHOST

...cienne ville caravanière

[c] Le roi berbère d'Aoudaghost ne résidait sans doute pas en permanence dans la ville. Il se déplaçait constamment dans son royaume, levant tribut, contrôlant les caravanes, réduisant les oppositions. Il protégeait aussi les caravanes, assurant la sécurité des parcours, éloignant les pillards et les tribus nomades qui ne reconnaissaient pas son autorité.

[d] *On connaît, grâce aux écrits d'un voyageur arabe, le nom d'un prince berbère d'Aoudaghost. En 961 régnait Tin Yéroutan. Il disposait d'une armée très mobile, montée sur des dromadaires, qui lui permettait d'intervenir rapidement contre ses ennemis. C'est ainsi qu'il envahit le royaume d'un rival nommé Aougham. Celui-ci, voyant les Berbères piller et incendier sa capitale, abandonna son bouclier et ses armes, descendit de sa monture, et se laissa tuer par les soldats de Tin Yéroutan. Ses femmes, en voyant ce spectacle, se suicidèrent en se jetant dans des puits.*

[e] Les paysans d'Aoudaghost utilisaient l'eau au maximum. Ils cultivaient le blé à la bêche et l'arrosaient à la main ! Seuls les princes et les riches marchands pouvaient manger du pain, tant le blé était rare. Mais il y avait des figuiers, des courges et des melons, de la vigne, du miel. Il y avait aussi des troupeaux de moutons et même de bœufs. On avait creusé partout des puits pour avoir de l'eau.

أطلال مملكة أوذغست التي تعد بحق أول مدينة سودانية نشر فيها الإسلام عقبة بن نافع، وقد اكتشفت أطلالها مؤخرا.

ملحق رقم (٦)

استبانة:

1- ما اسمك؟ (اختياري): ....

2- كم سنة لك؟ : ....

3- الجنس(ذكر أو أنثى): ....

4- وما عملك؟ (إذا كنت طالبا أذكر اسم المدرسة) : ....

5- الحالة الاجتماعية(متزوج أم عزاب) : ....

6- هل تصلي باستمرار؟ .... إذا كان لا فلماذا؟ : ....

إذا كان نعم، تكون مع الجماعة أم لا؟................................ ولماذا؟ : ....

....

7- هل تلتزم بصوم رمضان؟ : .... إذا كان لا فلماذا؟ : ....

....

8- هل أديت فريضة الحج؟ :.............................. إذا كان لا، فلماذا:

أ- عدم توفر الشروط

ب- لا أريد

ت- سبب آخر، أذكره : ....

9- وما رأيك في وسائل الإعلام في السنغال وتربية الجيل الناشئ؟ : ....

....

أ- تخدم لها

ب- تحاربها

ت- لا أدري

ث- غير ذالك؟ أذكره ....

10- هل أنت معجب بالثقافة الغربية أكثر أم بالثقافة الإسلامية؟ : ....

ولماذا؟: ....

11- هل ترسل أبنائك إلى المدرس الفرنسية أم العربية أم الفرنسية العربية؟ : ....

ولماذا؟ : ....

12- هل تعلمهم القرآن الكريم في الكتاتيب(دارة)؟ : .... ومتى(نهاية الأسابيع، العطلة الصيفية، كل يوم)؟ : ....

التوقيع:

شكرا جزيلا

نموذج من الاستبانات المستخدمة أثناء البحث

ملحق رقم (٧)

FICHE D ENQUETE:

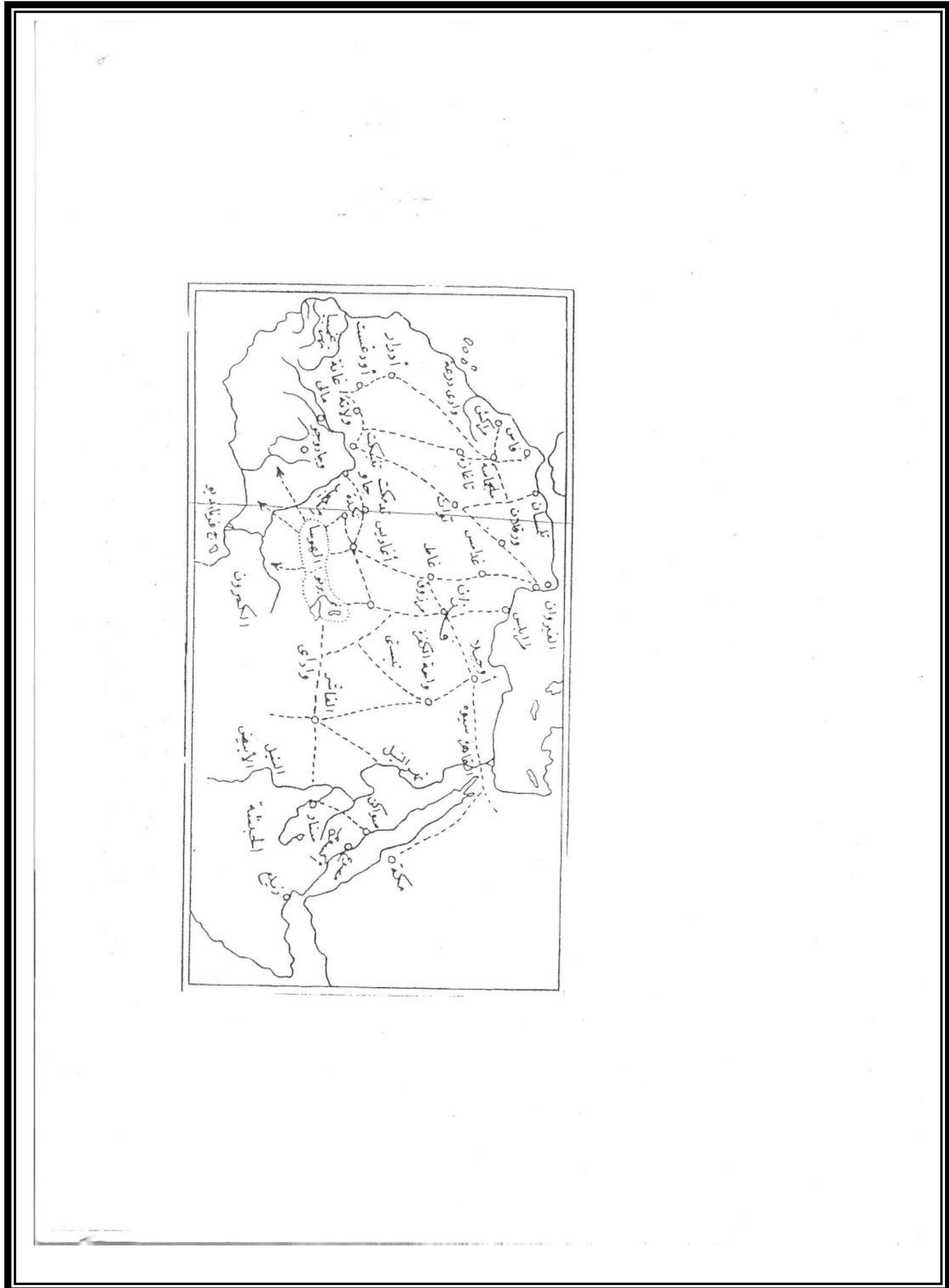
1. Quel est ton nom? (facultatif):..
2. Quel âge as-tu? :.. sexe:...
3. Quelle est ta profession? (si tu es élève cites le nom de ton établissement):
   ....
4. Quelle est ta situation familiale? (marié(e) ou célibataire):.......................................
5. Est-ce tu accompli les cinq prières régulièrement? : ....
   Si non, Pourquoi? :...
   Si oui, Est ce avec la masse(à la mosquée) ou non? :..
   Et pourquoi? :...
6. Est-ce tu te conformes au jeûne obligatoire(RAMADAN)? : ....
   Si non, Pourquoi? :...
7. Est-ce tu as fait le pèlerinage? :...................................... si non, Pourquoi? :
   - Les conditions ne sont pas réunies? :..
   - Tu le ne désires pas? :...
   - Pour d'autres raisons:...
8. Que penses tu sur les moyens de communications au SENEGAL avec l'éducation de la nouvelle génération? :...
   ....
   a. Tu œuvres pour les moyens de communications? :...
   b. Tu les combat? :...
   c. Tu ne sait pas? :...
   d. D'autres raisons? :...
9. Est-ce tu est plus émerveillé(e) de la culture occidentale ou de la culture islamique?
   ....
   Et pourquoi? :...
10. Envoies tu tes enfants à l'école:
    - ✓ Française
    - ✓ Arabe
    - ✓ Franco-arabe

Et pourquoi? :..

11. Est-ce tu enseignes les enfants le SAINT CORAN dans les écoles coraniques(DAARA)
    ....
    Et pendant quelles périodes?(tous les jours, les weekend, les grandes vacances):
    ....

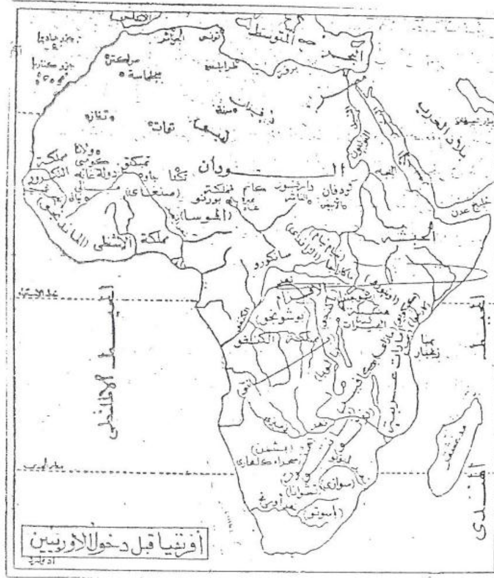
نموذج من الاستبانات المستخدمة أثناء البحث باللغة الفرنسية

ملحق رقم (٨)



طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمال إفريقيا، نقلا عن (العقيدة الإسلامية في مواجهة التيار الفكرية في غرب إفريقيا) صالح إسحاق بامبا

ملحق رقم (٩)



خارطة القارة الإفريقية قبل الاحتلال الأوروبي، نقلا عن (العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الفكرية في غرب إفريقيا الفرنسية) صالح إسحاق بامبا

ملحق رقم (١٠)



المسجد الجامع بداكار

ملحق رقم (١١)



المسجد الجامع بمدينة تيواوون

ملحق رقم (١٢)



المسجد الجامع بمدينة طوبى

ملحق رقم (١٣)



تمثال النهضة الإفريقية بداكار

ملحق رقم (١٤)



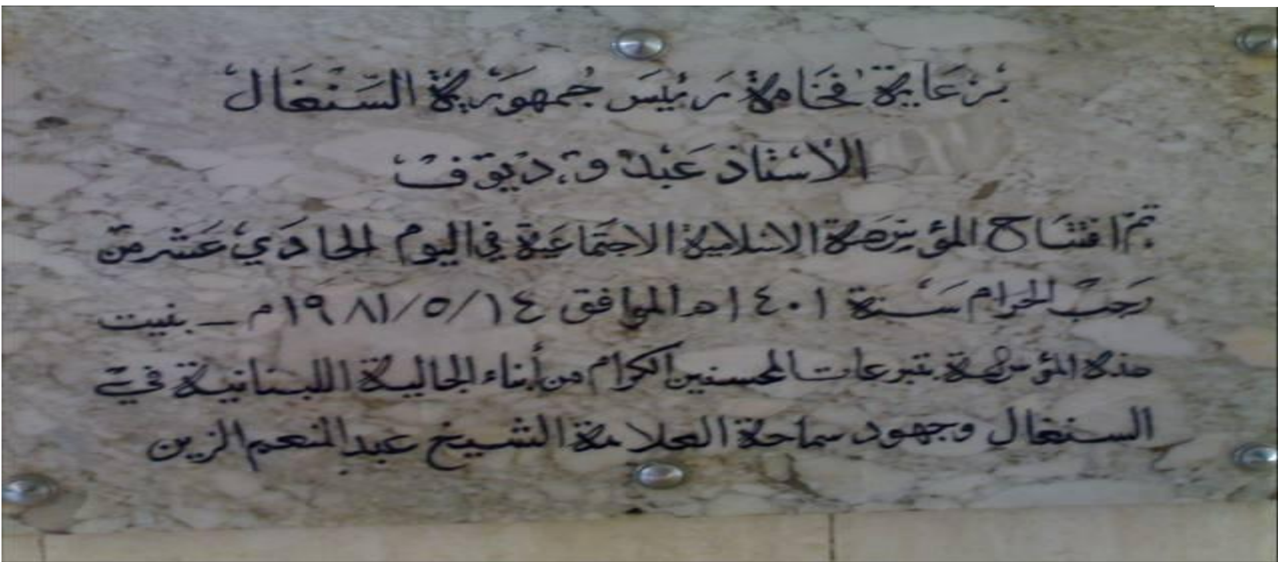
مؤسسة منار الهدى الإسلامية



الفصول الدراسية للمؤسسة

ملحق رقم (١٥)





المؤسسة الإسلامية الاجتماعية إحدى المؤسسات الشيعية في السنغال

ملحق رقم (١٦)





حوزة الرسول الأكرم من المؤسسات التعليمية الشيعية في السنغال

أولا: فهرس الآيات القرآنية

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾	٥١	المائدة	٢٤٤
﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	١١٦	الأنعام	٣٠٨
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	٣١	الأعراف	١٦٥
﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾	٥٧	الأنفال	١٦
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾	٦٠	الأنفال	١١٧
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٣٠	الأنفال	١٩٤
وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾	٦١	الأنفال	١٤٤
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾	٦٠	الأنفال	١٨١
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	٤٦	الأنفال	٢٨٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾	٣٦	الأنفال	١٩٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾	٣٦	الأنفال	٢٣٢
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾	١٨	التوبة	١٦٥
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	٣٣	التوبة	٤٩
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٣٢	التوبة	١٦٣

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	١١٧	التوبة	٢٦٩
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾	٢٨	الرعد	١٧٣
﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾	١٩	الحجر	٤٨
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	٨٩	النحل	٨٢
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) ﴾	١٢٠	النحل	١١٦
﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾	٢٥	النحل	١٠٩
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾	١٢٥	النَّحل	٢٨٣
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾	٣٦	الإسراء	١٩
﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	الإسراء	٧٨
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾	٨٩	الإسراء	٣٠٨
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾	١٣٢	طه	٢٥٧
﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾	٥٣	المؤمنون	٢٧٣
﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾	٣٧	النور	٤٢
﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾	٣٦	النور	١٦٥
﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾	٧٧	القصص	٣٢٣
﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	١٤	الروم	٨٢
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٧٠- ٧١	الأحزاب	١
﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾	٢٢	الزخرف	٦٢

﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾	٢٤	الجاثية	٢٠١
﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾	١٨	الفتح	٢٦٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾	١٣	الحجرات	٧٧
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾	١٠	الحجرات	٨٠
﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٣١	الأحقاف	٢٥٩
﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾	١٨	الجن	١٧٠
﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾	١٤	القيامة	٢٥
﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾	٨	العاديات	٢١٦

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا: فهرس المصادر والمراجع

أ- المصادر والمراجع العربية

١. آثار الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع السنغالي، علي جنك صمب، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، من جامعة الزيتونية ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .

٢. أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم-دمشق- ط:٨، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

٣. أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، الشيخ إبراهيم بن صالح الخضري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤١٩هـ.

٤. الإخلاص والنية، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان البغدادي الأموي القرشي المعروف ب ابن أبي الدنيا، المتوفى ٢٨١هـ، ط: ١و دار البشائر ١٤١٢هـ.

٥. الأدب السنغالي العربي (الهدية السنغالية من المرجان في العقود الأدبية للعربان)" د. عامر صمب، أديب سنغالي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٦. إرواء النديم، الشيخ محمد الأمين جوب الدغني، وطبع الكتاب في مطبعة "داراي بوروم طوبى".

٧. الاستعمار الفرنسي في السنغال، عبد النبي السفيوني، رسالة د كتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعب التاريخ، بجامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية.

٨. الاستعمار وآثار ومبررات التعويض وأشكاله، د. خديم امباكي محمد سعيد، غير مطبوع.

٩. الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، حسن محمود، دار الفكر العربي ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ط :بدون.

١٠. الإسلام والعلمانية وجها لوجه، الشيخ يوسف االقرضاوي، مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان- ط: ٣، ١٤١٢هـ-١٩١٢م.

١١. الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، عبد الرحمن زكي، معهد الدراسات الإسلامية، ط: بدون.

١٢. الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال، مهدي ساتي صالح، جامعة إفريقيا العالمية، طبع بمناسبة ملتقى الجامعات الإفريقية مركز مشكاة للطباعة والنشر ٢٠٠٦م.

١٣. أضواء حول التعليم العربي في السنغال، من النقابة الوطنية لمدرسي اللغة العربية في السنغال، ط: بدون.

١٤. أضواء على الثقافة الإسلامية، د. أحمد فؤاد محمود، اشبيليا للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٥. أضواء على السنغال، بامبا انجاي، ط: ١ ، ١٤١١هـ ١٩٩١.

١٦. أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، د. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مكتبة عالم الفكر، سنة الطبع بدون.

١٧. إفريقية المسلمة ، الخليل النحوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط: الأولي ١٩٩٤م.

١٨. البحوث والدراسات المقدمة للمؤتمر الثالث للسيرة والسنة النبوية، (٦/٦٢٥)، ط:١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر.

١٩. بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٧.

٢٠. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط:٣، ١٩٨٣م، دار الثقافة، بيروت- لبنان.

٢١. تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، طبع في مطبعة ألأمريك، بباريس، فرنسا، ١٩٨١م.

٢٢. تحديات الدعوة السلفية أسباب وحلول، مقال للدكتور أحمد محمد لوح نشر في موقعه الخاص.

٢٣. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، دار الشرق العربي، بيروت- لبنان.

٢٤. التشيع في إفريقيا، تقرير ميداني قام به مجموعة من الباحثين بإشراف ياسر بن ماطر المطرفي،ط:١، مؤسسة الإسلام اليوم ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، الرياض.

٢٥. التصوف الإسلامي بالسنغال؛ المريدية نموذجا، الأستاذ انيانغ الحاج فضيل، بحث لنيل الإجازة في الشريعة الإسلامية، جامعة القرويين، كلية الشريعة، فاس، المملكة المغربية١٩٩٧-١٩٩٨، غير مطبوع.

٢٦. التعليم الإسلامي في إفريقيا الواقع والمأمور في السنغال، د. خديم محمد سعيد، وهو منشور ضمن مجلة الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد٦، عام: ١٤٢١هـ.

٢٧. التعليم الإسلامي في السنغال، د. محمد أحمد لوح، بحث ضمن بحوث ملتقي خادم الحرمين الشريفين لخريجي الجامعات السعودية من إفريقيا، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢٨. توجيه الدعوة والدعاة في نيجريا وغرب إفريقيا، آدم آلوري، مطبعة الأمانة، ط:١، القاهرة،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٩. الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا، د. عمر صالح باه، أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة شوربون بفرنسا، ط: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.

٣٠. ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى إبراهيم الإبراهيم، دار عمان، الأردن، ط:٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣١. الثقافة الإسلامية نماذج من حضور اللغة العربية، شرنوكاه سنغالي، من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبع في تونس عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣٢. جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، عثمان باراياماباري، دار الأمين، القاهرة، ط: ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٣. حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، مهدي رزق الله، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٤. حركة التجديد والإصلاح في نجد، عبد الله عجلان، الناشر: عبد الله العجلان، ط:١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣٥. حركة الفلاح ودورها في نشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في السنغال، عثمان باه، ط: ١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، مطبعة السنغالية للطباعة، داكار- السنغال.

٣٦. حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية، عبد الله بن سعد الرويشد، رابطة الدب الحديث بالقاهرة.

٣٧. حول الشيعة في السنغال؛ مقال للأخ والزميل أبو محمد، وهو نسخة إلكترونية لم ينشر.

٣٨. الخروج من فخ العولمة، د. كمال الدين عبد الغني المرسى، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، ط:١.

٣٩. دراسات حول الدعوة والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، جمع وترتيب الطالب تورى طه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غير مطبوع.

٤٠. دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، د. عصمت د نش، [٤٣٠-٥١٥هـ/١٠٣٨-١١٢١م] دار الغرب الإسلامي، بدون سنة الطبعة.

٤١. ديوان ابن خفاجة، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح الأندلسي المتوفى (٥٣٣هـ)، طبع بمطبعة خاصة بجمعية المعارف بمحروسة، سنة الطبع: بدون.

٤٢. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف ب" تاريخ ابن خلدون"، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، وهو أبو زيد الحضرمي الإشبيلي، المتوفى ٨٠٨هـ، تحقيق خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ط:٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨.

٤٣. رسالة المسجد في الإسلام، بحث أعده عبد الرشيد هدية الله، مدير كلية الشيخ عبد العزيز بن باز في نيجريا، بمناسبة فعاليات الملتقى الثالث عشر للجنة الدعوة في إفريقيا، خلال رمضان المبارك ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤٤. رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، الشيخ عمر تال، الفوتي السنغالي، نسخة إلكترونية.

٤٥. روائع المعلومات عن أقطار إفريقيا، وبعض ما نبعت فيها من المملكات، مصطفي زغلول السنوسي، مطابع الشرق الأوسط، ط: ١، ١٤١١هـ -١٩٩١م.
٤٦. السلفية وأعلامها في موريتانيا، الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين، دار بن عزم، بيروت – لبنان.
٤٧. سلسلة كتاب المعرفة، بعنوان: نحن والعولمة من يربي الآخر؟ تصدر عن مجلة المعرفة، ط:١، رجب ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٤٨. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني المتوفى ٢٧٥هـ.
٤٩. السيرة النبوية، ابن هشام، مؤسسة علوم القرآن بيروت- لبنان، ط: بدون.
٥٠. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، ط: بدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥١. الشفاء بتعريف حقوق المصطفىﷺ، للقاضي عياض، نسخة إلكترونية.
٥٢. صحيح مسلم، مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، المتوفي ٢٦١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، سنة الطبع: بدون.
٥٣. صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، عثمان انجاي، مطبعة خطاب، شارع قصر النيل، القاهرة، ط١، سنة الطبع بدون.
٥٤. ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله القرني، دار عالم الفوائد، المملكة العربية السعودية. ط:٢، شوال ١٤٢٠هـ.
٥٥. العلمانية جذورها وأصولها، د. محمد علي البار، دار القلم دمشق، ط:١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٥٦. العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الشيخ سفر الحوالي، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة، ط:١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٥٧. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، دار المؤيد للنشر والتوزيع، ط: ٥، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٥٨. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ- ١٩٥م.

٥٩. كواشف الزيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط: ٣، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٠. القاموس المحيط: فيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط:٦، ١٤١٩هـ ١٩٩٨بيروت لبنان.

٦١. لسان العرب: لابن منظور، دار الكتب العلمية، ط :١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٣م بيروت.

٦٢. لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٦٣. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، عام ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٦٤. المجموعة، للشيخ أحمد بامبا، وهي نصائح، وتوجيهاته جمعت في مكان واحد، وسميت بهذا الاسم.

٦٥. محاضرات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد جمال، دار الكتاب العربي، ط: بدون.

٦٦. مختار الصحاح للرازي، دار الغد الجديد القاهرة ط: ١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٦٧. المرابطون تاريخهم السياسي، محمد عبد الهادي شعيرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط: بدون.

٦٨. مسالك الجنان في جمع ما فرقه الديماني، الشيخ أحمد بامبا.

٦٩. المسالك والممالك، البكري، هو أبو عبيد عبد الله البكري، القرطبي (ت ١٠٩٤م)، المؤسسة الوطنية للترجمة والدراسات، بيت الحكمة، دون سنة الطبعة.

٧٠. المسلمون في السنغال معالم اليوم وآفاق المستقبل، عبد القادر سيلا، وهو منشور ضمن سلسلة كتاب الأمة التي تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف، قطر، رقمه: ١٢، عام: ١٤٠٦هـ.

٧١. مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، دار الفكر.

٧٢. معالم الثقافة الإسلامية، د. عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، ، ط١، بيروت لبنان ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٧٣. معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت ٦٢٦هـ، دار صادر، بيروت لبنان، ط: ٢، ١٩٩٥م.

٧٤. معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط: ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٧٥. المغرب في ذكرى بلاد أفريقية والمغرب، أبو عبيد البكري، مكتبة المثنى، بغداد.

٧٦. مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي القحطاني، ط:١، ١٤١٥ -١٩٩٤م.

٧٧. مكايد اليهود عبر التاريخ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، بيروت- لبنان، ط:٤، ١٤٠٢ – ١٩٨٢م.

٧٨. من الثقافة الإسلامية لطلبة الجامعات: خالد إبراهيم الفتياني، ط: دار قنديل عمان.

٧٩. من وحي الستين، للدكتور خديم امباكي، مطبعة كوسبت سرويز للطباعة داكار،١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م.

٨٠. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، وهو مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، اختصره الإمام الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، طبع في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.

٨١. (موريتانيا في الذاكرة العربية)، ألفه حماه الله ولد سالم، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط: ١، ٢٠٠٥م.

٨٢. الموافقات لشاطبي، المجلد الأول، طبع الكتاب في وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، تحت وكالة شؤون المطبوعات والبحث العلمي، سنة الطبع: بدون.

٨٣. مؤسسات التعليم الإسلامي والمساجد في السنغال، تقرير علمي، د. خديم امباكي محمد سعيد، نسخة إلكترونية غير مطبوع.

٨٤. موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٤.

٨٥. الموسوعة الجغرافية العالمية المصورة (دول العالم)، إعداد: نبيل تللو، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق.

٨٦. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، طبع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، عام ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٨٧. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ط: ٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٨٨. موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، شاكر مصطفي، دار العلم للملايين بيروت، ط: ١، أكتوبر ١٩٩٣م.

٨٩. موقف الإمام بن تيمية من التصوف والصوفية، د. أحمد البناني، ط:١، دار العلم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية.

٩٠. نحو ثقافة إسلامية أصيلة، أ.د: عمر الأشقر، ط: بدون.

٩١. نحو فلسفة عربية، للدكتور: عبد الغني النوري وزميله.

٩٢. نشأة وتطور العلاقات العربية الإفريقية ونموذج العلاقات بين السنغال والمملكة العربية السعودية، د. عبد الله درامي، المكتبة المكية، السعودية، ط:١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٩٣. هذه هي العولمة، أ. د. محمد توهيل، مكتبة الفلاح الكويت،ط:١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٩٤. واقعنا المعاصر، الشيخ محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة ط١،١٣١١ هـ-١٩٩٠م.

ب- الرسائل الجامعية

١. الإسلام في مواجهة مشروع الغزو الثقافي الفرانكوفوني في غرب إفريقيا، محمد مصطفى جوب سنغالي، رسالة ماجستير من كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا.

٢. إشكاليات التعليم العربي الإسلامي في النظام التربوي السنغالي، باه عبد العزيز ألفا، بحث لنيل ماجستير في جامعة داكار (جامعة شيخ أنت جوب).

٣. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، عرض وتحليل علي ضوء الكتاب والسنة، بحث لنيل درجة ماجستير، د. أحمد لوح، دار بن عفان للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م.

٤. الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، عمر صالح باه، وهي أطروحة دكتوراه، نوقشت في جامعة سور بون بباريس، سنة: ١٩٨٦م، ط: بدون.

٥. العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الفكرية في غرب إفريقيا الفرنسية، رسالة دكتوراه، في كلية الدعوة بجامعة أم القرى، إعداد صالح إسحاق بامبا غير مطبوعة.

٦. غرب إفريقيا ومأساة الغزو الفكري، على حسن كمارا، رسالة ماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف، قسم العقيدة والفلسفة، ط: بدون.

٧. كتابة لغة الوولوف بالحرف العربي، عثمان انجاي، بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ١٩٩٧م.

ج- الجرائد والمجلات والمواقع الإلكترونية

١. إسلام أون لاين.
٢. ألوان من كل زمان ومكان.
٣. جريدة (الرأي) الكويتية.
٤. جريدة (مهران أنباء) الإيرانية.
٥. جريدة عمان الأردنية.
٦. الجزيرة نت.
٧. مجلة البيان.
٨. مجلة الجزيرة.
٩. منتدى شمس المعاني.
١٠. منتدى نسمات الفن.
١١. موسوعة مقاتل من الصحراء.
١٢. موسوعة وكيبيديا.
١٣. موقع (مغارب. كم) الموريتانية.
١٤. موقع العرب اليوم.
١٥. موقع بشائر الإسلام.
١٦. موقع فيصل نور.
١٧. موقع الحكومة السنغالية الرسمي.
١٨. موقع عالم التصوف المجهول.

د- المراجع الأجنبية

1. Joceph Couq: Histoir l, islamisation de l, afrique de l,ouste. P:47. mamadou dia, idem p: 65.
2. Dictionair Francai Arabe.
3. Rawane Mbaye: L,islam au Senegal.
4. Omar Samb: L,islam et L,histoir Du Senegal. bulltin de l,i.f.a.n. seri. B, n:3,1971.
5. Paul marty: Etudes sur l, islam au Senegal) tom 2, p: 402.
6. LES CAHIERS de L,anternance (LES RELIGIONS AU SENEGAL) December 2005,p:48-49.
7. Assane Sylla: bulletin de l,i.f.a.n. ser b, no 3,1971, p: 592-593
8. Le soleil
9. Jeun,Afrique
10. Rewmi Quotidian d,imformation General, N: 58, 4\3\2009.
11. Novel Horizon, N: 661, 27\2-5-3\2009.
12. Amar samb: L,islam et l,histoir du Senegal.
13. Encyclopaedia Britannica.
14. The Oxford English Dictionary.

فهرس المحتويات